



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الدولة الساسانية في عهد قُباد
(٤٨٨-٥٣١م)

رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ الشرق القديم

إعداد الطالبة
نور محمد نصر

إشراف
أ.م.د أرواد العلان

٢٠٢١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بطاقة شكر وتقدير

بدايةً أشكر الله وأحمده حمداً كبيراً لأنه أنعم عليّ بالوصول إلى هنا، وأن أختار علم التاريخ لأتعلّمه، وأتنزه في ربه الوارفة الظلال، ذلك العلم الذي سطرّ لنا ماضيها مجلوه ومرّه، ذلك العلم الذي حفظ لنا جميل آبائنا وأجدادنا الأولين في عصور كانوا فيها أسياذ الدنيا، ذلك العلم الذي لولاه لضاع مجد أمتنا، ذلك العلم الذي دوّنا أسماء علمائنا على صفحات قلوبنا لما قدموه من فضل . .

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، لذا أتوجه بخالص شكري:

إلى أستاذتي المشرفة التي مدّت يد العون المعطاءة طوال مدة عملي برسالتني، ولم تبخل عليّ قط، التي حبّبتني برعايتها، وخصّصني بالكثير من وقتها كي تعلّمني، وتوقد من نور عينها وبصيرتها شموعاً تضئ دربي، فلها الشكر أجزله وأوفره .

وأتوجه بشكري الكبير إلى السادة أعضاء لجنة الحكم الذين أعطوني من وقتهم الثمين وقرؤوا رسالتني وأبدوا لي ملحوظاتهم التي -لا شك- سأخذ بها حتى أصل إلى تمة الرسالة إن شاء الله .

وأتوجه بشكري إلى عمادة كلية الآداب وأساتذتي في قسم التاريخ الذين لم يبخلوا عليّ بما أكرمهم الله من علم . .

وأتوجه بشكري إلى جميع الحضور من أساتذة وطلاب وزملاء وأصدقاء . . وأتمنى من الله أن أكون عند حسن ظن الجميع بي . .

الإهداء

إلى من سند وساند .. وعاضد ودافع .. وحارب وراقب وشجع ..

إلى من أعلى من شأن الجامعات .. وقُدّس المتعلمين والطلاب بكل ما أوتي من حب وحكمة ..

إلى سيد الوطن

السيد الرئيس الدكتور بشار حافظ الأسد

إلى بطلي الأول في الحياة .. والحارب العظيم في هذه الدنيا .. إلى من ضحى بوقته وماله من أجل أن نكون ما نريد ..

إلى سندي وحبيب قلبي ..

والدي الغالي

إلى من ربّني وساندني .. وحملتني على كفوف الأمل .. إلى التي آمنت بي .. وقالت بأني سأصل ووصلت بفضل الله

وفضلها .. إلى بهجة الروح والفؤاد ..

أمي الحبيبة

إلى ضفائر قلبي .. وعنابر روحي .. ونبضات حيي ..

أخوتي

إلى رفاق الدراسة والتعب والنجاح ..

أصدقائي

كل أم شهيد ثكلى .. وأب مفجوع ..

وعائلة عانت الفقد ..

إلى أهالي أولئك القديسين الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم كي تبقى بلادنا قوية صامدة .. كي يحيا العلم وينثر النور ربوعه

في أرجاء الحبيبة سورية .. كي نبقي نحن ..

أهدي لكم هذا العمل المتواضع أمام عطاءات وتضحيات أبناءكم .. رحمهم الله ..

الصفحة	فهرس المحتويات
ج	شكر وتقدير
د	الإهداء
هـ	فهرس المحتويات
ك	دلالة الرموز المستخدمة في الدراسة
ل	ملخص الرسالة
ن	المقدمة
١	دراسة لأهم المصادر والمراجع المستخدمة في البحث
	التمهيد الجغرافي والتاريخي
١٧	أولاً: الموقع الجغرافي لإيران
٢١	ثانياً: أصل التسمية
٢٢	ثالثاً: نسب الساسانيين
٢٤	رابعاً: أوضاع الدولة الساسانية قبيل حكم قباد
	الفصل الأول الأوضاع الاجتماعية والدينية للدولة الساسانية في عهد قباد (٤٨٨-٥٣١م)
٢٨	أولاً: الحياة الاجتماعية
٢٩	١- الطبقة الأولى-الملوك والنبلاء
٢٩	أ- الملك
٣٢	ب-النبلاء

٣٢	١- الأسر السبع الكبيرة
٣٥	٢- البزرگان (العظماء)
٣٥	٣- الدهاقين
٣٦	٤- رئيس الوزراء
٣٨	٥- الوزراء
٣٨	٢- الطبقة الثانية- طبقة رجل الدين
٣٨	أ- الموبدان موبذ
٣٩	ب- الموبدان
٤٠	ج- الهرا بذة
٤٠	د- طبقة المغان
٤١	هـ- الموارد المالية الخاصة برجال الدين
٤٣	٣- الطبقة الثالثة- طبقة رجال الحرب
٤٣	أ- الفرسان الخالدون
٤٣	ب- الفرسان المتطوعون
٤٤	ج- الفرسان الفدائيون
٤٤	٤- الطبقة الرابعة- طبقة الكتاب (ديبران)
٤٥	٥- الطبقة الخامسة- طبقة الزراعة والصناع
٤٧	ثانياً: الحياة الدينية
٤٨	١- المعتقدات الدينية

٤٩	٢-الزراذشتية
٥١	٣-المانوية
٥٤	٤-المسيحية
٥٦	٥-البوذية
٥٧	٦-المزدكية
	الفصل الثاني الأوضاع الاقتصادية للدولة الساسانية في عهد قباد (٤٨٨-٥٣١م)
٦٠	أولاً: الزراعة
٦٣	١- ثورة مزدك
٦٣	أ- الظروف والعوامل المسببة للثورة
٦٦	ب- أسباب اعتناق قباد المزدكية
٧٠	ج- الصراع بين مزدك وقباد
٧٢	د- مقتل مزدك وسقوط المزدكية
٧٤	٢- إصلاحات قباد
٧٧	ثانياً: الصناعة
٧٩	ثالثاً: التجارة
٨٠	١- الطرق التجارية
٨١	٢- وسائل التعامل التجارية والعقوبات

٨١	٣- الأسواق التجارية
٨٥	٤- النقد
	الفصل الثالث
	الأعمال العسكرية لـ قباز على الجبهة الشرقية والغربية
٨٨	أولاً: على الجبهة الشرقية
٨٨	١- الهياطة
٨٨	أ- نشأة الهياطة
٨٩	ب- أصولهم التاريخية
٩٢	ج- الهياطة والدولة الساسانية
٩٣	د- حروب الدولة الساسانية ضد الهياطة قبيل عهد قباز
٩٦	هـ- السياسة الساسانية تجاه الهياطة في عهد قباز
١٠١	٢- حروب قباز ضد الخزر
١٠٣	ثانياً: على الجبهة الغربية
١٠٣	١- أرمينيا
١٠٣	أ- موقع أرمينيا الجغرافي
١٠٥	ب- الأهمية الاستراتيجية لأرمينيا
١٠٦	ج- السياسة الساسانية في أرمينيا قبيل عهد قباز
١٠٨	د- الصراع الساساني-البيزنطي في أرمينيا خلال حكم قباز
١١٣	٢- لازيكا

١١٣	أ- الموقع الجغرافي
١١٤	ب- الأهمية الاستراتيجية
١١٤	ج- الصراع الساساني - البيزنطي على لازيكاف في عهد قباد
	الفصل الرابع السياسة الساسانية في المنطقة العربية خلال عهد قباد (الجزيرة الفراتية - شبه الجزيرة العربية)
١٢٠	أولاً: الجزيرة الفراتية
١٢٠	١- الموقع الجغرافي
١٢١	٢- الأهمية الاستراتيجية للجزيرة الفراتية
١٢٢	أهمية مدينة الحيرة
١٢٢	٣- الساسانيون في الحيرة قبيل عهد قباد
١٢٤	٤- السياسة الساسانية في الحيرة في عهد قباد
١٢٤	أ- دور الحيرة في الصراع الساساني البيزنطي على الجزيرة الفراتية
١٢٩	ب- المنذر الثالث بن امرئ القيس بن النعمان بن ماء السماء
١٤٠	ثانياً: شبه الجزيرة العربية
١٤٠	١- الموقع الجغرافي
١٤٢	٢- الأهمية الاستراتيجية لشبه الجزيرة العربية
١٤٣	٣- الساسانيون في شبه الجزيرة العربية خلال عهد قباد
١٤٣	أ- أسباب الصراع الساساني - البيزنطي على الجزيرة العربية

١٤٥	ب- النشاط السياسي الساساني في شبه الجزيرة العربية
١٤٦	٤- اليمن
١٤٦	أ- الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية
١٤٧	ب- التنافس الساساني - الحبشي على اليمن
١٥٣	الخاتمة
١٥٨	الملاحق
١٦٥	المصادر والمراجع

دلالة الرموز المستخدمة في البحث

صفحة	ص
جزء	ج
قسم	ق
مجلد	مج
تحقيق	تح
ترجمة	تر
توفي	ت
العدد	ع
ميلادي	م
هجري	هـ
قبل الميلاد	ق.م
مراجعة	مر
طبعة	ط
دون تاريخ نشر	د. ت
دون مكان نشر	د. م
Volume	vol
page	p
Part	Pt
التقويم الهجري الشمسي (الفارسي)	هـ. ش
مطبعة	جاء خانه
طبعة	جاء
مجلد	جلد
قسم	قسمت

ملخص الرسالة

تتضمن رسالة "الدولة الساسانية في عهد قباد (٤٨٨-٥٣١م)" شرحاً مفصلاً عن الأوضاع الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية في عهد قباد، وحروبه وعلاقاته الخارجية. فمع وصول الملك قباد للحكم وجد نفسه أمام ميراث معقد من المشاكل كان على رأسها الأشراف، وسطوة رجال الدين، وتسلطهم حتى على الملوك، ونفوذهم المالي وثرواتهم الكبيرة من جهة، والمجاعة والفقر، والضرائب التي أثقلت كاهل الشعب من جهة أخرى، لذا فإن ميراثاً ثقيلاً كهذا حتم عليه البحث عن حليف قوي يدعمه في إحداث التغييرات في بنية المجتمع الساساني.

لقد مهدت الظروف السياسية والاجتماعية لظهور شخصية مزدك، الذي أعلن دعوته وثورته على الواقع الاقتصادي والاجتماعي في ظل الظروف الصعبة التي عصفت بالدولة الساسانية، بعد سلسلة من الحروب الخاسرة ضد الهياطلة والتي وضعت البلاد تحت نير دفع الضرائب لهم في سبيل دفع خطرهم عن الحدود الشرقية. وفي ظل واقع فرض التمايز الطبقي بين أفراد المجتمع، كان قد رسم معاملة أردشير واستمر حتى عهد قباد، فأضحى الانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى ضرباً من ضروب المحال إلا في حالات نادرة.

لقد جنحت العقيدة المزدكية في مبادئها وتعاليمها إلى تطبيق نظرية المشاع في الأموال والنساء وعدّها أساس يجب أن يركز عليه المجتمع، وهي أفكار تمثل بحد ذاتها ردة فعل للفوارق الطبقيّة، أي أنها وليدة الظروف التي عاشتها إيران في ذلك الوقت. وهذا ما فسر ترحاب الطبقات الدنيا المحرومة من الامتيازات بالمزدكية والانضمام إليها.

لقد شكل دعم قباد للثورة المزدكية في السنة العاشرة من حكمه تهديداً لأسس الحكم الساساني، حيث هددت هذه الثورة امتيازات الأشراف ورجال الدين، ووجد قباد في تبنيه لها وسيلة للحد من تسلط العظماء، الذين استطاعوا أن يوجهوا ضربة للمزدكية بعزل قباد عن الحكم وتعيين أخيه جاماسب (٤٩٧-٤٩٩م). غير أن تحولاً جذرياً قد طرأ على سياسة قباد تجاه المزدكية بعد عودته الثانية إلى الحكم بدعم من قوى خارجية (الهياطلة)، فقد اتصل قباد من الدعوة المزدكية، التي بدأت تهدد وتقوض مصالح العائلة المالكة وثرواتها. وكانت بداية النهاية لمزدك عندما دخل في صراع مع قباد حول مسألة وراثة العرش والذي انتهى بمقتل مزدك واستئصال شأفة أتباعه في عهد قباد وكسرى من بعده.

قام قبّاذ بالعديد من الإصلاحات الداخلية، ويمكن أن نسميها إصلاحات مبدئية لظالما لم تؤتي ثمارها في عهده، واستمر بها كسرى من بعده. وقاد سلسلة من الحروب على الجبهة الشرقية ضد الهياطلة واستطاع تشتيت شملهم، ورد هجمات الخزر عن البلاد. وعلى الجبهة الغربية دخل في صراع مع بيزنطة حول أرمينيا ولازيكا، ولم تنتهي حروبه مع بيزنطة في تلك المنطقتين بل تعدتها إلى المنطقة العربية في الجزيرة الفراتية وشبه الجزيرة العربية، لم يكن العرب بعيدون عن مسرح الصراع السياسي بين الدولتين، فلقد هيأت ظروف ذلك الصراع للمدن والمناطق الواقعة على التخوم الفاصلة بينهما لأن تتمتع بنوع من الاستقلالية، وأن تزيد نشاطها السياسي إلى درجة ساعدتها في أن تسهم في أحداث ذلك الصراع، وإقامة علاقة صداقة وتحالف مع القوى الكبرى في تلك الحقبة كما فعلت دولة المناذرة بوقوفها إلى جانب الساسانيين ودولة الغساسنة بوقوفها إلى جانب البيزنطيين، فأخذت على عاتقها كلا الدولتين حماية حدود الدولة الساسانية والامبراطورية البيزنطية، وشاركت في الحروب الدائرة بينهما كل منها إلى جانب حليفه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

لطالما شكّل التاريخ وحدة عضوية متصلة ومستمرة لا تتجزأ، فأن نظرة علمية ومنطقية لمسار حركة التاريخ والحضارة لأي مركز من مراكز الدول والحضارات لا يتم بصورة مستقلة بمعزل عن تاريخ الدول التي تجاوره، ولا يمكننا رسم صورة واضحة وجليّة عن مركز تاريخي وحضاري بحد ذاته ما لم تتم معالجة ودراسة الأحداث التاريخية المتصلة بمراكز الدول والحضارات المجاورة له، ومن هنا تبرز أهمية دراسة تاريخ الدولة الساسانية كأحد أهم الدول في الشرق القديم والتي تربعت على عرش فارس حوالي أربعة قرون وشغلت المدة من (٢٢٦-٦٥١م) وتمكنت من التوسع في أغلب أقاليم الشرق الأدنى القديم، وغدت الدولة الأقوى المنافسة للإمبراطورية البيزنطية وشكلت أحد أقطاب القوى السياسية والحضارية والفكرية التي لا يمكن إغفالها أو تجاوزها في صفحات كتب التاريخ القديم.

لقد شكّل القرن السادس الميلادي الحواف الختامية لحقبة التاريخ القديم، أو ما نسميه حقبة ما قبل الإسلام، هذه الفترة التي مثلت الازدهار السياسي والحضاري للدولة الساسانية التي لم تتل الاهتمام الكافي أو الدراسة الوافية التي تستحقها دولة بهذا الحجم، دولة مثلت أحد أكبر القوة في الشرق ولم يستطع أن يجري عظمتها ويقاسمها الأطماع والقوة والنفوذ إلا الامبراطورية البيزنطية في الشرق القديم. وعلى الرغم من أهمية الحديث عن هذه الحقبة التاريخية إلا أن قلة من المختصين والباحثين قد سعوا للخوض في دراستها، والتعمق في مجريات أحداثها، وكشف ما يكتنفها من غموض. لاسيما وأن أكثر ما ذكر عنها هو أساطير وقصص شعبية وروايات غير موثقة، ألفها الرواة لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الشخصية.

إن السعي للبحث حول الدولة الساسانية في عهد قباد (٤٨٨-٥٣١م) سيمكننا من معرفة التحولات الخطيرة والمتغيرات الكبيرة التي طالت البنى الاجتماعية والاقتصادية وأثرت على السياسة الداخلية والخارجية للدولة الساسانية، هذه التحولات التي جعلت من قباد الشخصية الحاكمة الفذة والجريئة التي حاولت السيطرة على الأوضاع والمتغيرات بما تقتضيه الحنكة

السياسية فحيناً يهادن وحيناً أخرى يراوغ ويهاجم كلما سمحت له الظروف الداخلية والتحالفات الدولية. فمع وصول قباد للحكم، وجد نفسه أمام ميراث معقد من المشاكل كان على رأسها القوة المفرطة للأرستقراطية، وسطوة رجال الدين وتكدس الثروات الهائلة بيدهم من جهة، وحالة الفقر والعوز والمجاعة التي هزت عامة الشعب في المجتمع الساساني نتيجة الحروب الخاسرة وثقل الضرائب التي أنهكت الطبقات المعدمة والتي حولت أبناءها إلى براكين راقدة تحت الرمال تحتاج إلى من يشعل فتيلها، ويحتوي غليانها. في ظل نظام طبقي ارتكز على الفوارق والتمييز رسمه أردشير وسار عليه ملوك بني ساسان من بعده. شكّل هذا الواقع تراكيمات اجتماعية حادة في نفوس عامة الشعب، وظهر الصراع على أشده في هذه الفترة بين الأطراف الثلاثة (الملك، رجال الدين، والأشراف)، صراع أدى لتغييرات وتطورات هامة في التاريخ الساساني تمثلت بمحاولة قباد فرض سلطته وتقوية قبضته الحاكمة في وجه الأشراف ورجال الدين الذين اعتادوا التدخل في صلاحيات الملك وتقويض سلطانه. ولم يجد قباد من بد سوى البحث عن قوة كبيرة يستند عليها في صراعه مع الارستقراطيين ورجال الدين، ولقد وجد ضالته بشخص مزدك الذي أعلن دعوته وقام بثورته على رجال الدين والأشراف ونشر أفكاره التي كان لها وقع كبير بين سواد الشعب كوقع النار في الهشيم، فزاد أتباعه وقويت شوكته حتى بدأ يشكل خطراً على قباد نفسه.

ولكي نكون موضوعيين، كان لا بد من الاعتراف بأن الأحداث التي تراكمت مع مدة حكم قباد لم ينقلها لنا التاريخ بشكل دقيق، وأنه لمن الصعوبة الاعتماد بشكل كامل على ما تناقلته المصادر وأقلام المؤرخين عن تلك الفترة، لذلك وجب تحكيم العقل واستدعاء المنطق في دراسة تلك التطورات التاريخية، سيما وأن حالة من التذمر والرفض والعداء واجهتها المزدكية من قبل رجال الدولة. ومن المعلوم أن التاريخ يكتب بأقلام الساسة وكتّاب البلاط والقصر، والذين كانوا من ألد أعداء المزدكية وبالتالي فأن ما قاله التاريخ عن فترة حكم قباد وعن دعوة مزدك كان رهناً باعتبارات دينية وسياسية أتت في مرحلة لاحقة لعصريهما، والتي جَانَبَ قسم كبير منها سيل من الشتائم والاتهامات والروايات المشكك بها، وللواقع فأن جزءاً واضحاً من هذه الكتابات الغير ودية تعتبر مصدرنا الوحيد إلى الآن عن مجريات الأمور في تلك الفترة. وتكاد تكون هذه النقطة من أبرز وأهم الصعوبات التي واجهت البحث.

ولهذه الأسباب فقد تخصص البحث بالخوض في فترة حكم الملك الساساني قباذ بين عامي (٤٨٨-٥٣١م) وتسليط الضوء على الانقلاب الثوري المزدكي والتطورات الكبيرة التي أدت لانقسام عرى المجتمع نتيجة الخطوة الجريئة التي أقدم عليها قباذ من تبنيه للمزكية إلى سعيه لإحداث برنامج إصلاح في ظل وجود قيود كثيرة فرضتها طبيعة التقاليد في المجتمع، وكان السبب الأهم لاختيار هذا لموضوع هو عدم وجود دراسة تخصصية عن حكم الملك قباذ وأوضاع الدولة الساسانية في عهده من الناحية الاجتماعية والدينية والاقتصادية وعلاقته بالمزكية، وسياسته وحروبه الخارجية وعلاقاته الدولية، ولكن على العكس تماماً لم يحظَ هذا الملك بدراسة وافية كغيره من الملوك، فالأبحاث عنه قليلة، وجزء كبير من الكتابات يشوبه النزعات والأهواء الخاصة، وهذا ما دفعنا للخوض في هذا الموضوع.

تألف البحث من مقدمة وتمهيد تاريخي وجغرافي وأربعة فصول، تناولت المقدمة أهمية الحقبة التاريخية المدروسة، وأسباب اختيار البحث والصعاب التي واجهتها خلاله، كما تناولت المقدمة دراسة للمصادر على اختلاف أنواعها واتبعت في المقدمة دراسة لفصول البحث الأربعة مع الخاتمة.

تضمن الجانب التمهيدي التاريخي والجغرافي الحديث عن الموقع الجغرافي لإيران وأصل الساسانيين ونسبهم كذلك إلقاء نظرة عامة على الأوضاع السائدة في الدولة الساسانية قبيل عهد الملك قُباذ.

الفصل الأول الأوضاع الاجتماعية والدينية للدولة الساسانية في عهد قُباذ

شمل هذا الفصل الحديث عن الأوضاع الاجتماعية في المجتمع الساساني والتي أصبحت نظاماً عاماً لا يمكن تجاوزه من خلال تحديد الطبقات ورسم الهرمية الاجتماعية التي إذا ما سحب حجر منها تهافت أركانها واهتزت. ومن هذه الطبقات طبقة الملوك والنبلاء وطبقة رجال الدين وطبقة رجال الحرب وطبقة الكتّاب وطبقة الزّراع والصناع.

وأما بالنسبة للأوضاع الدينية فقد تم إلقاء نظرة على الدين الرسمي للدولة الزرادشتية ونفوذ رجال الدين من خلال معرفة تقسيماتهم الدينية وأملاكهم ونفوذهم السياسي والاجتماعية ومن ثم علاقتهم بالأديان الأخرى لاسيما المعتقدات القديمة والزرادشتية والمانوية والبوذية والمزكية والمسيحية.

وُخصّص الفصل الثاني للبحث في الأوضاع الاقتصادية في الدولة الساسانية في عهد الملك قُباد لاسيما الزراعة التي تضمنت ظهور مزدك وثورته وأسبابها وإعلان دينه الجديد الذي استقطب عامة الناس من خلال تعاليمه التي أكدت الحرية والمساواة بين الناس جميعاً، كما شمل الفصل الحديث عن الصراع بين قُباد ومزدك ومقتل مزدك وسقوط المزدكية، كما تضمن إصلاحات قُباد، وتناول هذا الفصل الحديث عن الصناعة وأهم الصناعات والتجارة والطرق التجارية ووسائل التعامل التجارية والعقوبات ودور الأسواق في جعل الأقاليم الساسانية قبلة للتجارة الدولية من الشرق والغرب وكونها مركز للتبادل الحضاري فيما بين الشعوب، وكذلك الحديث عن العملات النقدية الساسانية.

أما بالنسبة للفصل الثالث فقد تناول الأعمال العسكرية للملك قُباد على الجبهة الشرقية والغربية، وشمل الحديث عن حروب قباد على جبهتين، الجبهة الشرقية وتمحور الحديث عن الهياطلة ونشأتهم وأصولهم التاريخية والدور الذي لعبوه في الدولة الساسانية وحروب الدولة الساسانية ضد الهياطلة قبيل عهد قُباد والسياسة الساسانية تجاه الهياطلة في عهد قُباد، كذلك تضمنت الجبهة الشرقية الحديث عن الخزر وأصلهم وحروب قُباد ضدهم.

أما على الجبهة الغربية فقد ظهر الصراع على أشده بين الدولة الساسانية والامبراطورية البيزنطية حول المناطق الاستراتيجية والحدودية في مناطق النفوذ التابعة لكلا الدولتين اللتين مثلتا قطبا القوى ومحوري الصراع الأساسيين في كل من أرمينيا والتي تناول البحث الحديث عن موقعها الجغرافي وأهميتها الاستراتيجية والسياسة الساسانية في أرمينيا قبيل عهد قُباد، وشرح البحث بالتفصيل الحروب التي دارت بين قباد وأباطرة بيزنطة حو أرمينيا وأسباب هذه الحروب وما تمخض عنها. كما تضمنت الجبهة الغربية الحديث عن لازيكا وموقعها الجغرافي وأهميتها الاستراتيجية والصراع الساساني - البيزنطي على لازيكا في عهد قُباد. وكيف استطاعت هذه المنطقة أن تلعب دوراً محورياً في الصراع بين بيزنطة وفارس.

وجاء الفصل الرابع للبحث في السياسة الساسانية في المنطقة العربية خلال عهد قُباد (الجزيرة الفراتية، وشبه الجزيرة العربية)، فقد تناول الشق الأول من الفصل الرابع شرحاً عن الأحداث السياسية وعلاقة الساسانيين بالعرب في الجزيرة الفراتية، وشمل الحديث عن الجزيرة الفراتية الموقع الجغرافي وأهميتها الاستراتيجية لاسيما مملكة الحيرة وممن تزامن عهده من

ملوكها مع حكم الملك قُباد، وكيف كان وضع الحيرة قبيل عهد قُباد، وطبيعة السياسة الساسانية في الحيرة في عهد قُباد، ودور الحيرة في الصراع الساساني - البيزنطي على الجزيرة الفراتية. كما تضمن هذا الفصل الحديث عن شبه الجزيرة العربية وأهميتها الاستراتيجية وأوضاع الدولة الساسانية في شبه الجزيرة العربية خلال عهد قُباد وتناول البحث الحديث عن أسباب الصراع الساساني - البيزنطي على الجزيرة العربية، والنشاط السياسي الساساني في شبه الجزيرة العربية، والتنافس الساساني - الحبشي على اليمن.

في ختام البحث لا بد من ذكر النتائج التي توصل إليها البحث في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأثر التغييرات التي طرأت على البنية السياسية والاجتماعية والدينية في الدولة الساسانية في عهد الملك قباد، ولا شك أنه كان لسياسة هذا الملك وأعماله وإصلاحاته، ومحاولاته الدؤوبة لإحداث تغييرات جذرية في البلاد، كان لها الدور الكبير في رسم الخارطة السياسية والاجتماعية التي سارت عليها الدولة الساسانية حتى بعد وفاة قباد.

وفي النهاية لابد من توجيه أسمى آيات الاحترام والعرفان للنجمة التي سطعت في تاريخ الشرق القديم، وتاريخ فارس، أستاذتي الدكتورة أرواد العلان، التي أشرفت على هذا العمل بكافة تفاصيله، ومدت البحث ما يلزم من ملاحظات وتوجيهات ساهت في إغناء العمل، بالإضافة إلى أنها عملت على تأمين المصادر والمراجع المفيدة التي أفادتني في بحثي كل الإفادة، وبالتالي فإنها كانت وستبقى المعلمة والملهمة، والمثل الأعلى، والأخت الحنون، وأسأل الله بأن يمدّها بالصحة والعافية، وأن يطيل عمرها، لتبقى نبعا لا ينضب لكل طالب علم وذخرا مهماً لوطننا.

وأخيراً كل الشكر لأعضاء لجنة الحكم الموقرين، حيث ستكون ملاحظاتهم القيمة موضع الاهتمام والتقدير، لتدارك أي نقص أو خلل في الأطروحة، لكي تبصر النور، وهنا لا بد من التنويه أن الأستاذ الدكتور عبد المجيد حمدان قد أشرف على تدريسي في المرحلة الجامعية الأولى في جامعة البعث، وفي السنة الأولى للماجستير في جامعة دمشق، وبالتالي له فضل لا ينسى، وعرّفان لا يُقدّر بثمن، والشكر كل الشكر للأساتذة الدكتور جهاد عبود، والدكتورة لينا محسن والدكتورة ميسون المرعشلي لقراءتهم لهذه الأطروحة، ومشاركتهم في الحكم عليها.

وبعد.... فهذا خلاصة جهد وصبر ومثابرة لإكمال هذا البحث، فقد تم محاولة تقديم صورة متوازنة تعتمد على الدقة وتحري الحقيقة ومحاولة الكشف عن بعض الجوانب الغامضة بما توفر من مصادر في دراسة هذا الموضوع. وغاية ما أتمناه أن أكون قد وُفِّقت في أداء مهمتي، فيكون جهدي المتواضع خطوة مفيدة مع التماس العذر إنْ أخطأت أو قصَّرت، فهي من صفات الإنسان والكمال لله وحده، ولا أدَّعي أن تلك الدراسة قد بلغت حدَّ الكمال، فذلك طموح ليس من السَّهل مناله، ولكن أقول إنَّها دراسة علميَّة في طريق البحث الأكاديمي. والله ولي التوفيق.

دراسة لأهم المصادر والمراجع المستخدمة في البحث

تعد ندرة المصادر في التاريخ القديم من أهم العثرات التي تواجه الباحث، لذلك يجد الباحث نفسه مضطراً للاعتماد على أكثر من نوع منها كالمصادر الإغريقية والعربية والفارسية وغيرها، وكونه لا يمكن الاعتماد على نوع واحد من المصادر الذي قد يكون قاصر عن تصوير المعلومة بالدقة المطلوبة، فقد كان لا بد من الاعتماد على المصادر الأخرى لإكمال النقص ولإغناء البحث فجاءت المصادر في هذا البحث متعددة ومتنوعة سيتناول البحث الحديث عن جزء منها بشيء من التفصيل.

أولاً: المصادر الكلاسيكية

تشكل المصادر الإغريقية ركناً هاماً من الأركان التي تزودنا بالمعلومات المتعلقة بموضوع البحث، وتأتي أهمية هذه المصادر من كون معظم الكتاب الإغريقين الذين كتبوا وألفوا قد عاصروا الحقبة المدروسة، بالإضافة إلى المعلومات الدقيقة التي جاؤوا بها، وتوفر هذه المصادر باللغات الحية.

بروكوبيوس القيصري Procopius Of Caesarea (٤٩٠-٥٦٢م)

تعد مجموعة كتب بروكوبيوس من أهم المصادر الأساسية لعدة جوانب من البحث، لما تحتويه من معلومات سياسية ودبلوماسية. ولد بروكوبيوس في فلسطين، وكان شديد الاهتمام بالشعوب التي لا تتكلم اليونانية، درس القانون في مدرسة بيروت، الأمر الذي أتاح له الفرصة لكي يصبح مستشاراً للقائد العسكري بليزاريوس الذي كلف بمهام عسكرية وحروب عديدة ضد الساسانيين. كان بروكوبيوس شاهد عيان، واطلع على كثير من خفايا الأمور وقام بتدوين الحقبة الهامة التي تتعلق بالحروب بين بيزنطة وفارس^(١) والتي أفاد منها البحث بشكل كبير.

وضع بروكوبيوس مؤلفات ثلاثة أو ربما أكثر، ولكن ما وصل إلينا ثلاثة، الأول كتابه عن الحروب في ثمانية أجزاء History Of The Wars. والعمل الثاني ويقع في ستة أجزاء ويسمى

-(1)Procopius, The Secret History, Translated By A. Williamson, Penyuin Book, 1996, pp.7,8.

المباني The Building. أما العمل الثالث كان كتابه التاريخ السري The Secret History وقد وصل على شكل مجلد واحد.

وما يهم البحث من كتب بروكوبيوس هو كتابه عن الحروب History Of The Wars والذي انفرد في الجزء الأول والثاني منه في الحديث عن الحروب البيزنطية - الساسانية، والذي أفاد من معلوماتهم البحث بشكل كبير في الحديث عن تفاصيل الحروب التي قامت بين الدولة الساسانية في عهد قباد، وبين الامبراطورية البيزنطية في عهد أناستاسيوس الأول (٤٩١-٥١٨م) وجوستين الأول (٥١٨-٥٢٧م) وجوستينيان الأول (٥٢٧-٥٦٥م)، فقد كان بروكوبيوس شاهداً حياً على المعارك التي كانت تدار بين الطرفين، لذا أتت كتاباته وهي تحمل الدقة والصحة في كثير من أخبارها.

ثانياً: المصادر التاريخية العربية

تعد المصادر العربية واحدة من المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة التاريخ القديم، ولكن مع أخذ بعض الحيطة والحذر، لعدة أسباب منها عدم معاصرتها للأحداث وعدم ذكرها للمصادر التي تأخذ منها. بالإضافة لذلك فإنها عادت في العديد من مصادرها إلى أوائل الإخباريين كابن الكلبي وابن الجهمي، فهم لم يعاصروا الأحداث وقد سار على خطواتهم العديد من المؤرخين العرب كالطبري والمسعودي وغيره. إلا أنه رغم المآخذ العديدة على المصادر العربية الإسلامية إلا أنها ترقى لمستوى المصادر الموثوقة فيما يتعلق بتاريخ العرب القديم، وخاصة الحقبة القريبة من الإسلام. وتقسم المصادر التاريخية إلى فئات مختلفة:

١- كتب المعارف التاريخية

أ- الثعالبي (ت ٢٤٩هـ/ ١٠٣٧م) غرر ملوك الفرس وسيرهم

أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل النيسابوري. اشتغل أبو منصور باللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر، وجمع أشتات النثر والنظم، ورأس المؤلفين في زمانه باتساع علمه^(١). كان الثعالبي أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً وكان يؤدب الصبيان^(٢).

(١)- الباخريزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م): دمية القصر وعصرة أهل العصر، تح: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٩٦٦.

ولقد صنف الكثير من الكتب كان أهمها غرر ملوك الفرس وسيرهم وهو كتاب في التاريخ العام يقع في أربع مجلدات يعد كتابه غرر ملوك الفرس وسيرهم في مقدمة المصادر التي اعتمدها البحث. فقد تناول ملوك إيران منذ بداية دولتهم وحتى الأحداث التي جرت في عهد يزدجرد الثالث (Yazdigird III) (٦٣٢-٦٥١م) بعد موقعة نهاوند ودخول الإسلام إلى إيران. ولقد جمع الكتاب بين دفتيه أحداث تاريخ إيران القديم منذ البداية وحتى ظهور الإسلام. معتمداً على تسلسل الأحداث بأسلوب سهل وواضح، كان مؤلفه عبارة عن سرد للأحداث دون الدخول في أسبابها أو نتائجها أو تحليلها، كذلك فلم يعطٍ لعلاقة الفرس مع البيزنطيين اهتماماً كافياً في كتابه بالمقارنة مع الاهتمام الذي أولاه بالحديث عن التطور الداخلي للدولة ولعلاقة الملوك بالحاوية والشعب.

أفاد كتاب غرر السير هذا البحث في تغطيته لجوانب لم تكن المادة العلمية فيها معدومة ولكنها كانت ضعيفة الثقة فجاء ليؤكد أو ليوثق الأحداث، فقد تناول سني حكم كل ملك وأعماله بشكل منفصل عن ما سبقه أو لحقه من ملوك، واهتم بالأحداث الكبيرة التي واجهت الملوك خلال سني حكمهم كالثورة المزدكية وغيرها من الأحداث.

ب- أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢/٨٩٥م) الأخبار الطوال

هو أحمد بن داود بن وند^(١)، ولد في مدينة دينور^(٢) ونسب إليها. إيراني الأصل، اشتهر الدينوري بقدراته العلمية الكبيرة، وكان كثير التأليف في التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضيات والنحو والعلوم الدينية والوقت والأشياء، ومن أهم مؤلفاته التاريخية على الإطلاق تجلت في كتابه المعروف "بالأخبار الطوال"^(٣)، والذي يعد من أهم المصادر وفيه سرد كافٍ

(١)- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج ٣، ص ١٧٨.

(٢)- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م، ج ١، ص ٥٤.

(٣)- الدينور: من أهم مدن همذان، يرجع تأسيسها إلى فترة سابقة للإسلام، وهي الآن خرائب وأطلال ترتفع ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر. دائرة المعارف الإسلامية، تر: أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورسيد، عبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠م، ج ٩، ص ٣٧٢، ٣٧٣.

(٤)- النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن اسحاق (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م): كتاب الفهرست، تح: رضا تجدد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٠٦.

للأحداث المعاشية والسياسية والحربية عند الإيرانيين، وليس بين المؤرخين العرب وغيرهم من هو أقدر منه في معالجة تاريخ الفرس وعلى رواية تاريخ العرب في بلادهم.

استعرض الدينوري معلومات هائلة عن الفرس اتصفت بالشمولية والدقة، ولم يعتمد التأريخ الحولي في عرض أخباره؛ أي ذكر الحوادث على السنين، وإنما روى الأحداث من بدايتها إلى ما صارت إليه، ما جعل تاريخه فريداً في منهجه وأسلوبه، حيث استعرض الحياة السياسية بشكل مفصل من جميع جوانبها بأسلوب واضح فذكر أسماء بعض ملوك فارس، وتطرق في كلامه لأهم المراحل التي مرت بها بلادهم حيث أشار إلى أهم المجريات والإنجازات في كل مرحلة^(١). كما كشف النقاب حول علاقات الفرس الخارجية، والتي اتسمت بالصراعات والحروب مع غيرها من الدول، كالعرب والروم^(٢). وأورد معلومات دينية قليلة، فبين ديانة الفرس الرسمية (المجوسية) حيث ذكرها الدينوري بالزرادشتية. وأشار إلى أهم الفرق الدينية التي سادت في بلادهم كالمناوية، وكان ظهورها في عهد الملك سابور الأول (Shapur I) (٢٤١ - ٢٧٢م)، والمزدكية في عهد الملك قباد "Kawadh I" (٤٨٨-٥٣١م)^(٣).

ولم يتطرق للحديث عن الحياة الاجتماعية بشكل مفصل، فقد تناول أخلاقيات ملوك فارس وصفاتهم دون أن يتحدث عن عادات وتقاليد الفرس وأطمعتهم وأعيادهم ومجال لهوهم. أما عن الحياة الاقتصادية في بلاد فارس، فقد قدم عنها معلومات بسيطة، واختص بذكر الضرائب المفروضة على بعض المناطق التي تخضع لسيطرة ملوك فارس أثناء حروبهم^(٤).

ج- اليعقوبي (ت ٢٩٢/٩٠٥م) تاريخ اليعقوبي

هو أحمد بن اسحاق (أبو يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح^(١)، لقب بالإخباري^(٢) بسبب بسبب اشتغاله بالكتابة والتدوين واهتمامه بالأخبار^(٣).

(١) - الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داؤود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، ضبطه: محمد سعيد الزّافع، مكتبة السعادة، ط١، مصر، ١٣٣٠هـ/١٩١١م، ص ٩٢.

(٢) - الدينوري، الأخبار، ص ٦٨-٧٥.

(٣) - الدينوري، الأخبار، ص ١١٤-١١٧.

(٤) - الدينوري، الأخبار، ص ١٠٧-١٣٣.

يتألف كتاب التاريخ موضوع الدراسة عند اليعقوبي من جزأين، الأول يبدأ بالخلقة مستعرضاً سيرة الأنبياء والرسل، وتاريخ الفرس والعرب قبل الإسلام، إضافة إلى تاريخ الآشوريين والبابليين والهنود والصينيين واليونان والمصريين والترك والزنج^(٤). وقد خصص الجزء الثاني للتاريخ الإسلامي، مبتدئاً بمولد الرسول (ص) وغزواته حتى وفاته، ثم تتبع تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين حتى أحمد المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ / ٨٧٠-٨٩٢م)^(٥).

وقد أفاد اليعقوبي البحث من خلال معلوماته الهامة التي قدمها عن بلاد فارس، من حيث استعراض التطورات السياسية، فتناول الفترة الأولى من حكمهم، وقد اكتفى بعرض موجز وسريع لملوك الفرس الأوائل دون الخوض في تفاصيلهم، كما أنه لم يتطرق في حديثه إلى ذكر جميع ملوكهم^(٦). وكان تركيزه في حديثه عن الفترة الساسانية من عهد أردشير بن بابك مؤسسها إلى آخر ملوكهم يزدجرد، كما أشار إلى بعض التفاصيل التي تخص كل ملك بشكل مختصر، وانفرد ببعض التفاصيل عن غيره وعرضها بأسلوب واضح ومتسلسل^(٧).

(١) الزركلي، خير الدين: الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٩٥.

(٢) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم الأدباء، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ١٥٦.

(٣) ملحم، عدنان محمود: المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٤٥.

(٤) الدوري، عبد العزيز: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، ١٨٣٠م، ص ٥٩.

(٥) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٥٠٧.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ١٥٨.

(٧) مصطفى، شاکر: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط ٣، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٤٩-٢٥٣.

د- الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ/٨٣٩-٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك

هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري^(١)، مفسر ومؤرخ ولد بآمل^(٢). يمثل كتاب تاريخ الرسل والملوك أو "تاريخ الأمم والملوك"^(٣) أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب، يتألف العمل من أحد عشر جزءاً، ويمكن أن يقسم العمل إلى قسمين: الأول ما قبل الإسلام: منذ بدء الخليقة ولغاية البعثة النبوية الشريفة، وهذا القسم تناول فيه بدء الخليقة، وهبوط آدم وحواء، وقصص الأنبياء وصولاً لمحمد (ص) قبل الهجرة^(٤). وكذلك أرخ في هذا القسم للأمم: فذكر تاريخ الفرس وخصوصاً وخصوصاً تاريخ الساسانيين المتأخر، وأخذ حيزاً كبيراً من تاريخ الطبري، لأنه قريب عهد بما دونه الرواة والإخباريون عن علاقة العرب بالفرس^(٥). وفي القسم الثاني تناول التاريخ الإسلامي منذ عهد عهد الرسول (ص) حتى عام (٣٠٢هـ/٩١٤م).

يؤخذ على الطبري أنه لم يعرض مادته للنقد فوقف خارج الأحداث والروايات وألقى عهدة كل أمر على رواه. ولم يذكر المصادر التي نقل منها فيقول: "قال نسابو الفرس وعلمائهم"، أو "قالت الفرس"^(٦).

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت١٣٤٧هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١٤، ص ٢٦٧.

(٢) آمل: أكبر مدينة بطبرستان في السهل، وهي مدينة مازندران الحالية. اشتهرت بعمل السجادات الطبرية، والبسط الحسان، وقد تخرج منها كثير من العلماء منهم الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهور. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط ١، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٥-٦.

(٣) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها المعروف بتاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج ٢، ص ١٦٣.

(٤) الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٣م، ج ١، ص ٩-٦٣٧.

(٥) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٣٧-٦٥٧.

(٦) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ١٥٤-١٦٧.

هـ - المسعودي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجواهر، التنبيه والإشراف.

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود^(١)، ولد المسعودي بإقليم بابل من أرض العراق. وأشار إلى ذلك بقوله "وأوسط الأقاليم الذي ولدنا به هو إقليم بابل، وولد في قلوبنا الحنين إليه إذ كان وطننا ومسقطنا"^(٢).

من أهم مؤلفات المسعودي كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر فهو من أعظم المصنفات العربية، حيث شرع المسعودي في تأليفه سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٤م) وتحدث فيه المسعودي عن التاريخ منذ بداية الخليقة، وأخبار العالم، وأخبار الأنبياء والملوك، ورتب المواضيع ترتيباً موضوعياً راعى فيه التسلسل الزمني^(٣). ووضع المسعودي في هذا الكتاب تاريخاً عاماً يقع في مائة واثنان وثلاثون باباً. أفاد كتابه البحث بمعلومات قيمة تناولت الحياة السياسية في بلاد فارس، واستعرض ملوك الدولة الساسانية مبتدئاً بأول ملوكهم وأشهرهم أردشير بن بابك، إلى آخر ملوكهم يزيدجرد^(٤)، وكشف النقاب عن حياة الملوك من حيث ألقابهم، وظهورهم للعامة، ووفاتهم. وتحدث عن مظاهر الحياة الاجتماعية، وخاصة نظام الطبقات، وتناول العادات الاجتماعية^(٥). وأورد المسعودي معلومات متنوعة عن الديانة السائدة في بلادهم الزرادشتية^(٦).

(١) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٩٧. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجواهر، تح: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج ٢، ص ٥٨.

(٣) الخربوطلي، علي: المسعودي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٩.

(٤) المسعودي، مروج، ج ١، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٥) المسعودي، مروج، ج ١، ص ١٣٩-٢١٧.

(٦) المسعودي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص ٩٥-٩٦.

أما كتاب **التنبيه والإشراف**، فيعد هذا الكتاب من آخر الكتب التي ألفها المسعودي وهو كتاب عام في التاريخ والجغرافيا، واشتمل على عدة موضوعات تحدث فيها عن العقائد والأديان والفلسفة والأرض والفلك والنجوم^(١).

و- ابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠هـ/١١٦٠-١٢٣٣م) الكامل في التاريخ

هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أمضى معظم حياته في الموصل، كما زار عددا من المدن الشامية، له عدة مؤلفات أبرزها على الإطلاق "الكامل في التاريخ"^(٢). والذي اعتمد فيه على المنهج الحولي، ولكنه استطرد أحيانا كثيرة في نقل الخبر، يتألف كتابه الكامل في التاريخ من أحد عشر جزءاً، شمل تاريخ الإسلام من أقصى بلاد الهند إلى أقصى بلاد المغرب والأندلس. وهو كتاب عام منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤلف، وأعطى الأحداث المهمة عناوين ضمن السنة وأقام قدر استطاعته توازناً بين أخبار المشرق والمغرب، ولكن على الرغم من ذلك فإن أخباره عن الإيرانيين تخللها بعض الأساطير والخرافات^(٣).

٢- المصادر الجغرافية وكتب الرحلات

وهي المصادر التي توضح الإطار المكاني للمواقع التاريخية التي جرت بها الأحداث، ولا يمكن لأي بحث أن يكون واضحاً دون الربط بين الزمان والمكان الذي يوضح سير الأحداث التاريخية، ومن هنا تأتي أهمية المصادر الجغرافية وضرورة إغناء الأبحاث التاريخية بها.

أ- ابن خردزبة (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٣م) المسالك والممالك

هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خردزبة، مؤرخ وجغرافي، فارسي الأصل، ولد وعاش في بغداد، وقد صنّف عدة مؤلفات منها كتابه المسالك والممالك^(٤)، والذي تحدث فيه عن صفة

(١) المسعودي، التنبيه، ص ٦-٧.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج ١، ص د- هـ.

(٣) مصطفى، التاريخ، ج ١، ص ٩٦-٩٧.

(٤) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر شهاب الدين (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): لسان لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧١م، ج ٤، ص ٩٦-٩٧.

الأرض، وقبلة أهل كل بلد، كما ذكر ملوك الأرض في أول الزمان. وأفاد البحث في معرفة مواقع بعض الأماكن الجغرافية.

ب- ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الأرض

هو أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل، جغرافي ورحالة عربي^(١)، صنّف كتاباً هاماً في الجغرافيا حمل عنوان "صورة الأرض" تمت الإفادة منه في تحديد العديد من المواقع التاريخية، وتحديد مواقع المدن، وتقديم تفاصيل عن الأقوام، كما أنه لا يخلو من الإشارة إلى الأحداث السياسية وتحديداً التي عاشتها الدولة الساسانية، فتحدث عن الضرائب ووصف الوضع الاقتصادي والمعيشي، وقد أفاد البحث من هذه الناحية بشكل كبير.

ج- المقدسي (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ولد في مدينة القدس وعمل بالتجارة، الأمر الذي ساعده على التنقل بين عدة بلدان وقيامه بتأليف كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" الذي أفاد البحث بتحديد العديد من المواقع الجغرافية التي أدرجت في نطاق الأحداث التاريخية.

د- الحموي (٥٧٤-٦٢٦هـ/١١٧٨-١٢٢٨م) معجم البلدان

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار الملقب شهاب الدين، من مشاهير المؤلفين المسلمين لم تقتصر كتابته على الجغرافية بل كتب في الأدب والتاريخ أيضاً^(٢).

كتابه معجم البلدان موسوعة جغرافية تاريخية، صنّفها على حروف المعجم في خمسة أجزاء، والتزم ترتيب كل كلمة منه على أول حرف وثانيه وثالثه فجاء مصنّفه هاماً دقيقاً سهل الاستعمال. أفاد البحث في معرفة مواقع الأماكن المطلوبة.

ثالثاً: المصادر الفارسية

تشكل المصادر الفارسية عماداً هاماً من أعمدة البحث، كونها تتصل به وتمس بتاريخ إيران بشكل مباشر، وكون المصادر الأخرى التي تم الاعتماد عليها لا يخلو جزء منها من العنصرية

(١) الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١١١.

(٢) الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ط ٢، بيروت، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٧.

والتعصب لقومية معينة، ولكن في الوقت نفسه لا ننفي هذا عن المصادر الفارسية. لذلك كان لا بد من العودة إلى هذه المصادر من أجل الاطلاع والمقارنة للوصول إلى نتائج منطقية تخدم البحث العلمي بمعلومات تتسم بشيء من الدقة.

١- الفردوسي (٣٢٩-٤١١هـ/٩٤١-١٠٢٠م) الشاهنامه

أبو القاسم منصور بن فخر الدين أحمد بن فرّخ الفردوسي. ولد عام ٣٢٩هـ/٩٤١م في مدينة طوس^(١). وهو على رأس شعراء إيران الذين حفظوا شهرتهم إلى اليوم بتأليفه الشاهنامه والتي عمل ثلاثين سنة في نظمها فجاءت في حوالي ستين ألف بيت في جزأين، وتوفي عن عمر يناهز الثمانين عاماً ٤١١هـ-١٠٢٠م^(٢).

للشاهنامه مكانة ممتازة في آداب العالم^(٣)، وتحلّ أهمية كبيرة في الاطلاع على تاريخ فارس وحكامها وتوضيح أهم الأحداث التي جرت في عهودهم، منذ العهد الأسطوري حتى نهاية العهد الساساني، تحدثت الشاهنامه عن جميع ملوك فارس وسني حكمهم وبنيتهم ونسائهم ضمن ترتيب وتسلسل زمني وتاريخي^(٤).

٢- ناصر خسرو (٣٩٢-٤٨١هـ/١٠١٣-١١٠١م) سفر نامه

أبو المعين ناصر بن الحارث القبادياني البلخي. ولد في قباديان^(٥) ببلخ عم ٣٩٢هـ، كثرت مصنفاته الأدبية التي كان أهمها سفر نامه وهو كتاب يحتل مكانة جغرافية هامة لأن ناصر خسرو كان حريصاً على وصف كل إقليم يزوره وصفاً دقيقاً سواءً من الناحية الجغرافية أو السياسية. تميز أسلوبه ببعده عن التكلف والمغالاة، فكان غني بالمعلومات واضح سهل التناول والفهم^(٦).

(١) طوس: مدينة في خراسان، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٤م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٤١١.

(٢) الفردوسي، منصور بن فخر الدين (ت ٤١١هـ/١٠٢٠م): الشاهنامه، تر: الفتح بن علي البنداري، قارنها وأكمل ترجمتها عبد الوهاب عزام، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٤١-٦٧.

(٣) بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيتش: تاريخ الحضارة الإسلامية، تر: حمزة طاهر، دار المعارف، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٧٢.

(٤) الفردوسي، الشاهنامه، ج ١، ص ٧١-٧٣.

(٥) قباديان: من نواحي بلخ. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٤٤.

(٦) جمعة، بديع محمد: من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٤١-٤٣.

٣- ابن البلخي، فارس نامه

لم يتمكن البحث من الوصول إلى معلومات أوفى عن ابن البلخي، وكل ما ورد في كتابه لا يعدو سوى إشارات لا تلقي إلا القليل من الضوء على حياته، وخلاصة ما يمكن معرفته أن المؤرخ من أسرة بلخية عاشت في إيران، فولد ونشأ في هذه البلاد وإليها نسب (البلخي). عمل في استيفاء ضرائب إيران ثم في الجهاز الإداري في عهد السلطان السلجوقي بركيا روق^(١) (٤٨٦-٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٦م) يعد كتاب فارس نامه من أهم المصادر الفارسية لأنها خلاصة معلومات كاتبها الجغرافية والتاريخية، إذ ضم تواريخ ملوك الفرس الذين حكموا في فارس^(٢). وقد أفاد البحث في تقديمه شرحاً مفصلاً عن الملوك الساسانيين جميعاً وعن أوضاع إيران خلال مدة حكمهم ونشاطهم الداخلي والخارجي.

٤- رسالة تنسر

من المصادر التاريخية الهامة التي تناولت الأحداث الداخلية للدولة الساسانية. النسخة المتوفرة من هذه الرسالة مكتوبة باللغة الفارسية وموجودة في طهران عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م. اعتمد تنسر على مصادر هامة مثل كتاب دينكرد الذي يتناول الجوانب الدينية في الدولة الساسانية. أفادت المعلومات التي قدمها تنسر في معرفة الأحوال الاجتماعية للدولة الساسانية. ومما يؤخذ على الكتاب أن الترجمة الفارسية جاءت مقتضبة تدلي ببعض الإشارات من غير توضيح للحدث التاريخي. وكذلك الأمر بخصوص مزدك فهو لم يشر بشكل مباشر وواضح عليه ولكنه تطرق إلى مشاكل الكفر والبدعة التي كانت موجودة في العصر آنذاك دون ذكر اسم مزدك^(٣).

(١) بركياروق: ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق بن تغلق التركي. يلقب ببهاء الدولة، تملك بعد أبيه، تميزت أيام حكمه بدوام الحرب الأهلية بين التركمان وبالانفراط الفعلي لوحدة الدولة السلجوقية وتمزقها إلى عدة دول، ثم بدخول الصليبيين إلى بلاد الشام واحتلال أجزاء كبيرة منها. الذهبي، سير، ج١٩، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) ابن البلخي (ت بعد ٥١١هـ/١١١٧م): فارس نامه، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٤.

(٣) تنسر، أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام، تر: يحيى الخشاب، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٣٨.

٥- الطوسي، سياست نامه (٤٠٨-٤٨٥/١٠١٧-١٠٩٢م)

هو حسن بن علي بن اسحق الطوسي، وزير السلاجقة المشهور، الذي تمكن من أن يصبح كاتباً لدى حاكم بلخ، وهناك تعرف على ألب أرسلان^(١) (٤٥٦-٤٦٧هـ/١٠٣٦-١٠٧٥م) الذي اتخذهُ وزيراً، وبقي في خدمة ابنه ملكشاه^(٢) (٤٦٧-٤٨٥هـ/١٠٧٥-١٠٩٢م) يدير أمور الدولة السلجوقية الواسعة حتى أصبح لقبه نظام الملك، وقد صَنَّف كتاب سياست نامه بناءً على طلب ملكشاه، حيث بسَّط فيه قواعد السياسة وأصول الحكم ووضع فيه خلاصة تجاربه الطويلة الممتدة على أربعين سنة، فجاء في تسعة وثلاثين فصلاً، كتبه على البديهة دفعة واحدة ثم أصلحه وأضاف إليه ما جعله خمسين فصلاً، ولقد احتوى الكتاب على مجموعة كبيرة من الأخبار والروايات التاريخية وضم العديد من الآراء السياسية وكان واحداً من أنبغ الوزراء الذين ظهوروا في المشرق. وقد تم الاعتماد على كتاب سياست نامه في الحديث عن الأحوال السياسية في الدولة الساسانية، والحديث عن النظام الطبقي ومنعكسات المتغيرات الدينية على الأحوال الاجتماعية.

رابعاً: المراجع الفارسية:

كان للكتب والمراجع الفارسية حضور بارز في تدوين تاريخ الدولة الساسانية وأهمهم: كتاب "سلطنت قباد وظهور مزدك" لـ آرثر كريستنسن والذي يعد من الكتب الهامة التي تناولت علاقة قباد مع مزدك، واعتمد كريستنسن في تدوين الأحداث على عرض الروايات التي تناولت هذا الموضوع، ونظراً لأهمية أحداث الدعوة المزدكية وما كان لها من آثار في المجتمع الساساني وفي البنية الداخلية للبلاد فقد أفرد كريستنسن كتاب خاص تناول فيها هذه الحركة بالإضافة إلى كتابه "تاريخ إيران في عهد الساسانيين".

(١) ألب أرسلان: ابن أخ طغرل بك المؤسس الحقيقي للدولة السلجوقية، تمرد على أخيه ووصل إلى العرش السلجوقي، وهو صاحب النصر في معركة ملاذكرد الشهيرة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ضد البيزنطيين ومات مطعوناً على يد أحد المتمردين. زكار، سهيل؛ محمد، أنس، تاريخ العصر العباسي الثالث، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ٢٠١٧، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) ملكشاه: ابن ألب أرسلان وكانت في عهده هجرة التركمان إلى بلاد الشام والجزيرة إخضاعها للحكم السلجوقي المباشر، ووجد مقتولاً بالسهم. زكار؛ محمد، تاريخ، ص ١٣٨.

كتاب "تاريخ إيرانيين وعربها در زمان ساسانيان" للمؤرخ نولدكه والذي يعد من الكتب المتميزة الذي اعتمده الكثير من المؤرخين والباحثين في دراستهم لتاريخ الدولة الساسانية، وأفاد منه البحث في الحديث عن مسألة وراثة العرش التي أثّرت في عهد قباد.

كتاب "تاريخ جنبش مزدك" للمؤرخ اوتاكركليما والذي تناول تاريخ مزدك من الظهور إلى الأفل وأعطى تحليلات هامة عن تلك الفترة.

كتاب "تاريخ مردم ايران" وكتاب "تاريخ ايران باستان" للمؤرخ عبد الحسين زرّين كوب، وهم من أهم الكتب الفارسية التي اعتمد عليهما البحث في توثيق حروب قباد سواء على الجبهة الشرقية ضد الهياطلة، أو على الجبهة الغربية ضد بيزنطة في أرمينيا.

كتاب "تاريخ باستانی ايران" للمؤرخ ريجارد فرای ، والذي وثق لتاريخ الدولة الساسانية، واعتمد عليه البحث في توثيق حروب قباد ضد بيزنطة، وأيضاً في الحديث عن الأوضاع الاجتماعية والنظام الطبقي وتسلط الأسرات السبع، حيث وضح فرای في كتابه بشيء من التفصيل عن طبيعة النظام الطبقي في الدولة الساسانية وتسلط رجال الدين وطبقة الأشراف والنبلاء وسيطرتهم على مفاصل الامور في الدولة الساسانية.

كتاب "افول وسقوط شاهنشاهی ساسانی" للمؤرخة پروانه پور شریعتي، والذي يعد من أهم الكتب الفارسية التي وثقت لأسباب سقوط الدولة الساسانية، حيث عالجت فيه المؤرخة النظام الطبقي والفروقات ضمن المجتمع الساساني والتي أدت إلى حدوث شرخ كبير بين الطبقات المتنفذة والطبقة العامة، وأفاد البحث من الكتاب في الحديث عن الوضع الاجتماعي في الدولة الساسانية في عهد قباد.

كتاب "تاريخ ايران" لـ سير برسی سايكس والذي تحدث عن تاريخ ايران القديم وأضاء على أحوال الدولة الساسانية الاقتصادية والمقومات التي كانت تعتمد عليها وكذلك تحدث عن الأحداث السياسية وحروب الدولة الساسانية في الخارج، وقد أفاد منه البحث بالعديد من الجوانب التي اختص الباحث بدراستها.

كتاب "زمينه ی اجتماعی قيام مزدكيان" لـ علي نيا الذي وضح فيه أحوال المجتمع قبل ظهور مزدك ونظام الطبقات الذي كان معمولاً به ومن ثم ظهور مزدك ومحاولته إحداث تغييرات في المجتمع وإباحة أملاك كبار رجال الدولة والنساء .

خامساً-المراجع الحديثة

بالنسبة للمراجع الحديثة المعربة والتي كتبها مؤرخون لهم باع طويل في الدراسات الإيرانية وتحديدًا الساسانية فقد أسهمت إسهاماً كبيراً وواضحاً في سد الثغرات التي تركتها قلة المعلمات ونقصها في المصادر التاريخية، فلقد أمدت البحث بمعلومات تفصيلية عن الدولة الساسانية والمتغيرات التي طرأت في عهد الملك قباذ وعلاقاته الخارجية سواء مع بيزنطة أو حروبه ضد الهياطلة أو علاقاته مع القبائل العربية. وكانت أهم هذه المراجع:

"العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي" للمؤرخة نينا فكتور فنا بيغوليفسكيا والذي قدم شرحاً واسعاً عن القبائل العربية على حدود بيزنطة، بدءاً من القرن الرابع وعن مملكة اللخمييين وأمراء الحيرة، وعن الغساسنة والعرب. وساعد البحث في التعرف على قبائل الشمال والحيرة.

"إيران في عهد الساسانيين" لـ آرثر كريستنسن؛ وهو أستاذ الدراسات الإيرانية في جامعة كوبنهاغن، وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ يحيى الخشاب، وقد اقسم الكتاب إلى عشرة فصول استهلها بملخص عما كانت عليه بلاد فارس قبل مجيء الساسانيين، ثم أورد التاريخ المفصل للدولة الساسانية من النشوء حتى السقوط، ويعد هذا الكتاب من أكثر الكتب التي أفاد منها البحث في تغطية الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والدينية في الدولة الساسانية.

"تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني" للأستاذ حسن بيرنيا والذي ترجمه إلى العربية الأستاذين محمد عبد المنعم والسباعي السباعي، تناول هذا الكتاب دراسة لتاريخ فارس بشكل شامل، حيث قسمه إلى خمسة أبواب، تناولت أربعة منها تاريخ بلاد فارس وما مر عليها من أسر حاكمة وقوى خارجية فرضت نفوذها عليها حتى ظهور الأسرة الساسانية والتي تركز الحديث عنها في الباب الخامس الذي تضمن أحداث عهد كل حاكم ساساني على حدة، ولم يهمل الجانب الحضاري في العصر الساساني من جميع النواحي الدينية والأدبية والفكرية والفنية.

وأخيراً:

أرجو أن أكون قد وُفِّقت بهذا البحث، في خدمة تاريخنا العربي بهذا الجهد المتواضع، وأتوجّه بالشُّكر الجزيل إلى كلّ من أسهم في تقديم العون والمساعدة سواء بالنصح أو التوجيه أو بتقديم المعلومات والكتب، حتى خرج هذا الجهد المتواضع إلى النور.

والله وليُّ التوفيق

نور محمد نصر

التمهيد الجغرافي والتاريخي

أولاً: الموقع الجغرافي لإيران

ثانياً: أصل التسمية

ثالثاً: نسب الساسانيين

رابعاً: أوضاع الدولة الساسانية قبيل حكم قباد

أولاً: الموقع الجغرافي لإيران

ارتبطت الجغرافيا بالتاريخ ارتباطاً وثيقاً، ولقد عدت العلاقة المتبادلة القوية بين الجغرافيا التي تمثل علم المكان والتاريخ الذي يمثل علم الزمان موضوعاً قديماً جداً، شغل فكر الإنسان منذ أن اهتم بدراسة طبيعة المجتمع البشري على سطح الأرض، والواقع أنه لا يمكن فصل عاملي المكان والزمان عن بعضهما، وكذلك لا يمكن الفصل بين التاريخ والجغرافيا. فبغير الأساس الجغرافي يبدو لنا أن الناس الذين يصنعون التاريخ كما لو كانوا يمشون في الهواء، فالتاريخ هو جغرافيا تقادمت والفصل بينهما كالفصل بين الأم ورضيعها.

تقع إيران في جنوب غرب آسيا، ويشغل القسم الأكبر من أرضها هضبة على شكل مثلث تمتد من نهر الهندوس ومرتفعات السند وجبال هندوكوش شرقاً إلى جبال زاغروس غرباً على مساحات واسعة تقدر بما يقرب من ١,٦٥٠,٠٠٠ كم^٢^(١). تنحصر الهضبة بين منخفضين هما الخليج العربي في الجنوب وبحر قزوين (كاسبيان Caspian Sea)^(٢) في الشمال، وتعرف هضبة بلاد فارس باسم "الهضبة الإيرانية"^(٣).

(١) فرزات، محمد حرب: مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها قبل الإسلام، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ١٠.
(٢) كاسبيان: بحر مغلق أو بحيرة ذات مياه مالحة، تمتد ما بين جنوب شرق أوروبا وآسيا، وتعد أكبر مسطح مائي داخلي في العالم، تبلغ مساحتها ١٦٩٠٠٠ ميل مربع، ومستوى مياهها ٥٨ قدماً تحت سطح البحر.

Strabo, The Geography of Strabo Literally translated with notes, The first six books by H.C. Hamilton, Esq. The remainder by W. Falconer, published by Henry, G, Bhon, London, 1856.Excerpt from Book II, chapter 1, Caspian.

(٣) Fisher, W.B, Physical Geography, In GambridgeHistort Of Iran, Vol 1, The land of Iran, Gambridge, 1968, p.5.

يحتل وسط الهضبة الإيرانية صحراء قاحلة تعد من أشد بقاع العالم جفافاً، وتقسّم إلى قسمين صحراء كافر "كوير" في الشمال وصحراء لوط في القسم الجنوبي، وتشغل الصحراء سدس المساحة العامة من الهضبة الإيرانية^(١).

يحيط بالهضبة مجموعة من الجبال، ففي الشمال تمتد سلاسل جبال البرز كقوس لا يتجاوز عرضه ١٠٠ كم يحيط بسواحل بحر قزوين من الجنوب، ويوجد في هذه السلسلة أعلى قمة تقع شمال شرق طهران بحوالي ٦٤ كم، وهي قمة دمافاند Damavand والتي يبلغ ارتفاعها ٥٦٠٤ م، وتسمى القمة في المصادر المسمارية بجبل بكني أي جبل اللازورد^(٢).

تتكون سلسلة جبال البرز من قسمين: هضاب تاليش في أقصى الغرب والشمال الغربي^(٣)، وجبال البرز في الوسط والشرق وتصل هضاب تاليش في الغرب إلى إقليم أذربيجان الذي يتميز بكثرة سكانه، ويطلق على أذربيجان عبارة "برزخ ميديا" إذ يمكن الدخول إليها بواسطة عدة طرق تؤدي لها من الشمال الغربي، والشمال، والشمال الشرقي. وتتمتع المنطقة بشهرة تاريخية خاصة، حيث ظهرت فيها سلاسل الميديين^(٤). ونظراً لطبيعة هذه المنطقة والتي تعتبر معبراً هاماً إلى إيران فقد عملت الدول والممالك التي تعاقبت على حكم فارس بالمحافظة عليها وتحصينها من الغزاة القادمين عبر القوقاز، ولا تزال آثار هذه الحصون باقية حتى الآن^(٥).

(١) باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل وجزيرة العرب وبلاد الشام وبعض الحضارات والأمم القديمة وبلاد إيران والإسكندر المقدوني والسلوقيون - اليونان والرومان)، دار الوراق للنشر، ط١، بغداد، ٢٠١١م، ج٢، ص٤١٩.

(٢) فرعون، محمود؛ العلان، أرواد: دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٧.

(٣) Brice, W.C, East Asia, London, 1966, p. 171

(٤) الميديون: قبائل إيرانية كانت منتشرة في منطقة تمتد من جبال "دوماوند" حتى مدينة "همدان"، ثم استطاعوا تحت قيادة "كيكسارس" السيطرة على فارس، واتخاذ مدينة "أكباتانا" ومكانها الآن مدينة همدان عاصمة لهم، بل والتعاون مع البابليين في القضاء على آشور، واحتلال "نينوى" في عام ٦١٢ ق.م، ثم الاستيلاء على الجزء الشمالي من الإمبراطورية الآشورية. مهران، محمد بيومي: دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، ط٢، ص٢٠٠. عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ص٤٠٨.

(٥) Girshman, R. L, 'Iran des origins a l' Isam, paris, 1976, p.19

يتشكل إقليم طبرستان المسمى أيضاً إقليم مازندران من انحدار السفوح الشمالية لجبال البرز، ويتصل إقليم طبرستان بجرجان وهو (هيراكانيا Hyrcania) ^(١) القديمة، وفيه الأودية التي يسقيها نهر (إتريك Atrak) ^(٢) ونهر جرجان ^(٣).

بالنسبة للمنطقة الشرقية فأنها تمتد من الحواف الشمالية لسلاسل جبال البرز وحتى الحد الجنوبي الشرقي لسلاسل جبال زاغروس، وتمتاز بعدم وجود وحدة جغرافية تربط بينها فهي متباينة في ارتفاعاتها واتجاهاتها، وتشكل جبال خراسان الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية من الهضبة جزءاً أساسياً من السلاسل الشرقية، وهي جبال قليلة الارتفاع وسهلة الاجتياز وتؤلف من حيث تكونها الطبيعي البوابة الثانية التي يمكن النفاذ منها إلى داخل إيران ^(٤).

ترتب على طبيعة المظاهر الجغرافية في المنطقة الشرقية من إيران والتي تعرف بجبال خراسان سهولة اجتيازها، فخراسان في موقعها هذا في الشمال الشرقي هي مثل أذربيجان في الشمال الغربي حيث يشكل كل منهما مفترقاً للطرق ولتحرك الشعوب ^(٥)، عبروا عن طريقه الغزاة الذين جاءوا إليها من أواسط آسيا، ولقد أقام الساسانيون في هذه المنطقة جداراً سميكاً من الآجر

(١) هيراكانيا (جرجان): أو كركان، إقليم واسع بين خوارزم وطبرستان، فخوارزم منه في جهة الشرق وطبرستان منه في جهة الغرب. المهلب، الحسن بن أحمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م): الكتاب العزيز أو المسالك والممالك، جمع وتعليق تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦م، ص ١٥١.

(٢) نهر إتريك: يقع في إقليم جرجان وينبع من سهول خراسان بين نسا وخبوشان، قرب منابع نهر المشهد، وهو نهر عميق صعب العبور، يبلغ طوله حوالي ١٢٠ فرسخاً، ويصب في بحر قزوين، ومن المرجح أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى الأتراك الذين أقاموا على ضفافه. سيستاني، افشار: استان خراسان، انتشارات هيرمند، تهران، داب أول، ١٣٧٨، ص ٥٤.

(٣) نهر جرجان: ينبع في وادي شهر ناو (المدينة الجديدة) ومنها يشق سهل سلطان درين يصل إلى مدينة جرجان، فإذا جاوزها وقع في بحر قزوين قرب جزيرة أبسكون في خليج نيم مردان، ومجرى هذا النهر كان عميقاً جداً. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي البشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩١م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط ٢، مدينة ليدن، ١٩٠٦م، ص ٣٦٧.

(٤) Fisher, W.B. The Middle East A physical, Social, and Regional Geography, London, 1966, p.p 285-287

(٥) فرزات، مدخل، ص ١٢.

يبلغ طوله عدة أميال لدرء الخطر عن أنفسهم، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المنطقة كانت مهد ظهور عدد من الأسر الحاكمة التي حكمت المنطقة كالأرشاقيون (الفرثيون)^(١).

أما عن المنطقة الجنوبية من الهضبة فيحيط بجزء كبير منها سلسلة جبال مكران التي تتألف من سلسلة من القمم البارزة، والتي يخترقها ممران طبيعيان أحدهما يؤدي إلى الجنوب باتجاه ميناء بندر عباس على خليج عمان، والآخر يؤدي إلى بلوچستان^(٢).

اقتصرت الاتصالات عبر بلاد فارس على طرق قليلة، حيث شقت مسارها بين السلاسل الجبلية والأحزمة الصحراوية، وأهمها الطريق الشرقي القديم الذي ينحدر من جبال زاغروس إلى نل همدان ويعبر هضبة ميديا، وقد سهّل هذا الطريق اتصال فارس تجارياً مع الصين والهند^(٣). وكان للطرق التي ربطت إيران بالعالم دوراً فعالاً في انتقال التأثيرات الحضارية بين أجزاء الهضبة، وأهم هذه الطرق: الطريق الذي يبدأ من خوزستان ويتجه نحو لورستان في الشمال الشرقي، وهناك الطرق التي تبدأ من شمال غرب زاغروس ووسطها والتي تلتقي حول كاشان وتتجه نحو الشرق على امتداد الناحية الجنوبية لسلسلة جبال البُرز حتى مشهد. ويوجد طريق يتجه من فارس جنوباً إلى بلوچستان وطريق يربط منطقة فارس بمنطقة كاشان^(٤).

من الأمور المهمة التي يجدر ذكرها عن جغرافية إيران والتي كان لها أثر في تاريخها وحضارتها في هذه البلاد غناها بالموارد الطبيعية، لا سيما الزراعة فهي موطن للكثير من الأشجار المثمرة^(٥). فبالإضافة إلى وجود مساحات من الأراضي الخصبة بها، فأنها تملك العديد

(١) لا يعرف على وجه التحديد أصل الفرثيين الأوائل، وتشير أزيائهم وعاداتهم وبقايا لغتهم إلى أنهم كانوا من القبائل البدوية "هندو أوروبية"، وأنهم ينتمون إلى القبيلة المسماة "بارني أو برثي"، وهؤلاء بدو من مجموعة قبائل إسكيتية واسعة اسمها داهي، كانت تعيش في السهوب بين بحر قزوين وبحر آرال. فرعون؛ العلان: دراسات، ص ١٦٣.

(٢) الأحمد، سامي سعيد؛ الهاشمي، رضا جواد: تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٣٧٠.

(٣) Cary, M, The History of Greek World 323-146 B.C, London, 1951, p.p 194.

(٤) Dyson, R,H, " problem in the Relative Chronology of Iran, 6000-2000 B.C" in Chronologies in old World Archaeology , U.S.A, 1967, P.215..

(٥) باقر، مقدمة، ج ٢، ص ٤٢٠.

من المحاجر والمناجم الغنية، فهي غنيّة بالمرمر والرخام وكذلك بالأحجار الثمينة كاللازورد والفيروز والعقيق، ويتوفر في الهضبة الإيرانية العديد من المعادن كالنحاس والحديد والقصدير والرصاص^(١).

يمكن القول أنه وعلى الرغم من إحاطة السلاسل الجبلية ببلاد فارس فأنها في الحقيقة مفتوحة من كل جانب على سهول بلاد النهرين وروسيا والهند والخليج العربي، والتي قامت منذ عصور ما قبل التاريخ بدور هام كوسيط بين الشرق والغرب. فلقد جعل الموقع الجغرافي الهام من إيران طريقاً عالمياً للعبور، فعبر أراضيها كانت تمر ولقرون عديدة طرق التوابل والحرير والأحجار الكريمة، وعلى الطرق نفسها جاء الغزاة من الشرق والغرب، وعلى هذه الطرق تدفقت قبائل وأقوام^(٢)، ونشأت ممالك وحضارات، وقامت دول وأسر حاكمة أثرت في التاريخ السياسي والحضاري لبلاد فارس.

ثانياً: أصل التسمية

استخدم تعبير فارس وإيران للإشارة إلى منطقة جغرافية واحدة، ولكنهما غير متطابقتين، وتسمية إيران هي الأقدم فقد وردت في الأوستاك (إيرانيا فيجا) Airyana- Vaejah أي موطن الآريين والإيرانيين، ثم تطورت التسمية فصارت بلاد إيران، وتعني أرض الآريين^(٣).

وتعبر فارس أول من أطلقه هم الإغريق، واستمد هذا الاسم من إقليم Parsa في الجزء الجنوبي الغربي من الهضبة الإيرانية^(٤)، وحُرِفَ هذا الاسم عند الإغريق ليصبح برسيس Perses ثم أطلق عليها العرب فارس. وعلى الرغم من أن (بارسا) تكون إقليماً واحداً في امبراطورية عظيمة إلا أنها استمدت شهرتها من كونها مسقط رأس الملوك الهخشامنيين الذين كونوا البيت الحاكم

^(١)Ghirshman, Iran , pp 25-26

^(٢) باقر، مقدمة، ج ٢، ص ٤٢٠.

^(٣) سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٤٥. العلان؛ فرعون، دراسات، ص ١٣.

^(٤) براون، إدوارد: تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم العصور حتى عصر الفردوسي، تر: أحمد كمال الدين، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٣٨.

الفارسي، وأطلقت هذه التسمية بواسطة الإغريق على الامبراطورية كلها بشكل عام^(١). وإليه تنسب لغة البلاد التي عرفت باللغة الفارسية (زبان فارسي)^(٢).

ولقد ظهر مصطلح إيران في كثير من التسميات الساسانية، وفي ألقاب المسؤولين الحكوميين على سبيل المثال إيران خفاره سابوهر، أي مجد إيران سابور. وإيران أماجار، أي المحاسب العام لإيران، أو إيران دبيريدي، أي رئيس الكتاب، وإيران شهر أي مملكة إيران أو دولة إيران^(٣).

أما العرب فقد أطلقوا على بلاد إيران مصطلح آخر هو بلاد العجم أو الأعاجم^(٤)، وهي لفظة مشتقة من العجمة أي الإبهام وعدم الوضوح، وكذلك أطلقت هذه اللفظة على غير العرب من الأقوام، ولكن اختصت بها بلاد فارس دون غيرها، فقليل العجم أي الفرس وبلاد العجم أي بلاد الفرس^(٥). ويبدو أن اقتران هذا الاسم بالإيرانيين لأنهم أكثر الشعوب اختلاطاً بالعرب بسبب الموقع الجغرافي المجاور لهم.

ثالثاً: نسب الساسانيين

ينسب الساسانيون إلى جدهم الأول ساسان^(٦) الذي عمل كاهناً لمعبد آلهة النار أناهيتا في مدينة اصطخر^(٧)، وكان متزوجاً من أسرة البازرنجين الحاكمة في إقليم اصطخر، ثم عهد ساسان

(١) سليم، دراسات، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) أبو مغلي، محمد وصفي، إيران دراسة عامة، منشورات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٥، ص ١٨.

(٣) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م): غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، مكتبة الأسد، طهران، ١٩٦٣م، ص ٣٢٤.

(٤) المقدسي، أحسن، ص ٢٥٩.

(٥) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، مادة عجم، ٣٤٥. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس في جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الهداية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، مادة عجم ص ١٨٤.

(٦) ذكرت المصادر العربية أن نسب الأسرة الساسانية يرتبط بالملوك الأخمينيين، إذ أشارت هذه المصادر في ذكرها ذكرها لنسب أردشير ما يلي: أردشير بن بابك شاه ملك خير بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك ابن اسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بن كيوجي بن كيمنش" الدينوري، الأخبار، ص ٤٢.

بوظيفته إلى ابنه بابك الذي بدوره توسط لدى الملك الفرثي أرتبان الخامس (أردوان) (٢١٦-٢٢٤م) ليعين ابنه أردشير قائداً عسكرياً في إقليم فارس^(٢). إلا أن جهود بابك بن ساسان وابنه أردشير في كسب القوى المحلية في ذلك الوقت لم تفلت انتباه الملك الفرثي الذي كان مشغولاً في صراعاته الخارجية، وهذا ما دفع أردشير لمهاجمة الوالي وقتله والسيطرة على الإقليم. ثم حاول بابك أن يحصل على موافقة الملك أردوان لتعيين ابنه والياً على إقليم فارس، إلا أن الملك رفض ذلك وأعلن بابك عاصياً متمرداً وسيّر الجيوش لمحاربتة^(٣). كان بابك قد مات في تلك الآونة وقام أردشير بادعاء الملكية وهاجم الأقاليم المجاورة بعد أن تفوقت قوته على قوة الملك الذي اشتبك معه في معركة وادي **هرمزجان** (بين نهاوند وكاشان)، انتصر فيها أردشير وقتل أرتبان الخامس ثم سار إلى عاصمته طيسفون^(٤) ودخلها في عام ٢٢٦م وأعلن نفسه ملكاً ومؤسساً لسلالة حاكمة جديدة^(٥) هي الأسرة الساسانية^(٦).

(١) اصطخر: بلدة بفارس من الإقليم الثالث، أنشأها اصطخر بن طهمورث ملك فارس. الحموي، معجم، ج ١، ص ٢١١.

(٢) مكاريوس، شاهين: تاريخ إيران، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦٥-٦٦.

(٣) العابد، مفيد رائف: معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الأكاسرة ٢٢٦-٦٥١م)، دار الفكر، دمشق، ط ١، بيروت-دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٣٩.

(٤) طيسفون (المدائن): تقع على نهر دجلة من شرقيها جنوب بغداد على مرحلة منها. ابن حوقل، محمد أبو القاسم النصيبى (ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٩م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٣٤٤. و(المدائن) اسم أطلقه العرب المسلمون على سبع مدن على ضفتي نهر دجلة متقاربة فيما بينها في المسافة وهي (طيسفون، سلوقية، اسبانير، به اردشير (بهر سير)، درزنبدان، بلاش آباد، ماخوزا) وتسمى في الوقت الحاضر سلمان باك لوجود مرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي فيها. لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م، ص ٥٢.

(٥) حماد، حسين فهد: موسوعة الآثار التاريخية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٥.

(٦) النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ج ١٥، ص ١٦٦.

رابعاً: أوضاع الدولة الساسانية قبيل حكم قباد

مرت جميع الممالك والامبراطوريات والدول الكبرى عبر التاريخ السياسي والحضاري للدول بمرحلة التأسيس ومنها للتطور والازدهار إلى أن وصلت لمرحلة الضعف والسقوط، نتيجة عوامل عدة - ليس هذا البحث بصدد الحديث عن هذه العوامل - فقد توالى على عرش الدولة الساسانية مجموعة من الملوك العظام أمثال أردشير الأول (٢٢٦-٢٤١م) وسابور الأول (٢٤١-٢٧٢م) وسابور الثاني (٣١٠-٣٧٩م) ويزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢٠م) وغيرهم حتى وصل إلى الحكم يزدجرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧م)، وسيكتفي البحث هنا بإلقاء الضوء على أوضاع الدولة الساسانية قبيل عهد قباد، فقد تميزت مدة حكم يزدجرد الثاني بالعديد من الأعمال العسكرية ضد البيزنطيين - العدو التقليدي للدولة الساسانية - والذين أقاموا القلاع والحصون بالقرب من نصيبين فأعلن الحرب ضدهم عام ٤٤٢م^(١) وقاد مهر نرسي جيوش الساسانيين لمواجهة البيزنطيين^(٢)، وفي ظل هجمات الهون^(٣) على القسطنطينية اضطر ثيودوسيوس الثاني (Theodosius II) (٤٠٨-٤٥٠م) لعقد الصلح مع الساسانيين^(٤)، كذلك أرسل يزدجرد الثاني جيوشه نحو أرمينيا عام ٤٥١م وانتصر عليها عليها ونتج عن ذلك الانتصار أن أصبح المذهب الزرادشتي المذهب الرسمي لأرمينيا حتى عام ٤٨٤م عندما ألغاه الملك الساساني بلاش (Balash) (٤٤٨-٤٨٨م)^(٥). ترك يزدجرد خلفه ولدين اضطربا على العرش وهما هرمزد الثالث (Harmizd III) (٤٥٧-٤٥٩م) الذي استأثر في بادئ الأمر بالعرش، فهرب فيروز (Firuz) (٤٥٩-٤٨٤م) من أخيه، وأخذ يجهز جيشاً لاستعادة عرشه بمساعدة رهام وهو أحد الأشراف من أسرة مهران الإقطاعية، وبعد حرب استمرت لمدة سنتين في

(١) بيرنيا، حسن: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، تر: محمد نور الدين عبد المنعم،

السباعي محمد السباعي، مر: يحيى الخشاب، دار الثقافة للنشر، ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ٣٥٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٢٢٦٢.

(٣) الهون: مجموعة من القبائل التركية - المغولية، دائمة الترحال، المحبة للقتال، اندفعوا من موطنهم منغوليا نحو الغرب الأوروبي، غزوا أوروبا تحت قيادة زعيمهم أتتلا وهزموا في معركة جنوب غاليا عام ٤٥١م. فرح، نعيم: تاريخ بيزنطة السياسي، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٧٨م، ص ٧٩.

(٤) أبو مغلي، إيران، ص ١٥٣.

(٥) ستارجيان، ل، ل: تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥١م، ص ١٥٥.

مدينة الري تمكن من الاستحواذ على الحكم وقتل هرمزد^(١)، وتشير بعض الروايات إلى أن والدتهما (دنيك) كانت تحكم بصورة مستقلة في العاصمة طيسفون (المدائن)^(٢). استطاع فيروز إعلان نفسه ملكاً على الدولة الساسانية، وحلت بالبلاد كوارث عديدة منذ تسلمه الحكم منها القحط الشديد الذي استمر سبع سنوات إذ طال الزرع والدواب حتى عمت الشدائد أهل المملكة^(٣).

إلا أن الكارثة الأكثر وقعاً هي حربه مع الهياطلة، فقد هاجمت جموع الهياطلة حدود البلاد الشمالية الشرقية فحاول صدهم، لكنه وقع مع جيشه في الأسر إذ رضخ لعقد صلح مهين دفع بموجبه أموالاً طائلة من أجل إطلاق سراحه، ثم قاد حملة أخرى كانت نهايته فيها إذ سقط مع عدد من قادته في خندق حفره له الهياطلة لهذا الغرض^(٤).

لم يعين فيروز وريثاً للعرش قبل مقتله في سنة ٤٨٤م لذا حدث نزاع بين ولديه (قباد وبلاش) استأثر الأخير بالحكم إلا أنه لم يدم فيه سوى أربع سنين لعدم قضاائه على الفوضى فسملت عيناه وعين قباد مكانه (٤٨٨-٥٣١م)^(٥).

(١) الدينوري، الأخبار، ص ١٠٦.

(٢) الحديثي، قحطان عبد الستار؛ الحيدري، صلاح عبد الهادي: دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، جامعة البصرة، بغداد، ١٩٨٦م، ص ١٣٧.

(٣) المقدسي البلخي، المطهر بن طاهر (ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م): البدء والتاريخ، المنسوب لأحمد بن سهل البلخي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ج ٣، ص ١٦٥.

(٤) الثعالبي، غرر، ص ٥٧٤.

(٥) الثعالبي، غرر، ص ٥٨٣.

الفصل الأول

الأوضاع الاجتماعية والدينية للدولة الساسانية

في عهد قباد "Kawadh I" (٤٨٨-٥٣١م)

أولاً: الحياة الاجتماعية:

١- الطبقة الأولى - الملوك والنبلاء:

أ- الملك

ب- النبلاء

١- الأسر السبع الكبيرة

٢- البزرگان (العظماء)

٣- الدهاقين

٤- رئيس الوزراء

٥- الوزراء

٢- الطبقة الثانية - طبقة رجال الدين:

أ- الموبدان موبذ

ب- الموبدان

ج- الهراينة

د- طبقة المغان

هـ- الموارد المالية الخاصة برجال الدين

٣- الطبقة الثالثة - طبقة رجال الحرب:

- أ- الفرسان الخالدون
 - ب- الفرسان المتطوعون
 - ج- الفرسان الفدائيون
 - ٤- الطبقة الرابعة- طبقة الكتاب (ديران)
 - ٥- الطبقة الخامسة- طبقة الزراع والصناع
- ثانياً: الحياة الدينية:

- ١- المعتقدات القديمة
- ٢- الزرادشتية
- ٣- المانوية
- ٤- المسيحية
- ٥- البوذية
- ٦- المزدكية

أولاً: الحياة الاجتماعية:

لم يكن التقسيم الطبقي الذي ساد في الحقبة الساسانية وليد الدولة الجديدة بل كان أمراً موروثاً من الأعراف والتقاليد التي سادت في العهود السابقة. فلقد قسمت الأفستا المجتمع في فارس إلى ثلاث طبقات هي طبقة رجال الدين (أثروان)، وطبقة رجال الحرب (راثننتشر)، وطبقة الزراع (واستريوفشويانت)^(١). واستمر الساسانيون في سياسة التقسيم الطبقي حيث قسموا المجتمع وفق نظام عرف بـ (نظام الطبقات الساساني)^(٢)، ويرجع ذلك إلى عهد أردشير بن بابك وهو أول من جدد الطبقات، فقسم المجتمع لأربع طبقات حيث جعل الملوك وأبناء البيت الحاكم في الطبقة الأولى، خلافاً للتقسيم السابق الذي وضع رجال الدين في المقدمة، ووضع رجال الدين في الطبقة الثانية، والفرسان في الطبقة الثالثة، والكتاب في الطبقة الرابعة، وفي أسفل الهرم الاجتماعي وضع أردشير طبقة الزراع والحرفيين^(٣).

أهم ملامح هذا التقسيم هو الحدود الصارمة المرسومة بمنع الانتقال من طبقة إلى أخرى^(٤). ولقد شكلت الألقاب الممنوحة من هرم السلطة إلى بقية أفراد المجتمع مدلولات اقتصادية واجتماعية عميقة، ورسخ الساسانيون النظام الإقطاعي الذي كان سائداً في آسيا على وجه الخصوص، من خلال نمط التقسيم الطبقي الذي اتبعوه، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك في تقسيم الطبقات العليا إلى أسر معينة، حيث كانت الأسرة الساسانية في مقدمة هذه الأسر.

ضمت هذه التقسيمات الطبقية جميع أبناء المجتمع الساساني، وقسمت كل طبقة إلى عدة

فئات:

(١) كريستنس، آرثر: إيران في عهد الساسانيين، تر: يحيى الخشاب، مر: عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٨٥.

(٢) كفافي، محمد عبد السلام: في أدب الفرس وحضارتهم، مطبعة دار النهضة، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١٨٤.

(٣) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م): تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ١٩٥٨م، ص ٤٨.

(٤) آريي، أ، ج: تراث فارس، تر: محمد كفافي، أحمد الساداتي، السيد يعقوب بكر، محمد صقر خفاجة، مر: يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٧.

١- الطبقة الأولى-الملوك والنبلاء:

تمثل هذه الطبقة قمة الهرم الاجتماعي في المجتمع الساساني، ولقد كرس النظام الإقطاعي الذي ساد في الفترة الساسانية، حيث تمتعت هذه الطبقة بالسلطة والنفوذ والثروة والقرار، وكانت كالتالي:

أ-الملك:

يمثل الملك قمة الهرم الإداري والسياسي في الدولة الساسانية ويأتي في مقدمة طبقة النبلاء، ولقد اتخذ الملك لقب (شاهنشاه) ملك الملوك^١، وجاء هذا اللقب لإضفاء صفة الهيبة والإجلال عليه، وليعطي مدلولاً واضحاً على عظمة سلطات الملك واتساع صلاحياته ليس في بلاده فقط بل إنه كان يحمل إحياءً لطموح الملك الساساني وتوسعاته ونفوذه في الخارج.

اعتقد ملوك آل ساسان أن سلطتهم وأحقيتهم بالملك مستمدة من الإله نفسه، فعدوا أنفسهم مصدر القوانين والشرائع، وازدانت صورة الملك فخامة وأبهة لانحدارهم من أسرة دينية، فضلاً عن تبنيهم الزرادشتية ديناً رسمياً للبلاد، إذ قرنت هذه الديانة طاعة الإله بطاعة الملك فجاء على لسان زرادشت " من عصا الإله وخرج على مالك رقه وسلطانه فعظوه سنة، فإن استمر على عصيانه ففرقوا بين رأسه وجثمانه"^٢.

وكما طبق أزدشير النظرية الطبقية في تقسيم المجتمع، فقد امتدت هذه النظرة لتشمل ندماء الملك وخاصته، حيث جعلهم ثلاث طبقات، كانت الطبقة الأولى تبعد عن الملك عشرين ذراعاً^٣ ومجلس هذه الطبقة على يمين الملك، وتضم أبناء الملوك والفرسان، أما الطبقة الثانية فتضم بطانة الملك وندماءه ومحدثيه من أهل العلم والشرف، ويجلس هؤلاء على بعد عشرة أذرع عن الطبقة

(١) الخشاب، يحيى: النقاء الحضارتين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٩.

(٢) الفردوسي، الشاهنامه، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٣) الذراع الفارسي يساوي (٨١,٦٣ سم). هنتس، فالتر: المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م، ص ٩٣.

الأولى^١، ثم تعقبهم الطبقة الثالثة وهم المضحكون وأهل البطالة والهزل، ولم يكن في هذه الطبقة خسيس الأصل أو وضع القدر، أو ابن ذي صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام، أو مجهول الأبوين، ويحجب هؤلاء عند اجتماعهم بالملك بستارة عنه^٢، ولقد لقب الموكل بإدارة هذا المجلس بـ (خرم باش)^٣ أي كن سعيداً مسروراً.

ترسخت فكرة قداسة ملك الملوك وجلالته لدى المجتمع الساساني مع مرور الزمن، حتى تملك أفراد المجتمع برمته إحساس بأن الملك خليفة الإله في الأرض الذي يطبق شرائعه وينفذ تعاليمه. وبسبب شعور الملوك بالأفضلية على سائر الناس، وبأنهم خصوا بحق الملك من الآلهة دون سواهم من الناس فأنهم انفردوا بعدة أشياء لا يحل لأحد من الرعية مشاركتهم فيها، فقد أعفيت ضياعه من الضرائب، وكانت تؤسم خيله لئلا تُسخر وتُمن، ولا يُحبس أحد من خاصته أو عامته لجناية جناها، وأول من كان يأذن له الملك هو الحاجب، ويكون على يمين الملك إذا جلس أو ركب^٤. وحين يمنح الملك التاج لأحدهم فهذا يعني منحه الحق في أن يتخذ لنفسه مكاناً على المائدة الملكية، وأن يشارك في مجالس الملك. ولقد منح الملك قباد الأول التاج الذهبي المحلي باللالئ لمهران، وهو شرف خاص أسبغه الملك عليه^٥. وإذا وضع الملك التاج على رأسه لا يحق لأحد من أهل مملكته أن يضع تاجاً مشابهاً له، وإذا تزياً بزي لا يجوز لأحد أن يقلده فيه، وإذا تختم بختم كان على أهل مملكته ألا يتختموا بمثل ذلك الخاتم^٦.

وإذا خاطب أحدهم الملك عليه أن يضع منديلاً على فمه ومنخريه كي لا تلامس أنفاسه الملك، كذلك إذا دعا لا يؤمن دعاؤه لأن الملك الطيب له امتياز وواجب أن يصلي لرعيته الطيبة

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م): التاج في أخلاق الملوك، تح: أحمد زكي باشا، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥م، ص ٢٤-٢٨.

(٢) نداء، طه: دراسات في الشاهنامه، دار الطالب، الإسكندرية، د.ت، ص ٢٠٦.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٥٥.

(٤) الجاحظ، التاج، ص ١٥٧-١٥٨.

(٥) كريستنسن، إيران، ص ٣٩٦.

(٦) الجاحظ، التاج، ص ٥٥.

ولكن الشعب الطيب لا يصلي للملك لأن دعاء الملك الصالح أقرب إلى الإله^١. وعندما يدخل أحد رعايا الملك بعد أن يُعطى إذنًا إلى الستار فإنه يرمي نفسه على الأرض مباشرة، ويبقى حتى يؤذن له بالوقوف^٢.

أما بالنسبة لنساء الملك فقد كانت لهن حرية لا بأس بها، ولم يكن هناك قانون يلزمهن أن يكن منزويات. وقد اختار الأمراء زوجاتهم من العائلة المالكة، وأحياناً من بنات الملوك التابعين، أما المحظيات فكن على الأغلب من النساء اليونانيات^٣.

بالإضافة إلى الملك فقد شملت هذه الطبقة أبناء الأسر الحاكمة الذين عُهدت إليهم إدارة الحكومة في الولايات الكبيرة والأقاليم الهامة مثل إقليم سيستان^٤ وكرمان^٥ واللان^٦ وغيرها. وكان أغلب هؤلاء من أبناء أو أخوان أو أعمام الملوك، وقل عدد حكام الولايات الذين ينتمون لغير الأسر الحاكمة خاصة في أطراف الدولة ويعود ذلك لأهمية تلك الأقاليم كونها تمثل الحدود الفاصلة والخط الأول للدفاع ضد أعداء الدولة الساسانية^٧.

ويليهم في الترتيب ضمن هذه الطبقة أيضاً حكام الأقاليم الصغيرة ويحملون لقب (شاه)، وكان هذا مجرد لقب يتيح لهم أن يكونوا في مقدمة الارستقراطية كونهم قادة لفرسان الولايات ويحكمون تحت رئاسة قائد الجيش^٨.

(١) الجاحظ، التاج، ص ٩٠.

(٢) سايكس، سربرسي: تاريخ إيران، تر: فخر داعي كيلاني، سيد محمد تقي، دنيای كتاب، تهران، ١٣٧٠، ج ١، ص ٦٤١.

(٣) فرعون؛ العلان: دراسات، ص ٢٣٩.

(٤) إقليم سيستان: يقع في الجنوب الشرقي من إيران، ويعتبر من الأقاليم الجافة. دل، حسن، استان سيستان وبلوچستان، تر: محمد رضا نجم الدين، مؤسسة تحقيقات وانتشارات كاروان جانكردان، تهران، ١٣٧٩هـ، ص ١٧٣-١٧٤.

(٥) كرمان: ناحية كبيرة شرقها مكران وغربها وجنوبها فارس وشمالها خراسان. المقدسي، أحسن، ص ٢٩٩.

(٦) اللان: تقع على أطراف أرمينيا. الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٤٥.

(٧) كيرشمن، رومن: ایران از اغاز تا اسلام، تر: محمد معين، انتشارات علمی فرهنگي، تهران، جاب بنجم، ١٩٨٥م، ص ٣٧١.

(٨) كريستسن، إيران، ص ١٢٦.

يلاحظ مما سبق أن الملك الساساني نظر إلى الملوكية كوديعة لديه يحكم بها العباد، فهو الذي يمتلك العظمة المستمدة من الإله، ويبدو أن الهدف من إرساء تلك الفكرة في تفكير أفراد المجتمع الساساني هي منع أي نية لمعارضة الملك في الدولة الساسانية، وبالتالي فإن كل خارج عن طاعة الملك أو من يروم شق عصا الطاعة عليه فهو خارج ومارق على الدين في الوقت نفسه، ويبدو أن هذه الرابطة بين الإله والملك بالتحديد قد ساعد وأسهم بشكل كبير في أن يعمر ملوك آل ساسان في الحكم لأكثر من أربعة قرون.

ب- النبلاء

١- الأسر السبع الكبيرة:

حافظت الأسر الأشكانية على نفوذها في العصر الساساني وقد اتحدت هذه الأسر التي كان لها اليد العليا في العصر الأشكاني مع الساسانيين^١، وكان في فارس سبع أسر كبيرة، وسميت بالأسر السبعة الممتازة^٢، وتمتعت هذه الأسر بالسيادة والنفوذ وأنت في مقدمتها الأسرة الساسانية، ثم أسرة قارن پهللو، سورين پهللو، اسپاهيد پهللو، سپندياد، مهران، ثم أسرة زيک. بالنسبة للأسرة الساسانية فقد سكنت في مدينة اصطخر مسقط رأس مؤسس الدولة الساسانية أردشير بن بابک، ولكن كثيراً من أفراد هذه الأسرة كان قد انتقل إلى طيسفون بعد أن أصبحت عاصمة الدولة الساسانية. وكانت تقيم أسرة قارن في نواحي نهاوند (في ميديا)، وسورين في سيستان، وسپندياد في ضواحي الري (رھا بقرب طهران الحديثة)، وسپاهيد في دهستان (أذربيجان الشرقية)^٣ وأسرة مهران

(١) پور شریعتی، پروانه، افول وسقوط شاهنشاهی ساسانی (اتحادیه ساسانی - پارتی وفتح ایران به دست عربها)، مترجم: آوا واحدی نوابی، نشرنی، تهران، ۱۳۹۸هـ، ص ۱۳۱.

(٢) يذكر فرای أن وجود الأسر السبع على رأس السلطة يعد موروث إيراني وموجود من العصر الأخميني حتى نهاية العصر الساساني، حيث يذكر فرای أنه عندما تمرد گوماتا (وهو مغ زرادشتي) على (قمبيز) قام سبع أشخاص من أشرف إيران وعلى رأسهم داريوش بقتل گوماتا واستردوا السلطة وكان لهؤلاء الأسر السبعة (هفت خاندان) النفوذ والإقطاعات وقد استمر هذا النفوذ في العصر الفرثي والساساني. فرای، ريجارد نلسون، تاريخ باستانی ایران، مترجم: مسعود رجب نیا، شرکت انتشارات علمی وفرهنگی، تهران، ۱۳۸۸هـ، ص ۳۶۴.

(٣) کریستنسن، ایران، ص ۹۱-۹۲.

في فارس وقد سمي نهر مهران في فارس باسم هذه الأسرة^١، ولكن لم تذكر المصادر محل إقامة أسرة زيك^٢. ولقد جرت العادة في فارس أن يكون هناك تفضيل وتقدير كبيرين لأهل البيوتات القديمة والتي منبتها الأسر الأشكانية، حيث كتب ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي الرابع للهجرة يقول: " وبفارس سنة جميلة وعادة فيما بينهم كالفضيلة من تفضيل أهل البيوتات القديمة وإلزام أهل النعم الأولية، وفيها بيوت يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين على قديم أيامهم إلى يومنا هذا"^٣.

توزعت هذه الأسر العديد من المهام فيما بينها، فكان للأسرة الساسانية الحاكمة الرتبة الملكية، وكان من مهامها تتويج الملك، قبل أن يُمنح هذا الحق مع مرور الزمن لرجال الدين الزرادشتي بعد ارتفاع شأن الديانة الزرادشتية، ومن المحتمل أن تكون أسرة سورين أو أسرة مهران قد وقع على عاتقهما مهمة إدارة شؤون الحرب (نظراً لأن اسميهما تردد كثيراً بين أسماء الجيش الساساني)^٤. وكانت أسرة ثالثة تتولى الإدارات المدنية، ورابعة يعهد إليها فض المنازعات بين المتخاصمين الراغبين في التحكيم، وخامسة تتولى قيادة الفرسان، وسادسة وليت جباية الضرائب من أفراد الشعب ورعاية الكنوز الملكية، وسابعة تتولى العناية بالأسلحة ونظام التعبئة الحربية^٥.

حظيت هذه الأسر بدرجة كبيرة من النفوذ والقوة، واستمدت هذه القوة من الدخل الكبير لإقطاعاتها، ولكن هذا النفوذ كان يتصاعد في بعض الأحيان ويتضاءل في أحيان أخرى تبعاً لقوة الملك أو ضعفه. وكانت قوة هذه الأسر تتناسب طردياً مع قوة الملوك أو ضعفهم، ففي عهد الملوك الأقوياء أمثال أردشير الأول "Ardshir I" (٢٢٦-٢٤١م) وسابور الأول "Shapur I" (٢٤١-٢٧٢م) وسابور الثاني "Shapur II" (٣٠٩-٣٧٩م) لم تكن لتلك الأسر القدرة الكبيرة في السيطرة

(١) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مسالك الممالك، دار

صادر، بيروت، نسخة مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧م، ص ١٢٢.

(٣) ابن حوقل، صورة، ص ٢٥٥.

(٤) كريستنسن، إيران، ص ٩٥-٩٦.

(٥) كريستنسن، إيران، ص ٩٤.

على الأوضاع كما تتناسب الأمور مع مصالحها^(١). وفي المقابل فقد استغلت هذه الأسر نفوذها وقوتها وكانت تمارس تحكمها بشؤون البلاد أثناء ضعف الدولة في بعض الفترات أو أثناء حدوث خلاف ضمن البيت الساساني الحاكم ولقد بلغ تماديهم حداً تمكنوا فيه من قتل الملوك أو إحداث عاهة بهم تمنعهم من ارتقاء العرش الساساني^(٢)، فلقد أجمعت الأسر الكبيرة على عدم تولية بهرام بن يزديجرد الأول (بهرام الخامس) "Bahram V" (٤٢٠-٤٣٨م) لما نالهم من سوء معاملة أبيه لهم، وبحجة أن بهرام لم يولى على أية ولاية يُعرف بها خبرته وكيفية حكمه^(٣)، وإنما نشأ وترى عند العرب وتأدب بآدابهم وتقاليدهم^(٤). وقد اشترك في اتخاذ هذا القرار بسطام وأخوه بندويه وهم من أسرة اسياهيد، وفيرك وهو من أسرة مهران وجودرز كاتب الجند وجشناد رئيس كاتب الخراج، ولولا تدخل جيش النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي ساعد بهرام الخامس (بهرام جور) على استعادة العرش، لكادت لمكائد الارستقراطيين وخططهم أن تتحقق^(٥). كذلك فإن أسرة مهران لعبت الدور نفسه، بل وأكثر منه عندما تعاونت مع رجال الدين على قتل الملك هرمز الثالث على يد رهام أحد أفراد أسرة مهران وتولية ابنه فيروز مكانه^(٦). ومن أجل إضعاف نفوذ هذه الأسر رسم بعض الملوك الخطط وعمدوا لاستخدام أساليب متعددة للتخفيف من نفوذ وتسلط هذه الطبقة إم بالتعاون مع أعداء الدولة أو أصدقائها لكي يسيطروا على الحكم أو يستعيدوا حكمهم المسلوب، أو الإيقاع بين هؤلاء الأسر وبين رجال الدين، أو العمل على الإيقاع فيما بين الأسر نفسها، أو العمل على تبني أفكار ومذاهب جديدة مثلما فعل الملك قباد. فعندما شعر بتنامي نفوذ العظماء وزيادة نفوذ زرمهر وهو أحد الأشراف من أسرة قارن - والذي كان بمثابة ملك من دون تاج - كما أظهرت الأحداث

(١) الحيدري، علي هادي الحمزة، الأحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (٢٢٦-٦٥١م)، جامعة بابل، بغداد،

٢٠٠٦م، ص ١٥١-١٥٢.

(٢) بور شريعتي، افول، ص ١٣٢.

(٣) الثعالبي، عبد العزيز، مقالات في التاريخ القديم، جمع وتعليق: جلول الجريبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

١٩٨٦م، ص ١٦٢.

(٤) مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي،

طهران، سرويش، ط ٢، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ١١٥.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٥٧.

(٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ١١٩.

المتلاحقة، فقد سعى قباد للتخلص منه، فحرض عليه سابور أحد أشراف أسرة مهران والذي تمكن من سجنه وقتله^(١).

شغل أفراد هذه الأسر المناصب الهامة في البلاد فبعضهم شغل منصب كبير الوزراء مثل مهر نرسی الذي كان كبيراً لوزراء يزدجرد الأول، وسياوش الذي ساعد الملك قباد على الهرب من السجن الذي وضعه فيه أشراف الدولة وقاموا بتولية جاماسب مكانه، حيث شغل منصب قائد الجيش الساساني بعد عودة قباد للحكم.

٢- البزرگان (العظماء)

يأتي أيضاً في التسلسل الهرمي لهذه الطبقة الـ "بزرگان" العظماء، وهم أصحاب المناصب الكبرى في الدولة والذين يتصدرون للأعمال المهمة ويحتلون المراتب الأولى في الإدارة المركزية للدولة الساسانية. حيث شاع ذكر اصطلاح "العظماء والأشراف" في تاريخ الدولة الساسانية، فكلما ذكر ارتقاء ملك جديد للعرش قيل أن العظماء وأهل البيوتات اجتمعوا ليقدموا له فروض الطاعة والولاء^(٢)، وليستمعوا لخطاب الملك الذي من خلاله يتم التعرف على سياسته في إدارة الدولة^(٣)، كانت لهم مكانة مرموقة في مجلس الملك، وتحالفوا مع الموبدان والنبلاء في كثير من الأوقات ضد الملك.

٣- الدهاقين

وشكّل الدهاقين^(٤) جزءاً مهماً من الطبقة الأرستقراطية الساسانية، وقد انقسموا إلى خمس مراتب مراتب متسلسلة، وكانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم^(٥). وحظي الدهاقين بمنزلة اجتماعية

(١) النويري، نهاية، ج ١٥، ص ١٨٦-١٩١.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ٩٧.

(٣) زرین کوب، عبد الحسين: روزکاران تاریخ ایران ایران از اغار تا سقوط سلطنت بهلوی، تهران انتشارات مهارت، ١٣٧٨هـ، ه.ش، ص ٢٠٢.

(٤) رئيس القرية أو صاحبها، زعيم الفلاحين رئيس الإقليم. الزبيدي، تاج، ص ٢٠٦. التونجي، محمد: المعجم الذهبي، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٢٨٥.

(٥) المسعودي، مروج، ج ١، ص ٢٩٥.

ضمن الطبقة الأولى (طبقة الأشراف)، فكانوا على صلة مباشرة بملوك الدولة الساسانية^١، إذ احتلوا المرتبة الثانية في مجالس الملوك بعد مرتبة الأساورة وأبناء الملوك مباشرة^٢. لذلك سعى بعض الملوك إلى مصاهرتهم، فقد روت المصادر أن زوجة قباد كانت بنتاً لأحد الدهاقين^٣. ولقد ساهمت العديد من العوامل في منح الدهاقين هذه المكانة الاجتماعية الرفيعة، منها ما يتعلق بطبيعة أعمالهم التي أسندت إليهم؛ فضلاً عن كونهم يمتلكون العقارات الواسعة، ومقدرتهم على تمويل خزانة الدولة بالأموال، ولأجل ذلك أظهر الملوك الساسانيون اهتماماً كبيراً بهم، يظهر ذلك بوصية كسرى أنوشروان "Khusraw I" (٥٣١-٥٧٩م) التي قال فيها: "تعهدوا الدهقنة يا معشر الملوك كما تتعهدون الملك"^٤.

٤- رئيس الوزراء

كذلك ضمت هذه الفئة أصحاب المناصب العليا في الدولة وعلى رأسهم رئيس الوزراء الذي يأتي في مقدمة السلم الإداري بعد ملك الملوك، فهو رئيس الإدارة المركزية للدولة الساسانية ولقب في البداية بـ **هزاربدي** أو **هزاربدي** وتعني (رئيس الألف رجل) فهو أول موظف بالدولة، والموظف الذي يدير الملك الدولة بواسطته^٥. كان في كثير من المسائل يتصرف بما يرى، وكان يقوم مقام الملك عندما يكون الملك في رحلة أو في حرب^٦، كان رئيس الوزراء يتولى شؤون المفاوضات الدبلوماسية وكان يستطيع في بعض الأحيان أن يحصل على قيادة الجيش، وهذا يعني أنه مستشار الملك في كل شيء فالوزير من الملك بمنزلة سمعه وبصره وقلبه، وعليه أن يحفظ مصالح الدولة

(١) الثعالبي، غرر، ص ٧٠٥.

(٢) ديورانت، ول وايريل: قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، محمود بدران وآخرون، دار الجيل، بيروت، د.ت، مج ٤، ج ١، ص ٢٧٨.

(٣) - الدينوري، الأخبار، ص ٦٥-٦٦. الفردوسي، الشاهنامه، ص ١١٧.

(٤) بخيت، عبد الحميد: عصر الخلفاء الراشدين التاريخ الديني السياسي والحضاري، دار المعارف، ط ٤، مصر، ١٩٧٧م، ص ١٧٠.

(٥) كريستنسن، إيران، ص ١٠٠.

(٦) نولدكه، تئودور: تاريخ إيرانيين وعربها در زمان ساسانيان، تر: عباس زرياب، خوئي، انتشارات، انجمن آثار ملي، ١٨٧٩، ص ١٠٦.

ويدفع عنها الآفات العارضة^١، وكبير الوزراء (بزرگ فرمادار) الأمثل كان الرجل المثقف ثقافة كاملة، الممتاز في سلوكه، ذو طبع نبيل، الحذر، الذي يمتلك القدر الكبير من الحكمة، والقادر على التأثير في الملك إذا اتبع الهوى^٢.

قيدت سلطة الوزير في نقاط ثلاث: الأولى أنه لم يكن من صلاحياته أن يعين بنفسه خلفه أو من يقوم مقامه. والثانية: أنه لا يجوز له أن يطلب إقالته من الشعب لأنه يتصرف باسم الملك لا باسم الشعب. والثالثة: أنه لا يستطيع أن يعزل أو ينقل الموظفين الذين عينوا بناء على أمر ملكي من غير استئذان من الملك^٣.

تغير وضع رئيس الوزراء بدءاً من عهد قباد الأول بعدما انتقص من اختصاصاته، وذلك عندما احتفظ الملك بحق تعيين ثلاثة من كبار الموظفين الملحقين به، ومنحهم حق رفع التقارير والمقترحات مباشرةً له، بما في ذلك الأمور التي تتعلق بأعمال الوزارة^٤. فلقد وضع قباد وظيفة جديدة (أستبذ) رئيس التشريفات، ثم ألغى تدخل البزرگ - فرمادار في شؤون الولايات وذلك بإدخال نظام (الباذگوسپانين)^٥ الأربعة^٦. وهؤلاء الباذگوسپان الأربعة هم (المرازبة)^٧ وهم مرزوران الشمال، الشمال، مرزابان المشرق، نيمروز الجنوب وحزاباران الغرب^٨.

(١) الثعالبی، تحفة الوزراء، تح: سعد أبو ديه، دار البشير، عمان، ١٩٩٤م، ص ٣٣.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ١٠٢.

(٣) كريستنسن، إيران، ص ١٠٢-١٠٣.

(٤) كريستنسن، إيران، ص ٥٨٨-٥٨٩.

(٥) كانت الولايات مقسمة إلى مديريات "أستان" ولعل كلمة پاڊگوسپان كانت في الأصل لقباً للوالي الذي يرأس جزء من الولاية. كريستنسن، إيران، ص ١٢٨.

(٦) كريستنسن، إيران، ص ٥٠١.

(٧) المرزبة: جمع مرزبان وهم ما وراء الملوك، وهم ملوك الأطراف ومرز هو حد بالفارسية ومرزبان صاحب الحد وحاكم الثغور، وكان الإيرانيون يسمون صاحب النهر (نهر جيحون) مرزتور أي حد الترك وكان أهل خراسان يسمونه مرزابان أي حد العراق وخراسان وتفسيره المشرق، وحزابار هو المغرب. العلان، أرواد: السياسة الساسانية الإيرانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: محمود فرعون، كلية الآداب، جامعة دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٥٦، حاشية رقم (٤).

(٨) العلان، السياسة، ص ٥٦.

٥- الوزراء

ولقد شكل الوزراء في الدولة الساسانية عماد المجلس الاستشاري للملك الذي كان يأخذ برأيهم. فقد كان ملوك الفرس يمجدون وزراءهم وكانوا يقولون: "إن الوزير هو منظم أعمالنا وزينة دولتنا، إنه لساننا الذي نعبر به وسلاحنا الذي أتاح لنا أن نضرب أعداءنا في البلاد البعيدة"^١. تمتع الوزراء بقوة كبيرة، واعتمد عليهم الملك في الكثير من الأمور وكان يسلمهم أمور البلاد، ولكن لم يكن للوزراء تخصص واضح، وجل ما تم ذكره هو مهام رئيس الوزراء وبعض ما كان يقوم به الوزراء، وكانت سلطة هؤلاء الوزراء تزداد في مواطن ضعف الملك، أي عندما يكون الملك مشغولاً بالملذات والشرب والصيد غير مهتماً بأمور البلاد. وفي المقابل كان الوزير مسؤولاً عن أي خلل في شؤون الدولة إذ كان هو الشخص الأول الذي يسأله الملك عن سوء أحوال الرعية^٢.

٢- الطبقة الثانية- طبقة رجال الدين

لقد كان لرجال الدين الزرادشتي مرتبة اصطنعها أردشير وتأتي بالمرتبة الثانية بعد مرتبة الملوك^٣، وضمن هذه الطبقة - أي طبقة رجال الدين - كانت هناك مراتب متسلسلة ومنظمة لا يمكن تجاوزها إلا ضمن ضوابط وشروط خاصة.

أ- الموبدان موبذ:

يأتي في رأس الهرم الطبقي الديني "الموبدان موبذ" وهو منصب قديم ولكنه لم يحظَ على هذه المكانة إلا عند إعلان الزرادشتية ديانة رسمية للبلاد ومن الذين شغلوا هذا المنصب (بهگ) وخليفته (آزباد مهر سبندان) في عهد سابور الثاني، و(مهر راز) و(مهر سابور) في عهد بهرام الخامس^٤، وكان الموبدان موبذ قاضي القضاة وله السلطة العليا في المسائل الدينية، ويرجع له

(١) كريستنسن، إيران، ص ١٠٣.

(٢) الطوسي، نظام الملك (ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م): سير الملوك أو سياست نامه، تر: يوسف حسين بكار، دار القدس، القدس، بيروت، ص ٥٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٥٣.

(٤) الموبذ موبدان: هو قاضي القضاة . الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م): مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط ٢، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٣٨.

(٥) كريستنسن، إيران، ص ١٠٦.

الفصل في المسائل النظرية في الأصول والفروع، وهو الذي يفتي في المسائل العلمية والسياسية والروحية، كما يرجع له تعيين وعزل الموظفين الدينيين^١. ومع مرور الزمن اتسعت صلاحيات الموبدان حتى أصبح انتخاب الملك ووضع التاج على رأسه بيدهم، وفي حال - تجاسر الملك - وفكر في مخالفة تعاليم الزرادشتية فإنه حكماً سيعتبر غير صالح للملك ويتكفل رجال الدين بمهمة عزله^٢.

ومن أهم الشخصيات الدينية التي اعتلت هذا المنصب كان تنسر الذي اختاره أردشير فقد كان من أهم الشخصيات المساندة لأردشير وسعى لبث الدعاية الدينية للزرادشتية وللملك في آن معاً، ووضع التعاليم الجديدة لهذا الدين بأمر من أردشير كي يتم تسويق أعمال الأخير الذي اتهمه حاكم طبرستان^٣ حينها بالارتداد عن التعاليم الزرادشتية، وكان تنسر المدافع الأول عن أردشير بالقول بأنه : "ليس كل التقاليد القديمة جيدة، وبما إن أردشير أكثر عفة وفضيلة من الحكام السابقين فستكون عاداته أفضل من العادات القديمة"^٤.

ب-الموبدان

يأتي في المرتبة الثانية "الموبدان" وهي طبقة دينية كبيرة في تقسيمات رجال الدين، وكان لكل منطقة في الدولة مركز ديني يترأسه موبد، وكانوا مسؤولين عن تفسير الكتب المذهبية والمناظرات مع غير الزرادشتيين من معتقي المذاهب والديانات الأخرى^٥.

(١) كريستنسن، إيران، ص ١٠٦.

(٢) بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٣٩٥.

(٣) حاكم طبرستان: هو (جشنسف شاه) الذي حكم إمارة طبرستان شمال إيران، وهناك من أطلق عليه لقب گوشناسب. ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م): تاريخ طبرستان، تر: أحمد محمد منادي، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٠-٣١.

(٤) تنسر، أقدم نص، ص ٣-١١.

(٥) نيا، زمينه، ص ٥٢.

ج-الهراذة^١

وهم الذين كانوا يديرون المراسيم الدينية في المعابد وهم المسمون **أثربايتي** Aetherta Paitti في الافستا^٢. وهم القائمون على خدمة النار في المعابد^٣ ورئيسهم الأعلى هو "الهريذان هريذ" وكان الهراذة يطلقون أحكاماً بوصفهم قضاة^٤.

د-طبقة المغان

فهي الطبقة الكبيرة والواسعة المؤلفة من رجال الدين الصغار وكان يلقب رؤساء المعابد بـ (مغان مغ)^٥. ولقد مارست هذه الطبقة سلطات روحية واسعة وكان لهم حق القضاء وإبرام العقود الخاصة بالزواج، والطلاق، والميلاد، ورعاية القرابين، ولهم موارد مالية واسعة من الضرائب الدينية والأوقاف الخاصة بالمعابد وغيرها، وكان لهم حق تكوين محاكم التفتيش الخاصة بمتابعة الخارجين عن الزرادشتية، ولهم الحق في عزل وتعيين من يروونه مناسباً في المعابد وأوقافها^٦.

ومن الوظائف الدينية الأخرى وظيفة **وربد** أو **ريذ** أي أستاذ العمل وهو المسؤول عن بعض الأمور المذهبية وأيضاً وظيفة **دستور** وهو الخبير الذي يلجأ له الناس من أجل حسم القضايا المشتبه بها، وكان هناك أيضاً طبقة (**مغان اندرزيد**) أي مؤدب الرجال وهو مشاور الموبدان، وهو رجل حكمة وعلم مهمته التوجيه والإرشاد، وأحياناً يكون أحد أعضاء محكمة التفتيش التي تشكل لمحاكمة الخارجين عن الدين. وهناك مرتبة أيضاً وهي (**زوت**) وكان إمام لصلاة وكان عمله أيضاً

(١) الهراذة: جمع هريذ وتعني خادم النار. الخوارزمي، مفاتيح، ص ١٣٨.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ١٠٨.

(٣) نيا، زمينه، ص ١٥.

(٤) كريستنسن، إيران، ص ١٠٨.

(٥) مغان مغ: نسبة إلى قبيلتهم يامك يامد التي كانت من أقدم القبائل التي سكنت في أذربيجان مكان ولادة زرادشت، وقد تكونت هذه الطبقة قبل الزرادشتية وكانوا يعبدون النجوم والكواكب وسموا مغ بمعنى نظر. نيا، زمينه، ص ١٦.

(٦) كريستنسن، إيران، ص ١٠٣-١٠٤.

إحراق النار، و(زوتر) كان رئيس ومسؤول لمراسم محل النار (معبد زردشت)، وطبقة سفلى لرجال الدين تتشكل من (أزبدان) كانوا خدام معابد النار وكانت وظيفتهم نظافة المعابد وحفظ النار^١. هناك موظفاً آخر يسمى (الراذ) وهو موظف ديني شارك في محاكم ضد الخارجين عن الدين، فقد أظهر استيائه من أعمال القسوة التي أصدرتها تلك المحاكم، وحاول أن يصرف النظر عن عقوبة (تسع الموتات)^٢. ضد أحد الخارجين عن الدين ويدعى بيتيون، فسلبه المويذان خاتم الشرف ثم عزله. وقد أرسل إليه البلاط قاضي القضاء (شهر دادور) ليعاونه بدلاً عن الموظف المعزول^٣.

هـ- الموارد المالية الخاصة برجال الدين

لم يقتصر حصد رجال الدين للمكانة الدينية والاجتماعية الأعلى والأقوى في الدولة الساسانية بل تعداها ليشمل المكانة الاقتصادية أيضاً، ولم يترجم كبار الزرادشتيون نفوذهم على الجانب الديني فحسب بل طالت أيديهم منابع الاقتصاد الساساني، ومن هنا كانت بداية اشتعال الفتيل تحت الرمال الراقدة التي لطالما لم تجد من يشعلها في تلك المرحلة.

لم يكتفِ رجال الدين الزرادشتي بما تحصلوه من ثروات دخلت لبيوتهم ولحبوبهم من قبول القرابين وتبريك المواليد ومراسيم الزواج والتطهير والصدقات والهدايا والأعياد، بل كانت لهم ثرواتهم الخاصة من الأراضي الزراعية التي كانوا ينعمون بكل استقلاليتهم فيها فلا ضرائب ولا جباية، ولم يكن العاملين في تلك الأراضي من الخدم والمزارعين قادرين على الحصول على أجورهم لقاء

(١) كريستسن، إيران، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) التسع الموتات: وهي من أشد أنواع العقوبات والتعذيب فهي تبدأ بقطع أعضاء المجرم الواحد تلو الآخر حتى تنتهي بالرأس. ويذكر كريستسن أن الساسانيين عاقبوا مجرميهم بالعديد من العقوبات كسمل العيون والصلب وسلخ الجلد، وكانت تستخدم هذه العقوبات عند معاقبة الثائرين والخارجين على الدولة. وأيضاً توجد عقوبة الموت تحت أقدام الفيلة، ولقد عذبوا المجرمين بضربات السياط المصنوعة من أعصاب البقر المجذولة، وكانوا يصبون في الجروح الخل والملح والمواد الكاوية، وكانوا يصبون الرصاص المذاب في آذانهم وعيونهم، ويقطعون ألسنتهم. كريستسن، إيران، ص ٢٩٥.

(٣) كريستسن، إيران، ص ٢٩٨.

عملهم، فالخدمة في أراضي رجال الدين مجانية، والضرائب في أراضي رجال الدين ملغاة^١. ولم تكن هذه الصلاحيات منحصرة على كبار رجال الدين بل تعدتها إلى جميع فئاتهم فكانت لهم أراضيهم الخصبة، وكان لهم بيوت قروية، وكانوا يعيشون وفقاً لقوانينهم الخاصة، وبالجمله كان كبار رؤساء هذه الطائفة يملكون عقارات كبيرة^٢. ولم تكن الدولة الساسانية من الدول المسالمة على الصعيد الخارجي - بمعنى آخر - لم يُذكر في تاريخ الساسانيين وجود حاكم واحد لم يقم بحروب خارجية، ولم تكن الدولة جاهزة في كافة الأوقات لتحمل أعباء هذه الحروب، وهذا ما جعلها الدائم الأكبر لحصول كبار رجال الدين على امتيازات مالية واسعة، فقد كانت الحكومة الساسانية محتاجة في بعض الأحيان لموارد رجال الدين من أجل مساعدتهم في أوقات الأزمات والحروب^٣. وهذا ما عزز بالفعل فكرة قيام دولة دينية داخل الدولة السياسية الساسانية.

من الشيء البديهي أن حصر مثل هذه الامتيازات لصالح طبقات رجال الدين على حساب الطبقات الفقيرة أن يظهر على واجهة الأحداث مشاكل اجتماعية ودينية واقتصادية، أضعفت من تماسك المجتمع الساساني وجعلته بخانة بعيدة جداً عن حكومته، أضف لذلك أن وقوف رجال الدين إلى جانب الملك وقصره والطبقة الارستقراطية، كان قد جعل باب الخروج من هذه الديانة مفتوحاً أمام المتملكين من سوء الأوضاع وتردي الجانب المعيشي والاقتصادي^٤.

لقد ابتعدت طبقة رجال الدين تماماً عن طبقات المجتمع الفقيرة وأصبحت الهوة واسعة بينهم، والسبب في ذلك هم أنفسهم رجال الدين المدعومين من قبل السلطة الحاكمة، فقد كان همهم الأول والأخير العمل على زيادة ثراء خزائنهم وتشديد قبضتهم الخانقة على المجتمع الساساني باسم الدين، ولقد ألهاهم الغنى الفاحش وملذات الدنيا والطمع والجشع الذي سيطر على عقولهم وقلوبهم عن رسالتهم الزرادشية وتعاليم زرادشت الحقيقية، وهذا ما جعل أفراد المجتمع الساساني يبتعدون عن انتمائهم للصبغة الدينية التي لونت نفسها بها هذه الطبقة وأصبحت العناصر الساخطة على وجود

(^١)Ghrishman, Iran, pp. 231-234

(^٢) كريستنسن، إيران، ص ١٠٥.

(^٣) كريستنسن، إيران، ص ١٠٤-١٠٥.

(^٤) الموسوي، جاسب مجيد جاسم، الديانة الزرادشتية وأثرها في الدولة الساسانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ١٤٨-١٤٩.

هذه الطبقة تمثل شريحة كبيرة من المجتمع الساساني ، وكانت رداً أفعال المجتمع أكبر من أي توقع قد تتكهن به هذه الطغمة الحاكمة.

٣- الطبقة الثالثة-طبقة رجال الحرب:

تولى قيادة الجيش الساساني قائد واحد هو **ايران سباهد^١** أو **الأصبهيد**، الذي شملت مهامه أركاناً ثلاث أساسية، هي شؤون الحرب وقيادة الجيش العليا، والقيام بمفاوضات الصلح مع العدو^٢. ولقد شكل الفرسان (الأساورة)^٣ القسم الرئيسي من الجيش، وكان لهذه الطبقة امتيازات كثيرة كامتلاكها الاقطاعات الواسعة، وحصلوا على مكانة رفيعة في المجتمع الساساني^(٤) فقد كان الظفر بالحرب منوطاً بقوة هؤلاء الفرسان، الذين شكلوا القسم الرئيسي من الجيش^٥ وكانوا على عدة أقسام تفاوتت حسب أهميتها ودورها في المعركة، كما تفاوتت حسب جمعها وتدريبها وجنسياتها وهي ثلاث فرق:

أ- **الفرسان الخالدون**: وهم فرقة من الفرسان المختارين من أبناء الأسر النبيلة والعظماء، تتكون هذه الفرقة من عشرة آلاف فارس، ويحمل رئيسهم لقب (**ورهرنيكان خواذاي**)^٦ ويبدو أن هذه الفرقة مأخوذة عن النظام الحربي الأخميني^٧.

ب- **الفرسان المتطوعون**: وهم الذين يعدّهم ويجهزهم الملوك التابعون للملك للخدمة، وهم من أصول مختلفة من شعوب القوقاز وشمال بحر قزوين وأغلبهم من الأرمن والهن^٨.

(١) سباهد: تعني أمير الجيش، أمير الجند، مرتبة عسكرية تعادل (الفريق). التونجي، المعجم، ص ٣٧٧.

(٢) المسعودي، التنبيه، ص ١٠٣.

(٣) الأساورة: جمع أسوار والأسوار هو الفارس. الخوارزمي، مفاتيح، ص ١٣٧.

(٤) - كريستنسن، إيران، ص ٨٦.

(٥) بيرنيا، تاريخ، ص ٤٠٠.

(٦) العلان، السياسة، ص ٦١.

(٧) بيرنيا، تاريخ، ص ٤٠٠.

(٨) وكان يوجد بينهم جميع أنواع الطوائف "من ديالمة وغيلكيين وبدو گرگان وأرمن وغيرهم". بيرنيا، تاريخ، ص ٤٠٠.

ج-الفرسان الفدائيون: (جان ايسپار) وهم جنود مأجورين^١ امتازوا بالجرأة وتحدي الموت^٢.
ووقع على عاتقهم تنفيذ المهمات الصعبة كالاقتحام والهجوم على العدو^٣.

٤-الطبقة الرابعة- طبقة الكتاب (ديران):

وتنقسم طبقة الكتاب إلى كتاب الرسائل وكتاب المحاسبات وكتاب الأقضية والسجلات والشروط وكتاب السير ويدخل فيهم الأطباء (درست بد) والشعراء والمنجمون (اخترمار)^٤ ولقد حازت فئة المنجمين على أهمية كبيرة في البلاط الساساني، فقد استشارهم الملوك في جميع شؤون حياتهم. في شأن المولود الجديد إذا ولد، وفي نتيجة الحرب إذا أقدموا عليها، وفي الوقت المناسب لبدئها، وفي بناء السدود والعمائر، وفي القيام بالرحلات، وغيرها من الأمور^٥.

وبسبب أهمية الدور الذي يقوم به الكاتب فقد وضعت عدة شروط يجب توفرها فيه منها:
ينبغي أن يكون الكاتب كريم الأصل، شريف العرض، دقيق النظر، عميق الفكر، ثاقب الرأي، وأن ينال الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر من الأدب وثمراته. وينبغي أن يكون حسن الخط. وقد كان أذكى الكتاب ومن حسنت خطوطهم يستخدمون في البلاط الملكي، أما الآخرون فكانوا يُرسلون إلى الأقاليم^٦.

كان رئيس طبقة الكتاب يُلقب بلقب ايران - ديبهرى (ايران-ديريد) أو ديبهران مهيست، وكان في بعض الأحيان يعين من حاشية الملك^٧.

ونظراً للتوسع الإداري الذي شهدته الدولة الساسانية وتعدد دواوينها فقد أدى ذلك إلى تعدد اختصاصات هذه الفئة ومن هذه الاختصاصات:

١- داد - دبهير (كاتب الأحكام)

(١) بيرنيا، تاريخ، ص ٤٠٠.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ١٩٩.

(٣) مسكويه، تجارب، ج ١، ص ١٣٤.

(٤) كريستنسن، إيران، ص ٨٦.

(٥) ندا، دراسات، ص ٢٢٥.

(٦) كريستنسن، إيران، ص ١٢٣.

(٧) كريستنسن، إيران، ص ١٢٣.

٢- شهر - آمار - دبهير (كاتب الخراج).

٣- كذگ - آمار - دبهير (كاتب حساب دار الملك)

٤- گنج - آمار - دبهير (كاتب الخزائن)

٥- آخر - آمار - دبهير (كاتب الاصطبلات)

٦- آتش - آمار - دبهير (كاتب حسابات النيران)

٧- رُوانه گان - دبهير (كاتب الأوقاف)^١

وقد كان في بلاط الدولة الساسانية كاتباً مختص بالشؤون العربية، وكان مترجماً أيضاً، وكان من عرب الحيرة^٢. ومن الكتاب المهمين في الدولة الساسانية هو كاتب الجيش، ومهمته تسجيل أسماء الأمراء والقادة والأجناد في ديوان الجيش على مراتبهم وتاريخ التحاقهم ومقدار أعطياتهم وإحصاء الغنائم، وغيرها من الشؤون التي تخص تسجيل الأمور المتعلقة بالشؤون العسكرية^٣.

٥- الطبقة الخامسة- طبقة الزراعة والصناع:

ويرأس هذه الطبقة رجل يلقب بـ (الواستريو شانسالار) أو (توخش بد) أي حافظ كل من يكديديه^٤، وهو رئيس الزراعة، وتقع هذه الطبقة في أسفل السلم الاجتماعي، وهم طبقة عامة الناس والغالبية العظمى من السكان فقد كانت طبقة الفلاحين (كشاورزان) يعملون في أراضي الارستقراطية ورجال الدين وكانت هذه الطبقة مقسمة إلى عدة طبقات فمنهم من يتولى مهمة الإشراف على الفلاحين الصغار وكان يطلق عليهم لقب (سالار) وكانوا يعينون هؤلاء من قبل الدولة الساسانية ويتسلمون رواتبهم منها وكانت مهمتهم تنظيم جمع الضرائب من الفلاحين وتهيئة الجيوش من الفلاحين والعبيد في حال نشوب الحرب^٥.

(١) الخوارزمي، مفاتيح، ص ٧٢.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ١٢٤.

(٣) ندا، دراسات، ص ١٧٠.

(٤) المسعودي، التنبيه، ج ١، ص ١٩٠.

(٥) نيا، زمينه، ص ١٩-٢٠.

وتمثل الطبقة الأخرى الفلاحين من أهل الريف والقرى، وكانوا مجبرين على العمل من طلوع الشمس إلى غروبها، ولقد حرّموا من التعليم وكانوا يعيشون في ظروف اقتصادية صعبة من حيث المسكن والمأكل والملبس ولقد وقعت على عاتقهم أعمال وواجبات كثيرة منها:

١- الخدمة الإجبارية في الجيش

٢- دفع الضرائب

٣- حرق وزراعة الأراضي^١.

أما فئة **الصناع والحرفيون** فكانوا يعملون إما في منازلهم أو في دكاكين صغيرة تؤلف مجتمعة أسواقاً يرتادها الناس لشراء حاجياتهم، وكان غالبيتهم من سكان المدن الكبرى، وكانت العاصمة طيسفون تكتظ بطبقة من الصناع المهرة^٢. وكان من واجب الصناع ألا يتدخلوا في الأعمال التي لا يعرفونها، وعليهم أن يعتنوا ويتقنوا بالعمل الذي يعرفون، وأن يطلبوا عنه الأجر القانوني، ذلك لأن الصناع إذا اشتغل بعمل لا يعرفه يفسده ويصبح بسبب تدخله عديم الجدوى^٣.

أما بالنسبة للطبقة الثالثة فقد كانت من **العبيد** الذين كانوا يعملون في بيوت الارستقراطية وأراضيهم الزراعية، وكان يتم بيعهم وشراءهم مع الأرض، ويعتبرون ملكاً لصاحبها إضافة إلى أنهم كانوا يستخدمون في الحروب كأسرى، وكانوا يعملون من دون أجر أو مقابل، ولقد امتلك معظم كبار رجال الدولة الكثير من العبيد فعلى سبيل المثال لا الحصر كان الوزير مهر نرسی يملك لوحده ألف عبد لذلك لقب بـ (مالك ألف عبد)^٤.

كان لكل طبقة صفات معينة لا تؤهلها للانتقال إلى الطبقة الأعلى إن أرادت ذلك، إلا في حالات نادرة جداً، فلقد رسم أردشير ملامح حدود صارمة لتلك الطبقات، فلا يحق للفرد الانتقال

(١) نيا، زمينه، ص ٢٠-٢٥.

(٢) بروي، إدوار: تاريخ الحضارات العام "القرن الوسطى"، تر: يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ٢٠١٠م، ص ٥٦.

(٣) كريستن، إيران، ص ٣٠٥.

(٤) دياكانوف، ميخائيل ميخائيلوفيتش: تاريخ إيران باستان، تر: روجي أرياب، جاب روم، تهران، انتشارات علمی وفرهنگی، ١٣٨٠هـ، ص ٣١٧.

(٥) عباس، إحسان: عهد أردشير، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٢٥.

من طبقة أدنى إلى طبقة أعلى، إذ سجلت أسماؤها في الكتب والدواوين، ولكنه وضع لهذه القاعدة استثناءً خاصاً بالطبقة الدنيا باستثناء الأفراد الموهوبين منها فقط، فإذا ظهر من العامة من يتمتع بموهبة خاصة فإنه يعرض على الموابذة لإبداء رأيهم، فإذا امتاز بالتقوى فإنه يدخل في سلك رجال الدين، أو إذا امتلك قوة جسدية أو موهبة قتالية، فيصبح من رجال الحرب، أما من امتاز بالذكاء وقوة الذاكرة فيلحق بالكتّاب، لكن هذا الانتقال من طبقة إلى طبقة محدود ومحاط بقيود كبيرة، فقد كان ملوك الفرس يرون في انتقال الناس إلى غير طبقاتهم مؤذنة بخراب الدول فجاء على لسان أردشير: "ما شيء أسرع من خراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يرفع الوضع إلى مرتبة الشريف ويحط الشريف إلى مرتبة الوضع".^١

وقد استأثر الملوك الساسانيون لأنفسهم حتى بأطيب الطعام والثياب، وكان من عادة ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ممن في خدمتهم لبسة لا يلبسها أحد ممن في غير تلك الطبقة، فإذا وصل الرجل إلى الملك عُرف بلبسته صناعته، والطبقة التي هو فيها.^٢

لقد ساهمت الفوارق الطبقيّة بين فئات المجتمع الساساني والتي أوجدها النظام الطبقي في تدمير عامة الشعب وشعورهم بالاستياء، فلقد تفردت الطبقة الارستقراطية بحصد الامتيازات والأموال على حساب الطبقات الفقيرة والمعدمة، وزاد الوضع سوءاً نفوذ الأشراف وتسلط رجال الدين، وقد تزامنت تلك الأوضاع المتردية مع ظهور الدعوة التي قامت باسم الدين وعرضت البنيان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الساساني للخطر، وتمثل ذلك بظهور الدعوة المزدكية.

ثانياً: الحياة الدينية:

تعد الفترة الساسانية عند أغلب المؤرخين فترة زاهية عن غيرها من فترات التاريخ الفارسي القديم بما قدمته من عقائد وأفكار دينية متعددة كان لها الأثر الكبير في تخليد جانب مهم من جوانب التراث الفكري الإيراني قبل الإسلام. وعلى الرغم من أن أردشير قد سعى إلى جعل الدين الزرادشتي ديناً رسمياً للدولة وربطه بقيام الملك بقوله: "واعلموا أن الدين والمُلك توئمان لا قوام

(١) الخشاب، التقاء، ص ١٧.

(٢) الجهشباري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م): كتاب الوزراء والكتّاب، تح: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة الباوي، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٢.

لأحدهما إلا بصاحبه لأن الدين أساس الملك وعماده وصار الملك بعده حارس الدين فلا بد للملك من أسه ولا بد للدين من حارسه فأن ما لا حارس له ضائع وأن ما لا أس له مهدوم"^١، إلا أنه شهدت هذه الحقبة ظهور عدة أفكار ومعتقدات دينية منها المانوية والمزدكية والتي خرجت من رحم الزرادشتية نفسها.

١-المعتقدات القديمة

اختلفت المصادر في رسم صورة واضحة عن الديانة الفارسية في العصور القديمة، فيذكر أحد المؤرخين " ان دين الفرس، دين الصابئة ثم تمجسوا وبنوا بيوت النيران"^٢ بينما يرى بعضهم ان ديانتهم القديمة في العصور التي سبقت الأخمينيين كانت واحدة من الديانات الهندو - أوربية الوثنية^٣ فقد عبدوا آلهة الطبيعة كإله الشمس (ميثرا)، (وأناهيتا) آلهة الخصب والأرض، كما عبدوا القمر والنار وكانوا يقدمون لهم الأضاحي والقربان^٤. وظهرت في إيران كذلك أيضاً عبادة الملوك، وربما اقتبسوا ذلك من اختلاطهم بغيرهم من الأمم فأضافوا على الملك هالة من القداسة والعظمة منذ العصور الأسطورية القديمة^٥. أما الديانة المجوسية فقد كانت ديانة الملك قورش الثاني (٥٥٨-٥٣٠ ق.م)، وتتص هذه الديانة على اتخاذ إلهين أحدهما يمثل النور والصدق والخير ويمثله (أهورامزدا) والآخر يمثل الظلام والباطل ويمثله (أهريمان) وجميع الديانات التي أتت بعدها كانت انعكاساً لبعض تعاليمها بطريقة أو بأخرى فعندما تذكر المصادر المجوس فأنها تشير إلى ديانة الفرس والتي منها الزرادشتية والمانوية والمزدكية^٦.

(١) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٩٠هـ/١١٩٤م): المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تح: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٢٣٩.

(٢) المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ط ١، ١٩٣٨م، ص ٧٧.

(٣) فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص ٢٣٢.

(٤) مظهر، سليمان: قصة الديانات، دار الوطن العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢٦٣.

(٥) بختياري، عليقلی محمودی: زمينه فرهنگ وتمدن ايران، تهران، ١٣٥٨ هـ ش، جاب سوم، ص ٢٦٢.

(٦) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٧٤.

٢- الزرادشتية (Zoroastrianism)

تتسبب هذه الديانة إلى زرادشت^١، الذي اختلف المؤرخون حول الزمن الذي عاش فيه والمنطقة التي استقر فيها واللغة التي كتب بها الكتاب المقدس (الأفستا)، ويُرجع البعض الزمن الذي وُلد فيه إلى النصف الثاني من القرن السابع وتوفي في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد، وتحديدًا في الحقبة التي تمتد بين عامي (٦٢٨-٥٥١ ق.م)^٢، وقد ظهر حسب ما ذكر الطبري في أذربيجان^٣ ثم أخذ يدعو إلى مذهبه خارج حدود الإقليم^٤ متوجهًا نحو بشتاسف (كشتاسب) في نواحي بلخ^٥.

فقد كان زرادشت موحدًا لله تعالى وأطلق على أتباعه اسم المجوس، فالمجوس هم المصدّقون بنبوة زرادشت والمكذّبون بنبوة موسى^(٦).

تعد ديانة زرادشت تطوراً حضارياً للديانات الأسبق التي تقدّس قوى الطبيعة، وعلى رأسها الشمس، وقد استمر تقديسها في ديانة زرادشت باعتبارها رمزاً لإله الخير (أهورامزدا)^٧ وهو العدو

(١) لا يعرف يقيناً معنى كلمة زرادشت، ويقال على الاعتقاد أنها مشتقة من كلمة زرتشت، وتعني الجمل الأصفر. العابد، معالم، الهامش رقم (١)، ص ١٠٥. وهي كلمة مركبة (Zarath) ويكمن حولها الاختلاف و (Ustra) أو "استرا" بمعنى الجمل. وتتقلب معانيها ولم تستقر إلى يومنا هذا فتارة تأتي بمعنى عجوز فيترجم المركب في الكلمتين "صاحب الجمل العجوز" وتارة بمعنى أصفر أو سريع فيصبح معناها "صلح الجمل الأصفر، أو الجمل السريع" Jackson, A.V.W, Zoroaster The Prophet of Ancient Iran, London, 1899 , p. 14.

(٢) القماطي، هنية مفتاح، الفكر الديني القديم، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٠٦.

(٣) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٣٨.

(٤) الفندياد، أهم الكتب التي تتألف منها الأفستا، تر: داوود الموصلي، مطبعة الاتحاد الجديد، الموصل، ١٩٥٢م، ص ١٥٥٢.

(٥) أمين، أحمد: فجر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ٩٩.

(٦) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواز والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٥٨م، ج ١، ص ١٨٢.

الشهرستاني، الملل، ج ١، ص ٢٨٢.

(٧) يعتقد فقهاء اللغة البهلوية الساسانية أن كلمة (أهور) في الأصل هي (أسور) وهو اسم آله الآريين من الهنود الأوروبيين عندما كانوا يعبدون إلهاً واحداً، أما كلمة (مزدا) فتعني العالم، وبهذا يكون معنى الكلمة أهورامزدا (إله العالم) مع بعض التحريف. العابد، معالم، هامش رقم (١)، ص ١٠٦. ويتفق رأي ثاني بالقول أن أهورامزدا إله

الطبيعي لإله الظلام (أهريمان)^١، وهذان الروحان في صراع مستمر منذ أن وجدتا وحتى نهاية الزمن، والرجل المؤمن هو الذي يعمل الخير ويقاوم الشر داخل نفسه^٢. ويقدر الزرادشتيون دورة الدنيا باثني عشر ألف سنة، كما يعتقدون بوجود كائنات نورانية تساعد آهورامزدا، وأرواح شريرة تساعد أهريمان^٣. تسمى الديانة الزرادشتية بالثنوية وكان للنار مكانة عظيمة عندهم، وتحديدًا لبيوت النار التي لا تطفأ نيرانها إذ ليس من إقليم ولا بلد ولا مدينة ولا قرية إلا وبها عدد من بيوت النار ولها صلوات وقربان ويعتقدون أن فيها النفع والضرر^٤.

قدست التعاليم الزرادشتية الزراعة والعناية بالماشية وحرمت تدنيس الماء ودفن الموتى في الأرض كي لا تدنس التربة^٥، وأنشأت المذابح المقدسة على قمم الجبال وفي القصور وساحات المدن وكانوا يوقدون النار فوقها إكراماً لـ (آهورامزدا) ولكنها لم تسمح بإقامة الهياكل أو الأصنام^٦. لقد كان لقيام الأسرة الساسانية وتقلد الساسانيين لأمر الحكم الدور الأكبر في قيام تحولات دينية إضافة إلى التحولات السياسية التي حدثت، فحتى تتحقق الوحدة السياسية كان لا بد من

الخير عند المجوس، ولكن كلمة آهورامزدا مكونة من آهو، را، مزدا، وتعني أنا خالق الكون أو الوجود. حسنين، عبد النعيم محمد: قاموس الفارسية، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٥٦.

(١) الاسم الأول لهذا الإله كان (أنكرمينيو)، وتعني (الطبيعة الموحشة) أو (الضمير) ولا يعرف كيف تحولت بمرور الزمن لتصبح أهريمان. العابد، معالم، هامش رقم (٢)، ص١٠٦. وكلمة أهريمان، مرادفة لروح الشر أو روح الأذى والفساد. حامد، عبد القادر: زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة نهضة مصر، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٩١-٩٢.

(٢) وهبي، توفيق: دين الكرد القديم، تر: جميل بندي، مجلة العرفان، العدد ١، لبنان، ١٩٦٨م، ص٦٢٥-٦٢٦.

(٣) بارندر، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٧٣، الكويت، ١٩٩٣م، ص٢٠.

(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، ١٩٥٦م، ج١، ص١٠-١١.

(٥) بابلون، أرنست: الآثار الشرقية: لحضارات كلدية وآثور وفارس وسوية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص، تر: مازن الخوري، دار جروسيرس، لبنان، ١٩٨٧م، ص١٣٦.

(٦) سغفان، كامل: معتقدات آسيوية (العراق- فارس- الهند- الصين- اليابان)، دار الندى، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٢٥.

تحقيق الوحدة الدينية. وهذا ما دعاهم للالتزام بالدين الزرادشتي والالتفاف حوله وهذا ما جعل من الديانة الزرادشتية الدين الرسمي للدولة والمجتمع، وذهبت إلى أبعد من ذلك في تمثيلها لفكر الدولة الساسانية طوال وجودها السياسي (٢٢٦-٦٥١م).

لقد ساهم رجال الدين الزرادشتي بشكل فعلي في إدارة الدولة والحكم بين الناس على الشريعة الزرادشتية، وأصبحت طبقة رجال الدين هي الطبقة المتنفذة في البلاد وبدأوا بالتسلط والتدخل في شؤون الحكومة الساسانية^١. ولقد كوّن رجال الدين الزرادشتي الحلف القوي والمتين بينهم وبين الحكام - هذا الحلف - الذي لم يتضعع إلا في فترات قليلة^٢.

لقد ساعدت تعاليم أزدشير الذي تشدد في معاملة كل خارج عن دين زرادشت - ساعدت - رجال الدين في تكوين دولة داخل الدولة الساسانية، ومن الممكن قراءة العديد من النصوص والخطب والوصايا التي وجهها لابنه سابور، وكانت إحدى وصايا ازدشير لسابور تقول:

الدين والدولة فيما أرى كخيمة قائمة بالعماد
لا الدين دون الحكم يبقى ولا حكم بلا دين يسود البلاد^٣

٣ - المأنوية:

مؤسس هذه الدعوة ماني بن فاتك الحكيم أو فاتق^٤، ولد ماني سنة ٢١٥م وكان والده فاتق بن بابك من عائلة أشكانية عريقة وهو رجل مسيحي وأسقف في إحدى البلدات التابعة لمدينة بابل^٥، وادعى ماني أنه النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام، وأنه خاتمة الأنبياء^٦. وأعلن ذلك

(١) عباسي، سمية: تحليل بر روابط مزدك ونظام ساسانيان: جالش ها وهمكرايي ها (٤٩٠-٥٧١م)، بايان نامه براى دريافت درجه كارشناسى ارشد، دانشكاه آزاد اسلامى، ١٣٩٢هـ.ش، ص ٥١.
(٢) العابد، معالم، ص ٤٥.

(٣) مطهري، مرتضى: الإسلام وإيران، تر: محمد هادي اليوسفي الغروي، سبهر، طهران، ١٩٩٧م، ص ١٥٥.
(٤) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م): كتاب الأنساب، تج: عبد الله الباروني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١٧٣.
(٥) الحنفي، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط ٣، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٧٢٧.
(٦) حنا، نهى وآخرون: موسوعة كنوز المعرفة، دار نظير عبود، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٦٨.

من خلال خطبة رسمية له في عهد الملك سابور^١، ففي كتابة تنسب إلى سابور أمر فيها (بحرية المغان واليهود والمناويين وأتباع الأديان والمذاهب كافة في جميع نواحي إيران وأن لا يضايقوهم في أداء مراسيمهم الدينية)^٢. لم تتعد المانوية كثيراً عن أفكار الزرادشتية فهي من الديانات الثنوية وترى العالم قائم على أصليين: هما النور والظلمة، أو الخير والشر، وهي ديانة وسطية بين الزرادشتية والمسيحية^٣، اختلفت المانوية عن الزرادشتية في أنها كانت ديانة متشائمة تدعو إلى الزهد في الحياة والنفور من عالم المادة الشرير، في حين أن الديانة الزرادشتية ديانة متفائلة تدعو للإقبال على العمل والحياة، ولكنها في الوقت نفسه تدعو للخنوع في مجتمع قائم على القهر والظلم على عكس المانوية التي كانت صرخة المقهورين ضد أسيادهم الظالمين^٤.

وفرض ماني على أتباعه أداء العشر من أموالهم كزكاة، كما فرض عليهم الصيام، وأمرهم بترك الكذب والقتل والسرقة والزنى وغيرها^٥، وتأثرت عقيدته بالديانة المسيحية من خلال بعض العقائد كالتمعيد والقدّاس الإلهي، بالإضافة لتأثرها الواضح بالزردشتية^٦.

ألف ماني مجموعة من الكتب والرسائل والتي كانت إحدى الوسائل الناجحة لنشر ديانته وبقاءها بين الناس بعد قتله، ومنها كتاب سفر الأسرار، وكتاب كنز الإحياء، وكتاب الإنجيل، وكتاب سفر الجبابرة، وكتاب الأصليين، وكتاب فرقاطيان، وكتاب كفلايا^٧.

ولأن الملك الساساني أردشير كان من أشد المدافعين عن الزرادشتية ومن كبار حُماتها^٨، فإن ماني لم يوسع حدود دعوته في حياته. ولكن دعوة ماني انتشرت بشكل كبير في أرض الرافدين

(١) الدباغ، تقي الدين: فكر الدين القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢م، ص ٢٠٢.

(٢) مطهري، الإسلام، ص ١٥٩.

(٣) الشهرستاني، الملل، ج ١، ص ٤٤٢.

(٤) ويمكن القول في هذا السياق أن ماني قسم الطبقات العامة إلى خمس طبقات، ولتفاصيل أكثر عن الموضوع يمكن العودة إلى: راوندي، مرتضى: تاريخ اجتماعي إيران، انتشارات أمير كبير، تهران، ١٣٥٤هـ. ش، ج ١، ص ٧١١.

(٥) ماجد، عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية "عصر الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين"، مكتبة الأنجلو

المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٠م، ج ١، ص ١٩٦.

(٦) سغفان، معتقدات، ص ١٤١.

(٧) النديم، الفهرست، ص ٤٧٠-٤٧١.

ولاقت قبول واضح من قبل مهرشاه (حاكم إقليم دست ميسان)^٢ أخ الملك سابور الأول، والذي بدوره أخبر أخاه بقصة ماني^٣. وقد تعرف ماني على سابور ورافقه في حملته على الرومان أيام الامبراطور فاليريان (٢٥٣-٢٦٠م) وانتصر سابور في هذه المعركة، وأسر الامبراطور الروماني، فظن أن هذا النصر بتأييد من آله النور ورسوله ماني^٤.

وهذا ما جعله قريباً من الملك سابور الذي أضفى عليه هالة من الجلالة، حتى أن ماني أهده أول مؤلفاته وأطلق عليه (السابورقان) تيمناً باسم الملك سابور^٥، ولكن مع مجيء بهرام بن سابور^٦ (٢٧٣-٢٧٦م) بدأ التضييق على ماني وأتباعه، والسبب في ذلك هو خضوع بهرام لتأثيرات رجال الدين الزرادشتي الذين أظهروا العداء لهذه الديانة التي انتشرت كالنار في الهشيم^٧. وكان المحرك الأساسي لإثارة غضب الملك على ماني الموبدان موبذ (كردئير) وبدأت العلاقة تسوء بين أتباع الزرادشتية والمانوية وأقنع الزرادشتيون الملك في طلب ماني لعقد مناظرة فيما بينهم، فبعث بهرام إلى ماني وأحضره إلى بلاطه^٨. ورفض الملك أقوال ماني وعدّه داعياً إلى ما يناقض شريعة الملك فهو ينادي بقمع الشهوات والتخلي عن الحرص وترك أكل اللحم وشرب الخمر والتمتع بالنساء ويدعو إلى الصوم الدائم ومقاومة القهر والظلم وهذا نقيض ما تدعو له الزرادشتية ولهذا قال بهرام لماني: "بشرت بمبادئ تعارض شريعتنا"^٩، وعاب عليه أموراً أخرى بقوله: "أنك لا تشارك في الحرب (لأن ماني كان أعرج) ولا في مطاردة الصيد (فقد حرم ماني قتل الحيوان) ولا

(١) زاده، السيد حسن تقي: ماني ودينه، الجامعة اللبنانية، قسم اللغة الفارسية وآدابها، ١٩٦٣م، ص ٢١٠.

(٢)(٢) دست ميسان: مدينة جلييلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي للأهواز أقرب، وقيل أنها كورة قصبتها الأبله

فتكون من كور البصرة. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٣) النديم، الفهرست، ص ٤٥٣.

(٤) تقي، ماني ودينه، ص ٢٠٧.

(٥) خوان مير، غياث الدين بن همام الدين (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م): تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تهران،

١٩٥٥م، ج ١، ص ٢٢٧.

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٤٦.

(٧) حمد، محمد عبد الحميد: الزندقة والزنادقة "تأريخ وفكر"، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٢٤.

(٨) اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ١٣١.

تحسن تركيب العقاقير أو الطب (لأنني ماني كان طبيباً روحانياً)^١. وعلى أثر ذلك تم سجن ماني سنة ٢٦٧م ومات في السجن على أثر التعب والجوع^٢. وتقول مصادر أخرى أنه قُتل بعد تلك المناظرة وعُلق رأسه على أحد أبواب جند يسابور وصار الباب منذ ذلك الحين يُعرف بـ (باب ماني)^٣. عانى أتباع ماني أعنف أنواع الاضطهاد، ومع ذلك استمر مذهبهم عدة قرون لاحقة^٤.

٤- المسيحية

المسيحية دين أسسه يسوع المسيح، وأطلق على أنصاره اسم المسيحيين^٥. تغلغت الديانة المسيحية في إيران من جهة الغرب، كانت المسيحية من أهم الديانات التي مثلت خطراً كبيراً على الزرادشتية، فقد كانت ديانة عالمية ولها مبشروها الذين يبشرون بها أينما تواجدوا على عكس الدين الزرادشتي الذي أصبح دين دعاية للملوك فقط ومثار تعصب لرجال الدين الزرادشتي من أجل الحفاظ على النظام السياسي السائد داخل الدولة الساسانية^٦.

وقد عاش نصارى الهضبة الإيرانية في بادئ الأمر داخل كنف الدولة الساسانية بسلام واطمئنان دون حدوث أي تضيق لهم، حتى قيام الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول "

(١) أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٧٢-٧٣.

(٢) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، بلا. ط، ١٩٢٣م، ص ٤٠.

(٣) ابن حزم، الفصل، ج ١، ص ٣٥.

(٤) ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرن الطيب الملطي ت ٦٨١هـ/١٢٦٨م): تاريخ مختصر الدول، تح: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط ٢، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٢٩-١٣١. نغرين، جيواويد: ماني والمانوية دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها، تر: سهيل زكار، دار حسان، ط ١، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٩٧.

(٥) المسيحي: هو الذي يؤمن بضرورة إعادة تأويل كل شيء على ضوء تعاليم يسوع. والمسيحية هي الديانة الوحيدة الوحيدة التي تتجسد حقيقتها في شخص حي ذي وجود واقعي. العلان، السياسة، ص ٧٧.

(٦) كريستنسن، إيران، ص ٢٥٢.

Costantine I (٣٠٦-٣٣٧م)^١ باعتناق النصرانية وعدّها ديناً رسمياً للدولة ٣١٢م. فكانت هذا الحادثة بداية التغيير في نظرة نصارى إيران إلى حكامهم الساسانيين، وكذلك في نظرة ملوك الدولة الزرادشتيين إلى نصارى دولتهم، ومنذ ذلك الوقت أصبح المسيحيون بمثابة رعايا لدولة أجنبية^٢. وقد عبّر الملك سابور الأول عن هذه التغيرات برسالة أرسلها إلى حكامه يطالبهم فيها بجمع الجزية مضاعفة من نصارى دولته، وكانت هذه الأحداث مقدمة للاضطهادات الأولى التي تعرض لها نصارى إيران قبل الإسلام، حيث قتل قسم كبير منهم، وتعرض القسم الآخر للسجن والنفي ومصادرة الأملاك^٣.

قد تكون الفترة التي شعر فيها المسيحيون بحالة من الهدوء والسكينة والحرية هي فترة حكم قباد الأول الذي سمح ببناء الكنائس، ويقال أنه بالغ في معاضدتهم ومؤازرتهم لأنهم ساعدوه في أثناء هروبه إبلاد الهياطلة سنة ٤٩٦م على أثر خلعهم من العرش وتنصيب أخاه جاماسب^٤ ولكن هذه الحرية التي منحها قباد كانت داخل إطار المسيحية نفسها ولا تتعدى على حدود الديانة الزرادشتية ومعتقداتها، إلا أن قباد أيضاً سعى بمرحلة من مراحل حكمه لاضطهاد النصارى عندما حاول أن يفرض الدين الزرادشتي على ثوار إيبيريا لكي يظهر نفسه بمظهر المدافع عن الدين الزرادشتي فاتبع سياسة أسلافه في تعقب المسيحيين وتقييد حريتهم الدينية، وأجبر أهل إيبيريا على اعتناق الزرادشتية ونبذ المسيحية^٥.

(١) قسطنطين الأول: هو ابن القيصر ونستانتينوس كلوروس، وأمه هي هيلانة التي منحت صفة القداسة عند المسيحيين، ولد عام ٢٨٠م في مدينة نيش وحكم بيزنطة بين عامي (٣٠٦-٣٣٧م). فرح، تاريخ بيزنطة السياسي، ص ٥٦.

(٢) ماسه، هنري وآخرون: تاريخ تمدن إيران، تر: عيسى بهنام، مطبعة بهمن، تهران، ١٩٥٨م، ص ١٦٩.

(٣) حكمت، علي أصغر: نظرة عامة على تاريخ الكنيسة في إيران، مجلة الدراسات الأدبية - قسم اللغة الفارسية، الجامعة اللبنانية، بيروت، العدد ٤٠، ١٩٦٢م، ص ٣٨٢.

(٤) شير، ادي: تاريخ كلدو واشور، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م، ج ٢، ص ١٦١.

(٥) لقد سعى الملك قباد لمضايقة المسيحيين حتى في طريقة دفن موتاهم، إذ منعهم من الدفن وأجبرهم على اتباع المراسيم الزرادشتية، وذلك بترك جثة الميت من غير دفن معرضة للحيوانات والطيور.

Procopius. History of The Wars, Willianm Helnemann, New York, G.P, Punams, p.120.

٥-البوذية

تنسب إلى بوذا بن سغود هوادانا (٥٦٣-٥٦٨ ق.م) ملك قبيلة (الساكيا) التي كانت تعيش على سفوح جبال الهملايا في الهند^١، استطاعت هذه الديانة أن تجد لها قاعدة في إيران فكانت بلخ إحدى المراكز التي استقطبت الديانة البوذية^٢. يقوم مذهب البوذية على أسس أربعة وهي: الاعتقاد بأن الألم من لوازم الوجود، وأن الإنسان قد يعود إلى هذه الدنيا مرة أخرى، وأن الخلاص من أثر الشهوات هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة ثانية إلى حياة الأرض بعد مماته، وأن على الإنسان أن يبعد نفسه عن العقبات التي تحول بينه وبين الخلاص من شهواته^٣.

ووقع على عاتق رجال الدين الزرادشتي وملوك الدولة الساسانية مقاومة هذا الدين الذي سرعان ما تقدم من الشرق إلى داخل إيران وأخذ يتجه نحو الغرب في الوقت الذي كانت فيه الديانة المسيحية قد دخلت من الغرب وبدأت بالتقدم نحو الشرق^٤. وعلى الرغم من أن الديانة البوذية كانت من الديانات الكبرى إلا أنها لم تمثل خطراً كبيراً كذلك الخطر الذي مثلته الديانة المسيحية أو مذهبي مانوي ومزدك، وربما يعود السبب في ذلك إلى أنه لم يكن لتعاليم الديانة البوذية أثر فعال في الناحية السياسية للدولة، في الوقت الذي كان فيه الموبدة الزرادشتيين يحكمون القبضة في داخل مركز الدولة الساسانية، ولم يمنعهم ذلك من إغفالهم لتلك الديانة التي كانوا على اختلاف كبير معها^٥.

(١) حمد، حسين علي: قاموس المذاهب والأديان دار الجبل، ط١، بيروت، ١٩٨٨م، ص٥٧-٦١.

(٢) ماسه، تاريخ، ص١٧٢.

(٣) Emmerik, R,E, Buddahism Among Iranian people, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press,1983,vol. 3 (I), p964-949.

(٤) مطهري، الإسلام، ص١٧٨.

(٥) صديقي، غلام حسين: الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى، تر: نصير الكعبي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م، ص٤٥-٤٦.

٦- المزدكية

تنسب المزدكية إلى مزدك^١ ظهر في عهد قباد الأول مطلع القرن السادس الميلادي^٢. أصول التعاليم العقائدية عند مزدك كانت شبيهة لبعض عقائد الدين الزرادشتي والمانوي وديانتيرهما المبنيان على الثنوية، حيث اعتقد مزدك أن النور منفصل تماماً عن الظلمة فالأول يعمل بحرية وحكمة والثاني يعمل بخبط وعشواء وجهل واختلاط الاثنين ببعضهما كان مصادفة وانفصالها أيضاً مصادفة، ولقد حرم مزدك ذبح البهائم وإراقة الدماء كالمانويين^٣.

نهى مزدك عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولأن أكثر أسباب ذلك النساء والأموال، أحلّ النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار، فكان يقول دائماً: " إن الله جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العبد بينهم بالتساوي، فمن كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس أولى بها من غيره"^٤.

انتشرت هذه الدعوة في عهد قباد بشكل سريع وكبير وساعد على انتشارها تبني الملك قباد لها، وربما أراد من ذلك إعادة هيبة الدولة ومكانة الملك وتقليص نفوذ رجال الدين الزرادشتي والحد من تدخلهم في مفاصل البلاد^٥.

امتلك مزدك العديد من الصفات والمزايا التي ساعدته على نشر دعوته وإقناع قباد بها، فلقد كان ملماً وبارعاً بعلم التنجيم^٦، وكان حسن الصورة لبقاً حلو اللسان واستطاع أن يمتلك شخصية

(١) مزدك بن بامداد، ولد حوالي عام ٤٨٧م، اختلفت الآراء حول موطنه منهم من قال أنه من مذبيا؛ وهي من قرى ميسان تقع بينها وبين البصرة، وتبعد عن البصرة مسيرة أربعة أيام. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٨. ومنهم من قال أنه من أهالي نيسابور. بيرنيا، تاريخ، ص ٣٢٠. ويشير الدينوري إلى أنه من أهل اصطخر. الأخبار، ص ٦٥.

(٢) المقدسي، البدء، ج ٣، ص ١٦٧.

(٣) الشهرستاني، الملل، ج ١٢، ص ٢٩٢.

(٤) العلاء، السياسة، ص ٧٥.

(٥) ديكانوف، تاريخ ايران، ص ٣٤١.

(٦) الطوسي، نظام الملك، ص ٥٦٩.

مؤثرة بين الناس، وقد وصفه الثعالبي بأنه شيطانياً في شخص إنسان^١، فما كان من قباد إلا أن اعتنق المزدكية وقلد مزدك منصب الموبدان موبذ^٢.

استطاعت المزدكية أن تجد آذاناً صاغية لها، وأن تحقق رواجاً واسعاً في إيران وأذربيجان وآسيا الوسطى، وتحديدًا عندما روجت لمفاهيم عادلة وكبيرة وسامية كالانتصار الحتمي للنور على الظلمة وللخير على الشر. وأن العدالة الاجتماعية ستنتصر على الظلم والتفاوت الطبقي، ولتحقيق ذلك دعا لاستخدام العنف والقسوة من أجل القضاء على التفاوت الطبقي الاجتماعي ولجعل الملكية عامة يتمتع بها الناس كلهم على حد سواء^٣.

حققت دعوة مزدك انتشاراً واسعاً وتأثيراً بليغاً لدى الأوساط الفقيرة في المجتمع الساساني، وهذا ما جعلها تنتفض وتستولي على أملاك الأغنياء، وعمت الفوضى والاضطرابات في أنحاء الدولة، واستبيحت أعراض النساء وأموال الأغنياء، الأمر الذي قاد البلاد إلى الفساد والخراب^٤. لم يستمر نجاح الدعوة المزدكية لمدة طويلة، فلقد قمعت على يد من تبناها ونُكِّلَ باتباعها بطريقة وحشية بالغة، ويُذكر أن لمزدك كتاب مفقود، وأنه كان موجوداً ترجمه ابن المقفع للعربية^٥.

(١) الثعالبي، غرر، ص ٥٩٦.

(٢) المسعودي، التنبيه، ص ٨٨.

(٣) العلاء، السياسة، ص ٧٥.

(٤) البيروني، تحقيق ما للهند، ص ٢٠٩.

(٥) بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٣٢١.

الفصل الثاني

الأوضاع الاقتصادية للدولة الساسانية في عهد قباد (٤٨٨-٥٣١م)

أولاً: الزراعة

- ١- ثورة مزدك
 - أ- الظروف والعوامل المسببة للثورة
 - ب- أسباب اعتناق قباد للمزدكية
 - ج- الصراع بين مزدك وقباد
 - د- مقتل مزدك وسقوط المزدكية
- ٢- إصلاحات قباد

ثانياً: الصناعة

ثالثاً: التجارة

- ١- الطرق التجارية
- ٢- وسائل التعامل التجارية والعقوبات
- ٣- الأسواق التجارية
- ٤- النقد

شكل الاقتصاد العصب الأساسي لكل دولة، وكان الضامن الأقوى في استمرار الدول وقدرتها على فرض توسعها وتحقيق طموحاتها مقترناً بمقدراتها الاقتصادية، فازدهار الاقتصاد يتناسب طردياً مع توفر القدرة المالية للدولة وبالتالي تحقيق الاستقرار السياسي والتماسك الاجتماعي بين أفراد الشعب.

ولكن المعلومات الاقتصادية المتوفرة للبحث عن هذه الفترة تكاد تكون قليلة جداً، ولا تلقي الضوء على الأوضاع السائدة في مجال العلاقات الزراعية السائدة أو حتى في نظام الضرائب، ولكن يمكن الاعتماد على العديد من المعلومات من بعض الاستقراءات التي تدل عليها الأحداث.

أولاً: الزراعة:

كما في دول العصور القديمة، شكلت الزراعة في إيران الساسانية الشكل والنموذج الاقتصادي الأول الذي يعول عليه. ففي الريف مثلت الزراعة بالنسبة للقرويين رزقتهم وقوتهم، سواءً كانوا فلاحون أحراراً أم عبيد، وفي الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة كانت "النخبة" من النبلاء والأشراف تستثمر وسائلها المالية في الأراضي، وكانت ملكية الأرض الكبيرة وعدد "التابعين" إلى جانب نبالة النسب، شرطاً أولياً لمكانتهم الاجتماعية وأطماعهم السياسية^(١).

سيطرت الدولة الساسانية على مساحات واسعة من الأراضي التي امتدت ما بين الجبال الشاهقة والسواحل المنبسطة، وبين الصحارى والسهول الخصبة، وكانت قد ضمت أنهاراً وبحاراً وبحيرات كفلت لها كل المقومات الاقتصادية الزراعية^(٢).

لقد شكلت الزراعة أحد أهم أركان الاقتصاد الساساني، وعلى الرغم من أن المصادر الساسانية لم تجشم نفسها عناء إعطائنا تفاصيل عن حالة الزراعة في تلك الفترة، إلا أنه مما يعكس أهمية الزراعة هو الأسلوب الذي اتبعه الملوك الساسانيون في معاملتهم للأسرى البيزنطيين، فقد كانوا يوطنون أسراهم في مناطق لاستصلاح الأراضي البور، ولتنظيم سقاية الأراضي المروية

(١) فيزهوفر، المرجع السابق، ص ٢٢٧.

(٢) العابد، معالم، ص ١٢٤.

عن طريق استخدام الأسرى في إنشاء السدود، وحفر الأقنية، وبناء الجسور، وغير ذلك من الأعمال المرتبطة بالزراعة^(١).

لقد تنوعت المحصولات الزراعية في الأراضي الساسانية نظراً لاتساع وتنوع طبيعة الأراضي التي كانت تسيطر عليها، وأهم ما زرع عندهم نبات الأرز الذي اعتبر أساس في طعامهم^(٢) وغُرست في المناطق الجبلية أشجار السرو والصنوبر^(٣). وكان في مقدمة الأشجار المثمرة التي زرعت في المناطق السهلية: العنب، والزيتون، والنخيل، والرطب والرمان^(٤)، وازداد إنتاج الجوز والمشمش والتين والفسق^(٥)، وكان يجمع إنتاج هذه المحاصيل وأرباحها ويوضع في بيت المال^(٦) كما قاموا بتصدير الفائض أحياناً إلى المناطق المجاورة^(٧). كذلك أيضاً فقد اعتنى الساسانيون بمزروعات إطعام الحيوانات مثل الشعير، والحنطة، والشوفان^(٨).

تنوعت الثروة الحيوانية من بغال، وثيران، وبقر، حيث استعانوا بهذه الحيوانات في الأعمال الزراعية، من فلاحه وحرثها^(٩). كذلك فقد قاموا بتربية الحيوانات الداجنة كالأغنام والماعز وأنواع الطيور مثل الإوز والحمام الذي استفادوا منه في طعامهم اليومي^(١٠). ولقد رعى ملوك الدولة الساسانية الفيلة وجرى استخدامها في الأمور الحربية والنقل والأعياد والمناسبات، ترحيباً بقدوم الملك، ولقد جُلبت من أرض الهند، وتميزت بقوة أجسامها وحسن الطاعة، وممارسته للحركات الرياضية في المناسبات الاجتماعية^(١١).

(١) سايكس، تاريخ، ج ١، ص ٦٣٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٤٥٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٣٧.

(٤) الكريزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م): زين الأخبار، تر: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٨٠.

(٥) العابد، معالم، ص ١٢٤.

(٦) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٥٠.

(٧) العابد، معالم، ص ١٢٥.

(٨) ديورانت، قصة، ج ١، ص ٤١٢.

(٩) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٤.

(١٠) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٤.

(١١) المسعودي، مروج، ج ١، ص ٢٤٧-٢٤٨.

كان للزراعة شأن عظيم، وقد مجدها الكتب المقدسة كثيراً، وقد تضمنت الأفسستا في أجزاء كثيرة منها مجموعة من القواعد في هذا الموضوع. وأما الري الذي كان عماد الزراعة في الدولة، فقد نظم تنظيمًا دقيقاً وكان هناك قواعد خاصة بأنواع القنوات المختلفة، وبطرق السدود، وملاحظة الترع وتطهيرها وشروط استعمالها^(١).

بالرغم من تنوع المحاصيل الزراعية واتساع الأراضي وازدهار الحياة الاقتصادية، إلا أن أحوال الفلاحين والقرويين كانت سيئة، وذلك بسبب فقدانهم لاستقلالهم بشكل تدريجي، وحرمانهم من التعليم، واضطهادهم على يد عمال الملك، أو الأشراف والملوك الصغار التابعين للملك، والذين تركزت ملكية الأراضي التي يعمل بها الفلاحين بين يديهم^(٢). إضافة إلى أن كبار رجال الدين الزرادشتي حازوا على مساحات واسعة من الأراضي المعفاة من الضرائب، ولم يحصل الفلاحين العاملين في تلك الأراضي من الخدم والمزارعين على أجورهم لقاء عملهم، فالخدمة في أراضي رجال الدين مجانية^(٣).

علاوة على ذلك فقد كان نظام الضرائب جائر إلى حد كبير، بسبب نفوذ كبار الملاك المدعومين من الملك، وبسبب القوانين التي فرضت على العمال والفلاحين الذين اضطروا لرفع الحيف عنهم فوضعوا أنفسهم تحت حماية الملاك الكبار، ليحموهم من تعسف جباية الضرائب، وبالتالي فإن الدولة الساسانية التي رسخت النظام الاجتماعي الطبقي تحولت بالتدريج إلى دولة ذات نظام اقتصادي إقطاعي^(٤).

لقد كانت ثورة مزدك مثال واقعي وصريح ضد سوء الأحوال الاقتصادية والظلم والجور الذي تعرضت له الطبقات الفقيرة والمعدمة بسبب جور نظام الضرائب والتعسف في عملية جبايتها، وكان كذلك صرخة كبيرة في وجه الانقسام الطبقي الذي عانى منه المجتمع الساساني.

(١) كريستنسن، إيران، ص ٣٠٧.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ٤١١.

(٣) Ghrishman, Iran, pp. 231-234

(٤) العلان، السياسة، ص ٦٧.

١- ثورة مزدك:

أ- الظروف والعوامل المسببة للثورة

كانت التطورات الداخلية في الدولة الساسانية والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي رافقت تسلم قباد لمقاليد الحكم تنذر بدق نواقيس خطر كبيرة كان على الدولة الساسانية أن تواجهها. فالجفاف الذي عم البلاد وما خلفه من قحط استمر لمدة تقارب سبع سنوات في عهد والده فيروز^(١) من جهة، ونفوذ الأشراف ورجال الدين المتزايد وحصر الثروات بيدهم والذي أدى إلى نقمة الشعب بسبب سوء وتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى. والتمردات وحركات الاستقلال التي قامت في القفقاس^(٢) بالإضافة إلى هجمات الهياطلة على الحدود الشرقية للبلاد التي اضطرت فيروز للتصدي لهم ومحاولة إيقاف هجماتهم المتكررة والتي أثرت على الدولة الساسانية وكان لها نتائج جسيمة دفع الملك فيروز حياته ثمناً لذلك^(٣)، ومن ثم مجيء الملك بلاش والذي حكم لمدة أربع سنوات ولم يستطع الارتقاء بالدولة إلى الأفضل وإنما تكبدت ثقل دفع الضرائب الباهظة للهياطلة جميع هذه الظروف والأوضاع وضعت البلاد على حافة الهاوية.

وأرعى التمايز الطبقي بظلاله على تردي الوضع الاقتصادي، فعلاوة على الفجوة الكبيرة بين أصحاب الثروات من النبلاء والأشراف وبين العمال والفلاحين من الناحية الاقتصادية، جاءت التعاليم الزرادشتية لترسخ هذا التمايز في حرمان البسطاء والفقراء من مزايا تمتعت بها الطبقات الارستقراطية وكبار الأشراف والعظماء؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر - أقرت التعاليم الزرادشتية الحق في تعدد الزوجات بحسب ما تيسر للرجل، وبحسب مكانته وثروته، أما الفقراء فيحق لهم زوجة واحدة^(٤). وكان يوجد نوعان من الزوجات: الأولى وهي زوجة سيده (زن يادشائيه) وأولادها

(١) المستوفى، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر قزويني (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م): تاريخ كزيده، مراجعة: عبد الحسين نوائي، جابخانه فردوسي، انتشارات أمير كبير، ١٣٣٦هـ، ص ١١٤. زرین كوب، تاريخ ايران باستان، تاريخ سياسی ساسانيان، جاب هشتم، تهران، ١٣٩٢هـ، ص ٥٨.

(٢) رازي، عبد الله: تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسله ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، تهران، شركة الحاج محمد حسين اقبال وشركاه، ١٣٣٥هـ.ش، ص ٦٩.

(٣) الثعالبي، غرر، ص ٥٧٤.

(٤) كليما، اوتاكر: تاريخ جنبش مزدك، تر: جهانگیري فكري ارشاد، توس، تهران، ١٣٥٩هـ، ص ١١٢.

من البنين والبنات كانوا ينسبون إلى الأب والثانية، زوجة خادمة (زن جكاريها) فأما ما تتجبه من بنين هم فقد ينسبون إلى الأب أما البنات فيعتبرون رقيقاً^(١).

لقد حاول البعض نسب هذه التعاليم إلى المزدكية وحاولوا نفي وجوده في النظام الاجتماعي الديني عند الزرادشتية لكون أن هذه التعاليم تحمل الكثير من الأفعال القبيحة والمرتدنية^(٢).

كان على الملك قباذ أن يختار الطريقة المثلى التي تمكنه من السيطرة على البلاد في ظل الظروف المعقدة، ففي الداخل كانت أمور الحكم تدار من قبل طبقة الارستقراطية بزعامة (سوخرا) زرمهر الذي أصبح بمثابة ملك غير متوج. وكان اختيارهم للملك قباذ لتولي أمور الحكم محاولة منهم للتخلص من الضرائب التي تُجمع للهياطلة، ولكن في الواقع كان سوخرا يسير أمور البلاد ويديرها دون الالتفات لوجود الملك الساساني أصلاً، وهذا ما دفع الناس للالتفات له، مما قلل من شأن الملك قباذ ولم يعد له من الهيبة شيء بسبب تجاهل الناس له. لذلك كان لا بد من القيام بسلسلة من الإجراءات الجذرية التي من شأنها أن تعيد للدولة الساسانية هيبتها^(٣).

سعى قباذ لإيجاد وسائل جديدة للحد من نفوذ طبقة الأشراف والارستقراطيين وذلك من خلال ضرب الأسر الكبيرة ببعضها، مستفيداً من العداوات بين الأشراف والأسر نفسها والتي تمثلت حينها في العداوة ما بين زرمهر سوخرا من أسرة قارن وبين سابور من أسرة مهران^(٤)، من أجل التخلص من زرمهر سواخر الذي تنامت قوته بشكل ملحوظ وأوعز سابور للقيام بقتله وهذا ما حصل بالفعل^(٥)، ولكن لم تكن النتائج ضمن دائرة توقعات الملك قباذ الذي سرعان ما شعر بازدياد نفوذ وسلطة سابور خلال مدة قصيرة، وهذا ما دفع الناس للقول "نقضت ريح سوخرا وهبت ريح سابور"^(٦).

(١) كريستنسن، إيران، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ٣١١.

(٣) Ghrishman, Iran, p. 311.

(٤) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٩٢.

(٥) يارشاطر، إحسان وآخرون: تاريخ إيران تا فرو باشى دولت ساسانيان، تر: حسن انوشه، جاب سوم، قسمت اول، تهران، انتشارات أمير كبير، مطبعة سبهر، ١٣٨٠هـ، ص ٢٤٨.

(٦) ديكانوف، تاريخ، ص ٣٤١.

في ظل التسلط الارستقراطي المدعوم من رجال الدين، تعيّن على قباد اتباع أسلوب جديد بعد فشله في ضرب الأسر بعضها ببعض، لذلك كانت خطوته الجديدة في سبيل تغيير مسار تسلط الأشراف ورجال الدين والعمل على إضعافهم، وهذا ما دفعه للتوجه نحو الدعوة المزدكية التي نشأت في ظل مجتمع يعاني من التناقضات الداخلية والتمييز بين فئاته، والذي وصل في ذلك الوقت لمرحلة حرجة. فقد كان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة، وكان التمييز يبدو جلياً في "المركب والملبس والمسكن والأراضي الزراعية والنساء والخدم"^(١). بالإضافة إلى ظلم رجال الدين وسطوة نفوذهم وسيطرتهم على أراضي وممتلكات واسعة على حساب الطبقات الفقيرة والمعدمة، فقد كانت الضرائب الواردة من الريف الذي سكنه الفقراء والطبقة المعدومة تملأ أكياس الضرائب بدرجة أعلى بكثير مما كانت تفعل ضرائب أهل المدن والمقتدرين. وحتى حشد الجيش وتطويع الجنود للقتال على الجبهات كان يتم بالاعتماد على أهل الريف في المقام الأول^(٢). أضف لذلك كله القحط الذي حدث خلال عهد فيروز وأوائل عهد قباد، حيث احتجز الأشراف وكبار رجال الدين القمح والشعير في المخازن بينما عانت بقية فئات الشعب من المجاعات^(٣). ومن أهم العوامل التي ساعدت على نشوء هذه الدعوة هو الحروب الطويلة بين الدولة الساسانية وقبائل الهون (الهياطلة) فلقد أدت هذه الحروب إلى زيادة الخراج والذي تمّ تحصيله من سكان القرى والطبقات الأدنى في المجتمع وبناء على ذلك ازداد الضغط والعبء الاقتصادي على عامة الناس، إن هذه العوامل مجتمعة أدت إلى أن يتهياً المجتمع لقبول نهضة جديدة، تمثلت بالحركة المزدكية التي دعت لتوزيع الثروات بالتساوي بين الناس، وأجاز مزدك لأتباعه الهجوم على المخازن، وتضاعف عدد أتباعه خلال فترة قصيرة^(٤). ويبدو أن قباد قد اتخذ هذه الخطوة الجريئة لأنها كانت الحل الوحيد أمامه للتقليل من سلطة الأشراف ونفوذ رجال الدين^(٥). تلاقت المزدكية مع مصالح قباد الذي استمر

(١) كريستنسن، إيران، ص ٣٠٢.

(٢) فيزهوفر، يزف: فارس القديمة، تر: محمد جديد، مر: زياد منى، قدمس، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٢٢٧.

(٣) زاده، فاروق صفى: اديان باستان ايران، اوحدي، تهران، جاب دوم، ١٣٩٠هـ، ص ٢٣٣.

(٤) زاده، اديان، ص ٢٣٥.

(٥) ديكانوف، تاريخ، ص ٣٤١.

لعشر سنين في صراع مع النبلاء ورجال الدين للحد من سطوتهم^(١)، وظهرت شخصية مزدك الذي دعا الملك لتبني دعوته الجديدة، والتي تقوم على شيوعية الأموال والنساء^(٢) وتأويل دين زرادشت ومحو الفوارق بين الناس، لذلك فإن اعتناق قباد لدين مزدك لم يكن أكثر من خدمة سياسية يستطيع قباد من خلالها تحقيق هدفه في ضرب النبلاء والأشراف والأسر الكبيرة والوقوف إلى جانب الشعب الذي التحق في صفوف الدعوة الجديدة.

ب-أسباب اعتناق قباد للمزدكية:

تعددت الروايات واختلفت المصادر في تحليل الأسباب التي دفعت الملك قباد لتبني الدعوة المزدكية فمنهم من فسر ذلك لخدمة سياسية وذلك من أجل تقليص نفوذ الأشراف والنبلاء والحد من سلطتهم وتوجيه ضربة لهم عن طريق الدعوة الجديدة التي في أساسها قامت ضد هذه الطبقة^(٣)، التي حاول الملك قباد ضرب رجالها الذين كان لهم القدرة على عزل وتنصيب أي ملك في الوقت

(١) بيرنيا، تاريخ، ص ٣٥٥.

(٢) لم يكن شيوع النساء من الأمور التي قوبلت بالسخط من قبل معارضي هذا الفكر، فقد درج ضمن العادات الزرادشتية القديمة ما يسمى بـ "زواج المحارم" فعلى الرغم من رفض الإيرانيين بشكل عام لهذا النوع من الزواج واعتباره عيباً وعملاً قبيحاً، إلا أن هناك العديد من المصادر التي أكدت على أن هذا النوع من الزواج كان شائعاً لدى الزرادشتيين الذين كانوا يعتبرونه عملاً صالحاً يثاب عليه صاحبه. كليما، تاريخ، ص ١١١. وذكر ذلك أيضاً في إحدى أقسام كتاب الأفستا حيث تعني كلمة (نزد بيوند) الاتصال أو التزاوج بين الأقارب كاتصال الأب بابنته والأخ بأخته. العباداني، عبد الله مبلغى: تاريخ الديانة الزرادشتية، تر: وريا قانع، تعريب: عبد الله الستار كلهور، مطبعة خانة، دهورك، ٢٠١١م، ص ١٠٦.

وكان الهدف من تشريع زواج المحارم المحافظة على دم الأسرة وخاصة في الأسر الحاكمة والمتنفذة، وقد جاء في الأفستا بعض النصوص التي تؤيد هذا الزواج وتدعمه بالقول بأن (أهريمان) يهاب جدا من هذا النوع من الزواج، وأن قدرته وقدرة الشياطين تضعف في أجساد المتزوجين من محارمهم، الفندياد، هامش رقم (١٠٢)، ص ٩٣. ومن أقوال أردشير: " تزوجوا في القرابين فإنه أمس للرحم وأثبت للنسب". ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٦٠.

(٣) عباسى، تحليلي بر روابط، ص ٨١-٨٢.

الذي يشاؤون، وهم أصحاب التفويض المباشر في القضاء والحكم^(١)، وكانت هذه الأمور من أكثر الأسباب الحساسة التي بإمكانها تقويض سلطان دولة بكاملها وليس ملك بعينه.

بعضهم رأى أن اعتناق قباد للمزدكية كان بسبب قناعة قباد بالأفكار والمبادئ التي نادى بها مزدك، من أجل إحداث تغييرات في المجتمع الذي عانى من التمايز الطبقي، فالملك هو الإله عند مزدك والإله يجب أن يساوي بين الناس، وبالمقابل فإن على الناس جميعهم طاعته، وبالتالي فقد ساوى مزدك بين عامة الناس وطبقة الأشراف وأراد أن يقلل من قدرتهم وبالمقابل فإن قوة ونفوذ وقدرة الملك قباد ستزداد وهذا ما دفع قباد لنصرة الدعوة المزدكية والوقوف بجانبها^(٢).

بعضهم ربط اعتناق قباد للمزدكية بشخصية مزدك نفسه الذي استطاع استمالة الملك بسبب امتلاكه للعديد من الصفات والمزايا التي ساعدته على نشر دعوته وإقناع قباد بها، فلقد كان ملماً وبارعاً بعلم التنجيم^(٣)، يمتلك القدرة على المحايلة والمخادعة^(٤).

استطاع مزدك استغلال فترة القحط التي أصابت الدولة الساسانية منذ عهد فيروز وخلو خزانة الدولة من الأموال وكثرة الفقر والجوع الذي حل بالناس في الوقت الذي اجتمعت فيه الثروات والممتلكات بيد رجال الدين الزرادشتي والأشراف والنبلاء، استطاع إقناع قباد بأسلوبه الجيد، وبلاغته القوية، أن انتشار الظلم وانعدام العدل والمساواة بين الناس هو بسبب طمع الأشراف ومالكي الأراضي في امتلاك النساء والعبيد والأموال، وأن الأشراف والنبلاء هم سواء ولا فرق بينهم وبين الفقراء ولذلك فإنه من الظلم وانتفاء العدل أن يمتلك أي شخص ثروة تزيد عن ثروة غيره في

(١) ديكانوف، تاريخ، ص ٣٣٨-٣٤١.

(٢) يارشاطر، تاريخ، ص ٢٤٩.

(٣) الطوسي، سياست نامه، ص ٥٦٩.

(٤) استطاع مزدك بسحر كلامه وأسلوبه المبتذل أن يستميل قباد لجانبه، حيث يذكر الطوسي إحدى الخدع التي اعتمدها مزدك لإقناع قباد بدعوته وقدراته، منها أنه ألتاه بحيلة ذكية فادعى أنه يستطيع أن يكلم الآلهة التي تحل روحها في النار (وهي العنصر المقدس عند الساسانيين)، وقد رتب لهذه الخدعة مسبقاً بأن وضع أحد أتباعه خلف النار التي في الهيكل فلما جاء قباد إلى المعبد لي شاهد مزدك وهو يكلم النار، صار الرجل المختبئ خلف النار يجاوبه وقباد يظن أن الآلهة هي التي تجيب فصدقه وصار من أشهر أتباعه. الطوسي، سياست نامه، ص ٢٢٩-٢٣٠. مكاريوس، تاريخ إيران، ص ٨٢.

المجتمع الساساني، باعتبار أن الفقراء والأغنياء هم جميعهم يمثلون النسيج الاجتماعي للدولة، وبالتالي فإن الممتلكات يجب أن تكون في أيدي العامة إذا ما أريد للدين ألا يفسد، لأن وجود الثروة بيد فئة قليلة من المجتمع سيؤدي للحقد والحق والحسد بين فئات المجتمع المختلفة تجاه هذه الفئة المقتدرة وهذا ما دفع قباد للاقتناع بنهج مزدك وسعى بتنفيذه^(١).

ولقد صورت بعض المصادر الطريقة التي أقنع بها مزدك الملك قباد فقد ادعى أنه لديه الحلول الناجعة لما تعانيه الدولة من مشاكل واضطرابات في قصة مفادها : "أن مزدك دخل على قباد لاستفتائه بماذا يقول في رجل عنده تريق شافٍ، وهو يرى لديغ حياته في التريق ومماته في منعه إياه فلا يقدم إليه يد العون؟ فأجاب قباد: هو مستحق للقتل، فقبل مزدك الأرض بين يديه إعجاباً، ثم سأله مزدك في اليوم الثاني بعدما حشر الفقراء والسوقة بباب قباد، عن رأيه في رجل يحبس إنساناً بريئاً في بيت ويمنعه عن الطعام والغذاء حتى يموت؟ فأجاب قباد: جزاؤه القتل، فقبل مزدك الأرض مرة أخرى إعجاباً بجوابه، ثم خرج إلى المجتمعين من المساكين والسوقة وقال لهم لقد كلمت الملك فيما يصلح حالكم، وأخرجت منه التسوية بين الأغنياء وبينكم فاذهبوا الآن وخذوا حقوقكم وشاركوا السلطان والرعية"^(٢).

وبعد سماع الناس بموافقة الملك خرجوا يجوبون البلاد وينهبون منازل العظماء دون تمييز، وصاروا يدخلون على الرجل ويغلبونه على نسائه وأمواله وعبيده، واشتدت شوكتهم وعظم أمرهم وعجز العظماء عن مقاومتهم، وقتل أتباع مزدك كل من يقف في وجوهم معارضين لهم، فصار الرجل منهم لا يعرف ولده ولا المولود أباه^(٣).

تقوّت شوكة المزدكية بعد تبني قباد لها وعمّ أتباعها في الدولة الساسانية إلى أن آل بهم الأمر إلى استضعاف قباد نفسه فقالوا له: "إن رضيت بديننا وصدرت عن آرائنا وإلا ذبحناك ذبح الغنم، وحالوا بينه وبين أصحابه وحجبوا عنه سائر خواصه"^(٤). وبلغ من استهانة مزدك بقباد أنه

(١) ديكانوف، تاريخ، ص ٣٣٥.

(٢) الفردوسي، الشاهنامه، ج ٢، ص ١١٨. الثعالبي، غرر السير، ص ٥٩٧-٥٩٨.

(٣) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٩٣. مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ١٦٧.

(٤) البيروني، الآثار، ص ١٠٩.

دخل عليه يوماً وكانت عنده زوجته^(١) أم كسرى أنوشروان، فأصابته في نفس مزدك هوى فطلب من قباد أن ينكحها لأن في صلبه نبياً يكون منها، فأراد قباد أن يوهبه إياها فلما رأى كسرى ذلك - وكان طفلاً - بدأ يتضرع لمزدك ويتوسل إليه وقبّل قدميه أن لا يأخذها فتركها لأجله^(٢).

لقد داهم خطر المزدكية أصحاب الطبقات العليا والأشراف والنبلاء، وهذا ما جعلهم يتحدوا لتجميع قواهم والتعاون فيما بينهم، ولقد نالت خطواتهم الدعم والتأييد من رجال الدين الزرادشتي الذين وجدوا مناصبهم ومراكزهم الدينية والاجتماعية تتهاوى^(٣). وكان من جملة الإجراءات التي اتخذوها لمواجهة هذا الخطر، أن اتحد رجال الدين الزرادشتي والأشراف على قباد، ووجهوا ضربة قوية للمزدكية من خلال تفوقهم على رأس السلطة وخالفوا قباد لأنه في نظرهم هو المسبب لما حصل وهو الذي أعطى الفرصة لحدوث الفوضى والخراب في الدولة الساسانية وقرروا عزله عن الحكم^(٤)، وألقوا به في قلعة النسيان^(٥)، وعينوا أخيه جاماسب^(٦)، ولكن لم يرد شيئاً عن فترة حكمه التي دامت لسنتين (٤٩٧-٤٩٩م)^(٧). وعلى ما يبدو أن الأوضاع في عهده استمرت بالاضطراب والفوضى، ربما لأنه كان ضعيفاً جداً ولم تشر المصادر إلى أي عمل أو إنجاز قام به، وقد استغل

(١) يذكر الثعالبي أن المرأة التي كانت عند قباد أمه وليس زوجته. انظر غرر، ص ٦٠١.

والأرجح ما تم ذكره في المتن تتفق عليه بقية المصادر. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج ٢، ص ١٠٧-١٠٨. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٢) ابن الجوزي، تلبيس ابليس، تصحيح: محمد منير الدمشقي الأزهرى، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٦٨ هـ، ص ٧٦.

(٣) الأحمد، تاريخ الشرق الأدنى، ص ١٦١-١٦٢.

(٤) زرين كوب، تاريخ، ص ٦٢.

(٥) قلعة النسيان: وقد عرفت باسم (أنوش برد) وكانت تقع في خوزستان "أهواز" وسميت بقلعة النسيان لأنه كان محرماً ذكر من يسجن فيها حتى يُنسى ويكون في عداد المنسيين، ولا يسمح بذكر اسم أي سجين من السجناء داخل هذا السجن ولا حتى ذكر اسم السجن. رازي، تاريخ مفصل، ص ٧١.

(٦) الدينوري، الأخبار، ص ٦٦. اليعقوبي، ج ١، ص ١٣٣.

(٧) المسعودي، مروج، ج ١، ص ٢٧٣.

سكان أرمينية هذه الأوضاع وقاموا بثورة على الحكم الساساني في بلادهم ولم تتمكن الدولة الساسانية من إخماد تلك الثورة إلا بعد عودة قباذ^(١).

وتذكر الروايات أنه هرب^(٢) بمساعدة زوجته^(٣) وبعض المصادر تقول بمساعدة أخته^(٤) وأحد أصدقائه سياوش^(٥) وذهب إلى الهياطلة وطلب مؤازرتهم وتأمين جيش له لاستعادة عرشه، مقابل تنازله عن بعض المناطق المجاورة، وقبل دخول قباذ لطيسفون أظهر النبلاء والأشراف بما فيهم الموبذان موبذ وجاماسب بعدما رأوا القوة والجيش الكبير الذي جاء به الملك قباذ - أظهروا - ندمهم على ما فعلوا واعتذروا له وأعادوا لقباز الملك على أن لا يمس أحد بسوء^(٦)، وعفا عنهم وعن وعن أخيه جاماسب. وبذلك تقلد قباذ العرش مرة أخرى وكان ذلك عام ٤٩٩م^(٧).

ج- الصراع بين مزدك وقباذ

بعد عودة قباذ الثانية إلى الحكم طرأ تحول كبير في سياسته تجاه المزدكية، فقد روي عن لسان أحد رجال المزدكية قوله: "أن قباذ تتصل إلينا من شأن مزدك، ورجع عما كنا اتهمناه"^(٨). ومن الممكن أن يكون قباذ قد شعر بخطر تلك الدعوة الذي بدأ يهدد ويقوض مصالح العائلة المالكة وثرواتها لهذا، شرع بتغيير سياسته تجاه القادة المزدكيين بشكل تدريجي وسعى للمهادنة

^(١) Sykes, P.M: A history of Persia, London, 1915, p.344.

^(٢) تذكر جميع المصادر الإسلامية الكثير من القصص حول عملية هروب قباذ من السجن وغلب على بعضها الطابع الخيالي والأسطوري إلا أن طريقة هربه هنا لا تهم بقدر الهروب نفسه وما تبعه من تبعات.

^(٣) بيرنيا، تاريخ، ص ٣٥٥. نولدكه، تاريخ إيران، ص ١٧٣.

^(٤) الثعالبي، غرر، ص ٥٦١.

^(٥) ظهر اختلاف بين المؤرخين حول اسم الشخصية التي أنقذت قباذ من السجن، فبعضهم يذكر أنه زرمهر بن سوخرا وبعضهم الآخر يذكر أنه سياوش. فالمصادر التي ذكرت أن سياوش كانت: الدينوري، الأخبار، ص ٦٥؛ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٩٣؛ الفردوسي، الشاهنامه، ص ١٦٦. ومنهم من ذكر أنه زرمهر بن سوخرا. زرین كوب، تاريخ، ص ٤٦٨.

Procopius. History of The Wars, p.122.

^(٦) الثعالبي، غرر، ص ٥٩٣-٥٩٤.

^(٧) الدينوري، الأخبار، ص ٦٦. الثعالبي، غرر، ص ٥٨٩.

^(٨) الثعالبي، غرر، ص ٥٨٩.

سيما وأن قسماً من النبلاء والأشراف دخلوا في الديانة المزدكية وانخرطوا فيها، إلا أن المنازعات والخلافات ظهرت بين مزدك وقباد وحدث التصادم الكبير بينهما عندما أثّرت مسألة وراثة العرش، فقد كان لقباذ ثلاثة أبناء: الابن الأكبر كاووس وكان من أتباع المزدكية، والابن الثاني زم، والأخير خسرو (كسرى) الذي كان من أكبر المعارضين للدعوة المزدكية، ولم يكن زم مؤهلاً لتولية العهد وذلك لأنه فقد أحد عينيّه، ومن الشروط الأساسية في ولاية العهد أن يتمتع ولي العهد أو الملك بصحة جيدة وجسم سليم، ولهذا لم يكن من المناسب تولية زم^(١). فقد عارض مزدك إرادة الملك قباد في تعيين ابنه كسرى أنوشروان^(٢) ولي للعهد في حياته^(٣)، وطلب من قباد تعيين ابنه الأكبر كاووس الذي كان مزدكي الهوى^(٤)، ولأنه كاووس وعد بأنه في حال أصبح ملكاً فإنه سيعلن سيعلن المزدكية ديانة رسمية في الدولة الساسانية^(٥)، وعندما رفض قباد تولية كاووس اشترط عليه مزدك أن يعتنق كسرى مذهبه حتى ينصب ك ولياً للعهد بعد أبيه، وهذه النقطة بالذات كانت قد أوضحت حجم الخطر الحقيقي الذي باتت تشكله المزدكية على العرش والسلطة^(٦).

(١) شيبمان، كلاوس: مبانى تاريخ ساسانيان، تر: كيكافوس جهانداری، نشر فرزان روز، جاب سوم، ١٣٩٠هـ، ص ٥٦.

(٢) وفي المقابل فإن علاقة مزدك بكسرى أنوشروان كانت سيئة جداً، فالحقد والكراهية بين الطرفين تعود لسبب قديم قديم - ذكره البحث - حول طلب مزدك زوجة قباد حتى يتأكد من اعتناقه المزدكية وليذهب عنه شعور الغيرة والشر، إلا أن أنوشروان توسل لمزدك أن يترك أمه.

(٣) جرت العادة في مدة ضعف الملوك الساسانيين أن ينتخب الملك الجديد عن طريق الشورى وكانت رئاستها بيد الموبدان، ولكن هذا الإجراء لم يعد مطروق في عهد قباد الذي شرع في إعادة اختيار ولي العهد وعدّها من الأمور التي من شأنها تقوية السلطة وإعادة هيبة الملك.

(٤) كريستنسن، إيران، ص ٣٤٤.

(٥) سايكس، تاريخ، ج ١، ص ٦٠٩.

(٦) نيا، زمينه ی اجتماعی قیام مزدکیان، ص ٥٤ - ٥٦.

د- مقتل مزدك وسقوط المزدكية

استمر تعنت مزدك برفضه لتوريث العرش لكسرى، وبدا الأمر وكأنه انقلاب على قرارات الملك قباذ، الذي اضطر لمسايرة الأوضاع، ولكنه في الوقت نفسه كان يعد للمزدكية كميناً بمساعدة ابنه كسرى من أجل القضاء عليهم والتخلص منهم^(١).

ولتدعيم موقفه وليضمن العرش لكسرى فإنه عقد صلحاً مع الامبراطور البيزنطي مع جوستيان الأول (Justinian the Great) (٥٢٧-٥٦٥م) وطلب منه أن يتبنى ابنه كسرى ويتولى مسؤولية حمايته، ولكن لم تجري الأمور كما يشتهيها قباذ، وساءت العلاقات بين الدولتين من جديد^(٢). ولقد قيل أن الذي عطل المفاوضات بين الجانبين الساساني والبيزنطي هو مبعوث الملك قباذ (سياوش) ذو النزعة المزدكية والذي لم يرغب بتولي كسرى لعرش الدولة الساسانية، فقد اتهمه - مهابود - وهو أحد الأشراف من أسرة سورين الذي رافق سياوش بأنه السبب في فشل المفاوضات^(٣)، ولقد رفعت القضية إلى مجلس الشورى الذي كان يرأسه الموبذان موبذ وبسبب عقائد سياوش المختلفة عنهم، وحقدتهم واتهامهم له - بدفن زوجته عند موتها - وهذا ما يخالف التعاليم الزرادشتية فقد تم إقرار خيانتها، ووافق قباذ على إعدامه فوراً^(٤).

لقد برهنت مجريات الأحداث - وبدون أدنى شك - أن تبني قباذ للدعوة المزدكية ووقوفه معها لم يكن إلا عبارة عن لعبة سياسية أراد من خلالها تقوية قبضته على مفاصل البلاد، وتحجيم نفوذ رجال الدين وسطوة الأشراف، وبالفعل فما إن تمكن قباذ من تحقيق جزء مهم مما كان يهدف، وإبعاد الشخصيات القوية والتخلص منها دون أن يشكلوا خطراً على سدة الحكم الساساني فإنه قرر القضاء على المزدكية ومؤسسها.

(١) Bausani, Alissandro: The Persians from the earliest days to the twentieth century, Translated from the Italian by: J. B. Donn, London-1962, P. 63.

(٢) سيتناول البحث بشيء من التفصيل الحديث عن هذه النقطة بالذات في الفصل الثالث. حول هذا الموضوع

انظر: سايكس، تاريخ إيران، ج ١، ص ٦١١.

(٣) كريستنسن، إيران، ص ٣٤١.

(٤) كريستنسن، آرثر: سلطنة قباذ وظهور مزدك، تر: أحمد بيرشك، تهران، انتشارات طهوري، ١٣٧٤هـ.ش،

ص ١٢٤.

وفي ظل الصراع الحاصل بين المزدكية وأتباعها من جهة والملك قباد وابنه كسرى ورجال الدين الزرادشتي من جهة ثانية، فقد كان قباد يحضر لكمين كبير كي يوقع به مزدك وأنصاره ودعا مزدك وأتباعه إلى مناظرة بحضور قباد وكسرى وكبير الموابذة وبالتعاون مع أسقف نصارى ايران (كلو ناز)^(١).

وفي ذلك يقول الفردوسي: "فقال الموبذ لمزدك: أيها الرجل قد أتيت بدين جديد أبحث فيه النساء والأموال ويلزم في ذلك ألا يعرف الوالد ولده ولا الولد والده .. وإذا استتوا فمن يتعين للرياسة ويترشح للرياسة؟"^(٢). وفي سؤال آخر من الموابذة لمزدك: "أنه إذا كان الناس متشاركين في النساء والأموال فكيف يعرفون أولادهم ويصحون أنسابهم وكيف يعمل بعضهم لبعض مع تساويهم، وكيف لا تخرب الدنيا من هذه الحالة"^(٣). فلم يستطع مزدك الإجابة، تم اعتباره كافر ومارق عن الدين، وانقض الجنود المحيطين بمكان المناظرة بإشارة من كسرى أنوشروان على مزدك ومعاونيه وقتلوه ثم استبيح دم أتباعه وصودرت أموالهم وأحرقت كتبهم الدينية^(٤)، وكان ذلك على الأغلب في سنة ٥٢٨م^(٥).

تذكر بعض المصادر العربية أن هذه العملية قد تمت بعد وفاة قباد - أي في عهد ابنه كسرى^(٦)، والأرجح أنها حدثت في أواخر عهد قباد ولكنها تمت بتدبير من كسرى أنوشروان ولذا نسبت إليه وعلى أنها تمت في عهده^(٧).

في سنة ٥٣١م توفي الملك قباد بعد أن كتب وصية بولاية ابنه كسرى أنوشروان من بعده^(١) بعده^(١) فكتب أنوشروان إلى عماله وأهل مملكته يذكرهم بوفاة والده ويأمرهم بالطاعة^(٢)، وبدأ حكمه

(١) كفاي، في أدب الفرس، ص ١٨١.

(٢) الفردوسي، الشاهنامه، ج ٢، ص ١١٩.

(٣) الثعالبي، غرر السير، ص ٦٠٢. الطوسي، سياست نامه، ص ٢٤٤.

(٤) كريستنسن، إيران، ص ٣٤٦.

(٥) ولبر، دونالد: إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب، ط ٢، القاهرة-بيروت،

١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ص ٤٥. كريستنسن، إيران، ص ٣٤٤.

(٦) اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ٤٣. الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٤٣٥.

(٧) الطوسي، سياست نامه، ص ٢٤٤.

حكمه بتصفية بقايا المزدكية، وصادر أموالهم، ورد الأموال المسلوبة إلى أصحابها الأصليين، وعالج الفوضى والفساد الاجتماعي الذي أحدثته ثورة مزدك^(٣).

٢- إصلاحات قباد

عد قباد من أكثر الملوك شهرة في تاريخ الدولة الساسانية وعُرف بأنه المصلح الاجتماعي^(٤)، إلا أن إصلاحات قباد كانت ذات صفة مبدئية فقد توفي قبل أن ينجز برنامجه الإصلاحي، إلا أن كسرى أنو شروان اقتفى أثر والده وشرع في تنفيذ العديد من الإصلاحات وتوسيعها وحصد نتائجها. كانت من أهم الإصلاحات التي شرع قباد بتنفيذها إصلاح نظام الضرائب، حيث سعى قباد للحد من التجاوزات التي كان يقوم بها موظفي الدولة ضد عامة الشعب عند جبايتها، فلقد مثلت الضرائب أحد المصادر الرئيسية لموارد الدولة الساسانية، ولم يكن هناك نظام دقيق متبع في جباية الضرائب وإنما بقيت جباية الضرائب حتى عهد قباد تعتمد على المقاسمة^(٥).

كانت المصادر الرئيسية للدخل في الدولة تتكون من الضريبتين العقارية والشخصية (كزيت) ضريبة الرؤوس (الأعناق)، وكانت الضريبة الشخصية تحدد مرة واحدة بمبلغ سنوي محدد على كل قسم من أقسام الدولة وتقسم على عدد السكان، وتقدير هذه الضريبة يتم حسب ما تنتجه الأرض من غلات، وعلى كل قرية أن تدفع من السدس إلى الثلث، أو من العشر إلى نصف المحصول حسب خصوبة الأرض، وكذلك حسب قرب القرى أو بعدها من المدينة^(٦).

ولقد لجأ الدهاقين إلى استخدام الأساليب القسرية عند تحصيل الضرائب من الفلاحين، والتي كثيراً ما استندت إلى التعذيب، مما جعلها تترك أثراً سيئاً على حياة عامة الفلاحين ومعيشتهم، في

(١) أبو مغلي، إيران، ص ١٥٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ص ١٤٣.

(٣) أبو مغلي، إيران، ص ١٥٧.

(٤) ماسه وآخرون، تاريخ تمدن، ص ١٦٩.

(٥) المقاسمة: هي الضريبة التي تفرض على المحصول ويراعى فيها نوع الزرع فتكون إما نصفه أو ريعه أو أقل من ذلك أو أكثر. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م: كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار قتيبة، ط ١، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٣٥٦.

(٦) الدينوري، الأخبار، ص ٧٢.

الوقت الذي أثرى فيه الدهاقين إثراءً فاحشاً بفضل الأموال التي حصلوا عليها نتيجة قيامهم بأعمال الجباية^(١). فأدت هذه الظروف إلى ظهور نظام الإلجاء الذي يعتمد على قيام الفلاحين الضعفاء بالجلء أراضيهم إلى المتنفذين لحمايتهم من ظلم الجباة وقسوتهم^(٢). أما ضريبة الأعناق فتمثلت بالجزية، وكان لها شأن في واردات الدولة، لهذا تم إحصاء السكان، وفرضت هذه الضريبة نقداً، فكان يدفعها جميع الذكور البالغين من سنة (٢٠-٥٠) لكن الملك قباد أسقطها عن أهل البيوتات من أبناء الأسر النبيلة، ورجال الدين، وكبار ملاك الأراضي والفرسان والكتّاب والهرابذة ومن هم في خدمة الملك^(٣).

بالنسبة إلى ضريبة الرأس فقد كان يدفعها من ليس لهم نسب ملكي، ولأن هذه الضرائب كانت تقدر جزافاً، وأدت جبايتها إلى الظلم والاعتداءات المتكررة من قبل موظفي الحكومة، فقد قرر قباد إعداد نظام جديد للضرائب^(٤). وفي ذلك ما توضحه حكاية يرويها ابن حوقل وهي تفيد: "أن الملك قباد لاحظ كيف تضرب امرأة فتاة كانت قد قطفت رمانة من الشجرة، وحين استدعيت المرأة للاستجواب اعتذرت بأن كل الثمار الموجودة في بستانها لها في الملك شريك في ملكيتها، وبذلك كانت تشير إلى أن الرمانات الناضجة لما يئن الألوان لجنيها، لأن تقدير المحاصيل من أجل فرض الضرائب لما يحدث بعد، ويمضي ابن حوقل بالقول: "ولم يهدأ بال قباد إلى أن جعل من فارس كلها مناطق مقسمة تبعاً لوجود الملتزمين بدفع ضريبة الأراضي "مقطعات وخراجات"، إذ كان يتم في وقت معين، تقدير ما يكون في الأجران (أنادير) وتترك للفلاحين (الأكاره) والمزارعين (أي: مستأجري الأراضي) حرية "التصرف فيما يتعلق بالبيادر"^(٥).

(١) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٥٠. آري، تراث، ص ٩٦. شعبان، محمد عبد الحي: صدر الإسلام والدولة الأموية ٦٠٠-٧٥٠م (١٣٢هـ)، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٩١. الصوفي، حميد مرعي: دور الدهاقين في الإدارة المالية لخراسان حتى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: صلاح الدين أمين طه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٣٥.

(٢) الجهشيري، الوزراء، ص ٦.

(٣) الدينوري، الأخبار، ص ٧١. الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ١٥١. بيرنيا، تاريخ، ص ٢٩٨. آري، تراث، ص ٩٥.

(٤) بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٣٩٩.

(٥) صورة، ص ٣٠٣-٣٠٤.

لذلك أمر قباد بمسح الأراضي^(١) سهلها وجبلها، ليصحّ الخراج عليها، فمسحت. غير أنه توفي قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة^(٢)، فلما ملك أنوشروان أمر باستكمال ما بدأه والده ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرمة والرطب والنخل والزيتون والأرز، وعلى كل نوع من هذه الأنواع شيئاً معلوماً^(٣).

ومن الإصلاحات التي قام بها قباد من الناحية الاقتصادية هي سابقة قام بها واستمر كسرى من بعده، فإلى جانب المناطق التي كانت تخضع للسلطان بشكل مباشر، كان يوجد مناطق أخرى بحوزة الأرستقراطية، ولم تؤثر بها الرقابة الملكية إلا تأثيراً غير مباشر. ولذلك فإنّ تحصيل الضرائب من هذه المناطق، وطلب الالتحاق بالجيش هو أمر غير ممكن التنفيذ. ووصل الأمر إلى حد أن الملوك لم يؤسسوا مدناً إلا على أرض من "أملاك الدولة" "شهرستان"، ولم يستطيعوا توطین الناس إلا في أراضي أملاك الدولة، والشيء ذاته ينطبق على تغيير أسماء المدن. ولم يتغير هذا الوضع إلا في عهد قباد الذي استفاد من إضعاف النبلاء عن طريق ثورات المزدكيين، من أجل التحول من أرض النبلاء إلى أراضي للعامة وإجراء مسح شامل لتلك الممتلكات^(٤).

كذلك فقد سعى قباد إلى إيجاد قانون يلزم الفرس بعدم السماح لهم بتتصيب الأجانب في المناصب العليا في الدولة الساسانية بل عليهم أن يعهدوا بذلك إلى الرجال الذين تكتب لهم مكانة الشرف الملائمة تبعاً لأصلهم ونسبهم، وقد سعى قباد لتنفيذ هذه الخطوة بعدما ظهر في تلك الفترة من وصول عناصر أجنبية لمناصب عليا، حيث ارتقت أجناس أخرى إلى صفوف كبار رجال الدولة. وكان يتم إشراكهم في مراسم المنادة بولي العهد ملكاً، بصفة مستشارين أو موافقين أو مؤيدين، وذلك مثلما حدث مع شابور الثاني عندما قرب "انطونيوس وهو روماني هرب إلى المقر الشتوي للملك شابور، واستقبل هناك بذراعين مفتوحتين وأنعم عليه بمرتبة "التيار" وهو شرف يتمكن المرء به من المشاركة في المائدة الملكية ويحظى به الرجال ذو الاستحقاق لدى الفرس، بالإذن

(١) نظام المساحة: هو أن تفرض ضريبة الخراج على مساحة الأرض مع مراعاة طريقة ونوع السقي، والقرب أو البعد من الأسواق. الماوردي، الأحكام، ص ٣٥٥.

(٢) مسكويه، تجارب، ج ١، ص ١٨٤-١٨٥. ابن الجوزي، المنتظم ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٤١٣.

(٤) فيزهوفر، فارس القديمة، ص ٢٢٤-٢٢٥.

بالإدلاء بنصائحهم في المؤتمرات وطرح وجهات نظرهم. فمنذ العهد الفرثي كان يمكن الإنعام بشارات التقدير بصورة مستقلة عن الملك، ولم تتغير الأمور إلا مع نهايات القرن الخامس الميلادي، حين بات حمل الأحزمة والخواتم والمشابك، والشارات الأخرى يفترض بصورة أولية موافقة الملك^(١).

يعد الملك قباد من أكثر الملوك الساسانيين بناءً للمدن والتي منها: بهقباد^(٢)، شهرقباد^(٣)، قباد خرة^(٤)، قبله^(٥)، مهرجان^(٦)، قرميسين^(٧)، بردعة^(٨)، بيلقان^(٩)، حلوان^(١٠)، أرجان^(١١).

ثانياً: الصناعة

ارتبطت الصناعة خلال الفترة الساسانية أولاً بتقاليدها التي سادت في تاريخ إيران القديم، وثانياً بالزراعة التي أمدت الصناعة بعدد كبير من موادها، فقد صنعت من بقايا أشجار النخيل وعيدان الحبوب وأشجار الغابات المواد التي تستخدم في البناء، ولقد تم تصنيع النبيذ من كروم

(١) فيزهوفر، فارس القديمة، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات، منها: بهقباد الأعلى سقيه من الفرات. الحموي، معجم، ج ١، ص ٥١٦.

(٣) شهر: هو المدينة بالفارسية، وهي مدينة بناها قباد بين أرجان وأبرشهر بفارس. الحموي، معجم، ج ٣، ص ٣٧٨.

(٤) من كور فارس عمرها قباد، ومعناه فرح قباد. الحموي، معجم، ج ٤، ص ٣٠٣.

(٥) مدينة قيمة قرب الدربند وهو باب الأبواب من أعمال أرمينية أحدثها قباد. الحموي، معجم، ج ٤، ص ٣٠٧.

(٦) قرية بأسفرايين لقبها بذلك قباد لحسنها وخضرتها وصحة هوائها. الحموي، معجم، ج ٥، ص ٢٣٣.

(٧) تقع بين همدان وحلوان، اختارها قباد لسكناء وبنى به قصراً يقال له قصر اللصوص. القزويني، آثار، ص ٤٣٣.

(٨) مدينة كبيرة بأران. أنشأها قباد، وهي خصبة زهية كثيرة الثمار. القزويني، آثار، ص ٥١٢.

(٩) مدينة كبيرة مشهورة ببلاد أران، حصينة ذات سور عال. القزويني، آثار، ص ٥١٣.

(١٠) من كور الجبل وبمقرية من شهرزور وخانقين، بناها قباد وهي بين فارس والأهواز وحلوان مدينة سهلية جبلية

على سفح الجبل المطل على العراق، وسميت بذلك لأن معناها حافظ حد السهل، الحميري، الروض، ص ١٩٥.

(١١) هي أحد مناطق (الكور) الخمسة التي يتألف منها إقليم (فارس)، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير. الحموي، معجم، ج ١، ص ١٤٣.

العنب، ومن الشعير صنعت الجعة، ومن الزيتون كان يعصر الزيت^(١)، ومن الكتان نسجت الملابس، ومن صوف الحيوانات صنعت الجلود والنعال، وكانوا يجيدون نسيج السندس الحريري^(٢)، الحريري^(٣)، كما ابتكروا صناعة الزجاج والفخار والخزف الملون، والأدوات الزراعية والبيتية، والأسلحة ومكايل الصناعة والزراعة^(٤).

أنتجت الدولة الساسانية الذهب، والنحاس والفضة، والجواهر والمعادن الثمينة، والبلور الصخري، والأقمشة الحريرية والصوفية وغيرها^(٥).

وقد أجاد الساسانيون استخدام المعادن في العديد من الصناعات، فقد استعملوا الحديد في صناعات التعدين، وكان ذو عدة أنواع كالحديد الصلب والمطاول والمخلوط مع بعض المواد والأخلاق كالبرونز مثلاً^(٦)، وصُنِعَ من النحاس الآلات الحربية المعدنية مثل السيوف، والدروع^(٧)، والدروع^(٨)، والبيض^(٩)، والمنجنيق، والعرايدات^(١٠).

واستخدم الحديد في صناعة بعض وسائل النقل في البحار والجبال، وفي صناعة التماثيل المجوفة، والتي ملأت أجوافها بالنفط والكبريت، وفُتحت دكاكين الحدادة في جميع أصقاع الدولة، وصُنعت فيها أدوات الصناعات المتنوعة^(١١)، وبعض الأدوات الزراعية كالحراش والفؤوس^(١٢).

(١) العابد، معالم، ص ١٢٤.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ١١٥.

(٣) العابد، معالم، ص ١٢٥.

(٤) كريستنسن، المرجع السابق، ص ١١٧.

(٥) آري، تراث، ص ١٠٨.

(٦) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ١٧٥.

(٧) البيض: غطاء من الحديد يضعه المقاتل على رأسه ليقويه من ضربات السيوف. الخطيب، مصطفى عبد الكريم:

الكريم: معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٩٥.

(٨) العرايدات: من الآلات الحربية التي استخدمت في عمليات الحصار وقذف الحصون، وهي على هيئة المنجنيق

لكنها أصغر حجماً. الخطيب، معجم، ص ٤١٠.

(٩) الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٩م): تاريخ

تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م، ص ٢٦.

(١٠) الفردوسي، الشاهنامه، ص ٧.

ومما ساعد على ازدهار الصناعة في إيران، أنهم لم يقتصر استخدامهم للأسرى في الأعمال الزراعية، بل تعداها، إلى استخدام الأسرى المهرة في تطوير أنواع الصناعات التي كانوا يتقنونها في بلادهم، وذلك عن طريق إقامة مراكز صناعية لهم^(١). ما ساهم في تطوير بعض الصناعات كالخزف والزجاج والحريز وغيرها^(٢).

ثالثاً: التجارة

ازدهرت التجارة في عهد الساسانيين، فقد شكلت إيران طريقاً هاماً للنقل بين اليونان وروما وآسيا الصغرى وما بين النهرين ومصر من ناحية وبين الصين وآسيا الوسطى من ناحية أخرى، وكان لا بد لكل القوافل التي تحمل بضائع من الطرفين أن تمر بالدولة الساسانية أو المناطق التابعة لها.

شكلت المنسوجات المزركشة بالذهب والأقمشة والملابس الحريرية وريش الطيور والجلود جزءاً رئيسياً من صادرات الدولة الساسانية^(٣)، وكان الحرير الخام المستورد من الصين من أهم أصناف التجارة عند الفرس، فقد كانوا يصلون على كميات كبيرة منه ويقومون بنسجه، وبيعه إلى سائر المناطق والبلدان المجاورة بالأسعار التي يحددونها بأنفسهم.

وفي المقابل اشترى الصينيون الكثير من البضائع الفارسية ومنها الكحل الإيراني، وكانوا يدفعون فيه ثمناً باهظاً. وكانت الدولة الساسانية تصدر للصين الأحجار الثمينة، الطبيعية والصناعية، والمرجان واللؤلؤ من البحر الأحمر، والأقمشة المنسوجة من الشام ومصر، والمواد المخدرة من آسيا الوسطى^(٤).

(١) العابد، معالم، ص ١٢٥.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ١١٥.

(٣) بيرنيا، إيران، ص ٤٠٧.

(٤) كريستنسن، إيران، ص ١١٧.

١- الطرق التجارية

بالنسبة للتجارة البرية فقد كانت طرق القوافل تنطلق من العاصمة طيسفون باتجاه الشمال الشرقي حتى مدينة همدان عن طريق حلوان، ومنه يتفرع طريقان؛ الجنوبي: الذي يخترق خوزستان وفارس إلى مدن الخليج العربي، وطريق شمالي شرقي يتجه إلى مدينة الري، ومدن بحر قزوين، ومنه إلى الهند عن طريق خراسان ووادي كابول أو إلى الصين عن عبر تركستان وشمال هضبة التيبب^(١).

كانت مدينة نصيبين الحدودية الواقعة جنوب غرب منابع نهر دجلة هي المركز الرئيس لطريق القوافل المتجهة إلى الغرب والشمال، بالإضافة إلى مدينة أرتاكساتا في أرمينيا، وغيرها من المدن التي كانت تعقد فيها في مواسم معينة أسواق كبيرة ترد إليها كافة البضائع الفارسية والصينية والعربية والهندية^(٢).

كانت التجارة البحرية مهمة عند الساسانيين، ولقد تمكنوا من إيجاد نشاط تجاري مهم لهم على الخليج العربي والمحيط الهندي، وشكل الخليج العربي ميداناً واسعاً للملاحة بين جنوب غرب آسيا والشرق الأقصى. وقد بدأت السفن الساسانية تنافس الأسطوليين البيزنطي والحبشي، ثم صارت قوة متفوقة فيما بعد، وكان النفوذ الذي كسبه الفرس في البحر من الأسباب الرئيسية للتدهور ثم للسقوط الكلي للنشاط البحري البيزنطي في البحار الشرقية^(٣).

وقد دفع تطور التجارة الملوك إلى التوسع في شق الطرق، كما توسعوا في بناء الخانات والمستودعات وخزانات المياه، كما فرضوا رقابة شديدة على المحطات التجارية الحدودية والموانئ البحرية^(٤).

تحولت معظم المدن التجارية الساسانية التي تقع على الطرق التجارية البرية والبحرية، إلى محطات لقوافل المسافرين والتجار ومراكز للبيع والشراء. وكان المحرك الأساسي لعمل الأسواق هم

(١) العابد، معالم، ص ١٢٦.

(٢) العابد، معالم، ص ١٢٦.

(٣) كريستنسن، إيران، ص ١١٦.

(٤) كيرشمن، إيران، ص ٤٠٩. العلان، السياسة، ص ٨٠.

أهل الحرف والصناع، ويطلق عليهم (توخشان) ويمثلهم رئيس الطبقة (توخش)، والذي كان حلقة وصل بين العمال والتجار في السوق وبين الدولة من حيث تنظيم المهن وتقسيمها، وتسجيلهم في سجلات خاصة لكل مهنة سجلها الخاص بها^(١).

٢- وسائل التعامل التجارية والعقوبات

لقد وضعت القواعد الأساسية وطرق التعامل التجاري والمعاملات اليومية بين الأفراد، ولا سيما المالية والتجارية، والقوانين التي كانت تحاسب من يخترق القواعد، على أسس دينية أساسها الديانة الزرادشتية، ويحاكم المخالف للقانون المدني الساساني في الأسواق من قبل القاضي من رجال الدين (الوردبد) أي أستاذ العمل^(٢). وجعلت تلك التعاليم في ست أنواع من العقود التي تبرم بين المتعاقدين في السوق، أولها العقد الكلامي، ثم عقد اليد، ثم العقد على ثمن الخروف، ثم العقد على ثمن ثور، العقد على ثمن أرض خصبة جيدة ذات حاصل، ثم العقد على ثمن إنسان (عبد)، فالعقد الكلامي يوفى بالكلام، وعقد اليد يفسخ بأداء أجره اليد، والعقد على الخروف يفسخ بأداء ثمن الخروف، والعقد على الثور يفسخ بأداء ثمن الثور، والعقد على الأرض يفسخ بأداء ثمن أرض، والعقد على إنسان يفسخ بأداء ثمن إنسان^(٣).

ولقد حددت العقوبات على كل من لا يلتزم بعقده مع الطرف الآخر، وقد تراوحت تلك العقوبات بين (٣٠٠) سوط و (٣٠٠) عصا لمن لم يف بعقده الكلامي، ووصلت إلى حوالي (١٠٠٠) سوط و (١٠٠٠) عصا لمن لم يف بعقد أرض^(٤).

٣- الأسواق التجارية

لقد ساعد تنوع المحاصيل الزراعية والسلع الصناعية في أقاليم الدولة الساسانية على تعدد الأسواق التجارية وتنوعها بتنوع الأقاليم التي تقع تحت سيادة الدولة، ولقد ارتبط تباعد المسافات أو تقاربها بين الأسواق التجارية في الأقاليم باختلاف طبيعة التضاريس مثل كثرة السلاسل الجبلية، في

(١) دريائي، تورج: امبراطوري ساساني، تر: خشايار بهاري، فرزان روز، تهران، ١٣٩٢هـ، ص ١٥٥.

(٢) كريستنسن، إيران، ص ١٥٦.

(٣) الفنديداد، ص ٤٩.

(٤) الفنديداد، ص ٥١.

بعض الأقاليم، ووجود الأراضي السهلية في أقاليم أخرى، وهذا كان مرتبطاً بشكل أو بآخر بطبيعة تلك الأسواق كأن تكون منعزلة أو متصلة مع الأقاليم المجاورة لها.

لم تكن أسواق أقاليم الدولة الساسانية كلها تدار وتنظم من قبل (توخش)، فقد كانت هناك أسواق تدار وتحرس من قبيلة معينة وزعمائها مثل أسواق هجر والمشقر والعقير في إقليم البحرين كانت سديتها قبيلة تميم وبشرف عليها زعمائهم وأمرائهم، ولأية إقليم البحرين في عهد الدولة الساسانية^(١). لقد كان لبعده تلك الأسواق عن مركز القوة الساسانية ووقوعها في أطراف الدولة دور كبير في إدارتها من قبل القبائل المحلية فيها بتحويل من الحكومة الساسانية، وكانت تلك الأسواق موسمية أي غير مستمرة على عكس الأسواق الأخرى الدائمة لذلك نجد ضعف التنظيم الساساني فيها^(٢).

تعددت الأسواق التجارية للدولة الساسانية في الأقاليم التابعة لها، ومن أهم الأسواق تلك التي تركزت على ساحل الخليج العربي وعلى رأسهم سوق جلفار^(٣) أو جلنار الذي يقع ضمن موانئ ساحل عمان^(٤). حيث كان سوقاً للمستوردات من الصين والهند واليمن كالعطور والمسك والزعفران والعاج والياقوت وغيرها من المنتجات الآسيوية، واشتهرت أسواق جلفار بوجود اللؤلؤ، وكان يأتي هذا السوق تجار الهند والعرب سكان المناطق المجاورة^(٥).

ومن أهم الأسواق الموسمية على الإطلاق سوق صحار الذي يقع بالقرب من ميناء صحار على خليج عمان وأطلق عليه الساسانيون اسم (دستجرد)^(٦) وهي كلمة فارسية تعني المقبض، وتدل وتدل التسمية الفارسية للسوق على موقعه الذي يقع على رأس خليج عمان حيث يكون كالمقبض

(١) الأفغاني، سعيد: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٩٣م، ص ٢٤٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ج ٧، ص ٥٠.

(٣) التونجي، محمد: معجم المعربات الفارسية منذ بواكير العصر الجاهلي حتى العصر الحالي، مر: سباعي محمد سباعي، مكتبة البنان، ط ٢، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٥٣.

(٤) الطابور، عبد الله علي: جلفار عبر التاريخ، مطبعة دبي، الإمارات، ١٩٩٨م، ص ١٠١.

(٥) صراي، حمد محمد: تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتب، دبي، ١٩٩٩م، ص ٣٩٣.

(٦) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، مج ١، ص ١٥٦.

على السفن التي تدخل وتخرج من الخليج العربي. وتميز هذا السوق عن غيره من الأسواق التابعة للدولة الساسانية بأنه عُدَّ كالعمود الفقري الذي ربط بين تجارة الشرق من الصين والهند مع الغرب براً عبر الطريق البري إلى شرق وشمال شبه الجزيرة العربية عبر حضرموت، ومنها إلى البحرين^(١).

وكان هذا السوق مركزاً لتجمع التجار من الصين والهند وفارس والعرب بسبب موقع السوق على ساحل البحر، وتوفر المياه والآبار الغزيرة، وغنى هذا السوق بأصحاب الحرف والمهن والخبرات في مجالات التعامل التجاري وعمليات الاستيراد والتصدير^(٢).

ويُعد سوق دبا أيضاً من أشهر الأسواق على ساحل الخليج العربي ودبا من أكبر مدن عمان وهي كلمة فارسية تعني (الضرب أو القرع)^(٣). ويعد سوق دبا من أكبر الأسواق التجارية في الخليج العربي وأشار لذلك الطبري عندما قال "دبا مصر والسوق العظمى"^(٤)، ولقد مثلت دبا سوقاً تجارياً تجارياً ومركزاً عسكرياً في آن معاً مهماً بالنسبة للدولة الساسانية التي قامت بتحصين أسوارها بطريقة محكمة، وكان سوق دبا ملتقى للسلع التجارية العالمية من الصين والهند من جهة، وفارس والجزيرة العربية من جهة أخرى، ويعد سوق دبا من الأسواق الموسمية^(٥).

بالإضافة لوجود العديد من الأسواق التجارية الهامة على ساحل الخليج العربي مثل سوق الشحر^(٦)، وأسواق هجر والمشقر على ساحل البحرين، وسوق مدينة خط وسوق دارين^(٧).

ازدهرت أسواق العراق إلى جانب أسواق الخليج العربي، وكانت لها أهميتها الخاصة في التجارة العالمية فقد ربطت بين شبه القارة الهندية والقارة الآسيوية والأوربية عبر الخليج العربي

(١) ويليامسون، أندرو: صحار عبر التاريخ، ط١، عمان، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٢.

(٢) ويليامسون، صحار، ص١٢.

(٣) التونجي، معجم المعربات، ص٧٣.

(٤) تاريخ، ج٣، ص٣١٥.

(٥) ابن حبيب، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م): المحبر، تح: أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، بيروت، دار الآفاق الجديدة، دت، ص٢٦٥.

(٦) حمور، عرفان محمد: أسواق العرب، دار الشورى، ط٢، بيروت، ١٩٨١م، ص١٨٦.

(٧) الأفغاني، أسواق، ص٢١٤.

ونهرى دجلة والفرات، ومن أشهر هذه الأسواق في العراق سوق **أبولوجس** أو **الأبله**^(١) ولقد ازدهر سوق الأبله في عهد الدولة الساسانية بسبب نشاطه الكبير في التجارة العالمية، فقد كان سوقاً مهماً في القرن الخامس الميلادي وبدايات القرن السادس الميلادي لتجارة الحرير لدى الدولة البيزنطية^(٢). أهم السلع المستوردة لهذا السوق كانت من الصين والهند وعمان والبحرين وهي اللؤلؤ والأرجوان والذهب والخمر، أما السلع المحلية فكان أهمها من المحاصيل الزراعية وعلى رأسها التمر^(٣).

ومن أسواق العراق الهامة **أسواق الحيرة** فقد كان للحيرة مكانة تجارية هامة مع المناطق الحدودية للدولة الساسانية، ومنها شبه الجزيرة العربية، والجزيرة الفراتية، وعُرف أهل الحيرة بنشاطهم في الأسواق، حيث كانت الحيرة سوقاً مقصوداً ومركزاً للبيع والشراء عند التجار، حيث كانت الحاصلات الزراعية كثيرة ووفيرة وخاصةً الحنطة والشعير مما جعل الحيرة سوقاً رائجة لهذين النوعين من الحبوب^(٤).

يعد ملوك الدولة الساسانية أصحاب الفضل في نشأة البذرة الأولى التي قامت عليها الأسواق في إقليم خوزستان^(٥) وفارس أيضاً، بجلب أصحاب الصنعة من أسرى البيزنطيين وإسكانهم فيها، وهذا ما قام به الملك قباذ عندما جلب أسرى البيزنطيين بعدما سيطر على ميارفاقين وأسكنهم في مدينة أرجان^(٦)، الأمر الذي ساعد على رواج أسواق أرجان بالسلع الصناعية المحلية بإنتاج الكتان^(٧)، وتوسع سوق ريشهر^(٨).

(١) الحمارنة، صالح: دور الأبله في تجارة الخليج، بحث منشو في (مجلة احاد المؤرخين العرب)، بغداد، العدد ١٥، بلا، ت، ص ٣٣.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٤) غنيمه، يوسف رزق الله: الحيرة، المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، ١٩٣٦م، ص ٩٠.

(٥) خوزستان (الأحواز): تقع بين البصرة وإقليم فارس. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م): تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ماك كوكين، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٣١١.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٣٨.

(٧) ابن حوقل، صورة، ص ٢٣٩.

وأما نظام البريد، فقد استخدم الساسانيون طرق من سبقهم من الأخمينيين، والأشكانيين؛ ولذا فإن نظام البريد بقي نفسه أيام الساسانيين، فقد كان مُسَخَّرًا لمصالح الدولة لا لمصلحة الرعية، وكانت الولايات متصلة بواسطة الطرق، وكان الرسل والمسافرون يستعملون طريق البريد فيركبون خيولاً قوية يستبدلون بها بخيول جديدة في محطات كثيرة على طول الطرق^(٢)، وكانت هذه المحطات مزودة حسب أهميتها بالموظفين والخيول، كما كان هناك سعاة البريد، منهم من يركب الخيل ومنهم العدائون وخصوصاً بين المسافات القريبة^(٣).

٤- النقد:

سكَّ الساسانيون نقودهم من الذهب والفضة والنحاس، ومن خليط النحاس والبرونز، وتتبارى النقود الذهبية الساسانية في عصر سابور الأول والثاني في الوزن مع النقود الرومية الذهبية، وكانت النقود الفضية تسمى زوز أو كرشه، وتزن ما يقرب من مثقال واحد، أم النقود النحاسية كانت تسمى (معا)، وكانت العملات الذهبية والنحاسية كثيرة التداول، وكانت معظم القطع مسكوكة من الفضة "الرقيقة"^(٤)، ومما يلفت النظر في النقود الساسانية جمال منظرها وشكلها، ومن المعتقد أن فنيين يونانيين كانوا يعملون في دور سك النقود الساسانية^(٥)، وكان الرصيد النقدي للخزانة يصهر في بداية حكم كل ملك وتضرب نقود باسم الملك الجديد^(٦).

وتبدو صور الملك قباد على النقد الذي سك باسمه في وضع مثل جانب وجهه اليمين، كما نجد الجانب الأيسر لوجهه محفورا على قطعة نقدية أخرى^(٧).

(١) ريشهر من نواحي أرجان تقع على ساحل الخليج العربي، وسوقها عامر بالسلع القادمة من التجارة البحرية وأبرزها (الكتان الريشيري - والتمر والسمك). ابن البلخي، فارس نامه، ص ١٣٧.

(٢) ولبر، إيران ماضيها، ص ٣١.

(٣) كريستنسن، إيران، ص ١١٨.

(٤) فيزهوفر، فارس، ص ١٩٨.

(٥) العلان، السياسة، ص ٧٢.

(٦) بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٣٠٧.

(٧) العلان، السياسة، ص ٧٢.

وقد أدى العمل التجاري إلى معرفة الساسانيين للسند، واستخدموه في المبادلات التجارية، وأصبح كأنه سند ملكية وعُرف رسمياً في دور النقد الملكية، وكتبت السندات بكثرة لتغطية المبادلات التجارية النقدية، ولكن كان يحدُّ من نشاطها انشغال الناس في جني المحصول، وفي أوقات دفع الضرائب، وساعد ذلك من جهة أخرى على الحد من تدخُّل الدولة في عمل دور النقد^(١).

وقد راجت النقود الساسانية لفترة في إيران والمناطق المجاورة لها حتى بعد سقوط الساسانيين وانقراضهم، ولكن كتب عليها "بسم الله" بدلاً من صورة الملك ومعبد النار^(٢).

^(١) كيرشمن، إيران، ص ٤٠٨-٤١٠.

^(٢) بيرنيا، إيران، ص ٤٠٦.

الفصل الثالث

الأعمال العسكرية - قباز على الجبهة الشرقية والغربية

أولاً: على الجبهة الشرقية

١- الهياطلة

أ- نشأة الهياطلة

ب- أصولهم التاريخية

ج- الهياطلة والدولة الساسانية

د- حروب الدولة الساسانية ضد الهياطلة قبيل عهد قباز

هـ- السياسة الساسانية تجاه الهياطلة في عهد قباز

٢- حروب قباز ضد الخزر

ثانياً: على الجبهة الغربية

١- أرمينيا

أ- موقع أرمينية الجغرافي

ب- الأهمية الاستراتيجية لأرمينيا

ج- السياسة الساسانية في أرمينيا قبيل عهد قباز

د- الصراع الساساني-البيزنطي في أرمينيا خلال حكم قباز

٢- لازيكا

أ- الموقع الجغرافي

ب- الأهمية الاستراتيجية

ج- الصراع الساساني-البيزنطي على لازيكا في عهد قباز

أولاً: على الجبهة الشرقية

١- الهياطلة

أ- نشأة الهياطلة

هي قبائل عرفت باسم Hephthalites (الهفتاليون) ويسمون بالهون البيض، وهم شعوب عاشوا في جنوب ووسط آسيا وأسسوا منذ القرن الخامس الميلادي امبراطورية حيث توسعوا من باختر شرقاً إلى حوض تاريم، وغرباً إلى بلاد الصغد^(١)، وجنوباً إلى أفغانستان وباكستان، وإلى أجزاء من شمال الهند، كَوّن الهياطلة تحالفاً قبلياً ضم مجتمعات بدوية وأخرى متحضرة^(٢).

اختلفت آراء المؤرخين في نشأة الهياطلة ويعزى ذلك لقلّة وضعف المصادر التاريخية التي تتناول الحديث عنهم، فما من قائمة واضحة لملوّكهم ولم يتم التأكّد من ظروف نشأتهم.

عُدّت باختر (توخارستان) التي تقع في المنحدرات الشمالية للهندوكوش معقلاً للهياطلة منذ عام ٤٥٠م، ومع حلول عام ٤٧٩م غزا الهياطلة بلاد الصغد وطرّدوا الكيداريين^(٣) غرباً واجتاحوا

(١) يشتهر إقليم الصغد بخصوصية تربته ويشمل الأراضي الواقعة من سيحون وجيحون وهو من أشهر بقاع خراسان خصوصيةً وعطاءً، وتسكن على سهوله كتل سكانية كالهياطلة والأتراك، والصفد والطاجيك وغيرهم، مع وجود المراعي، مما ساعد على كثرة الثروة الحيوانية. الأصبخري، مسالك، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) وينتر، انگلبرت؛ ديكناس، بناته: روم وإيران: دو قدرت جهاني در كشاكش وهمزيستي، تر: كيكاس جهانداری، فرزانه روز، تهران، ١٣٨٦هـ، ص ٢٦.

(٣) الكيداريون: هم من الأقوام التي تعرف باسم الهون والتي انحدرت من موطنها في سهول روسيا الشمالية نحو الجنوب واستطاعت هذه الأقوام أن تبسط سيطرتها على النواحي الشمالية لخراسان وحتى گرگان (وحدث ذلك بعد وفاة شابور الأول). حاول الملوك الساسانيون مواجهتهم بعد وفاة شابور. وفي عهد بهرام الخامس تعاضمت هجمات قبائل الهون من الكيداريين والهياطلة على الحدود الشرقية لإيران واضطر يزجرد الثاني لمواجهة خطرهم. فاستطاع فيروز بمساعدة الهياطلة الانتصار على الكيداريين ولكن سرعان ما اتحد الهياطلة مع بعضهم وتمكنوا من السيطرة على بلخ. حميد، كاوياني بوي؛ ماريا، داغمه چي: چايگاه ونقش استحکامات هيركانيا در منازعات مرزهای شرقي ساسانيان، ادبيات وعلوم انسانی، دانشگاه تهران، دوره ٥ شماره ٣، پاییز وزمستان، ١٣٩٤، ص ١٣٧-١٣٨.

أجزاء من أراضي خراسان^(١)، وتوسعوا من سواحل الخزر إلى شمال الهند وأفغانستان وحتى آسيا^(٢).

استولت جموع الهياطلة على كشمير، ونهر الهندوس حتى انساحوا نحو الجنوب، وبذلك أصبحوا يسيطرون في تركستان على حوض نهر "تاريم" و"ما وراء النهر" و"بلاد خراسان"، وحوض نهر الهندوس وكشمير، وقضوا على دولة الجوبتا في الهند ودخلوا من وادي كابل ومن هناك شنوا حملاتهم باتجاه بلاد فارس، وأخضعوا الساسانيين وأجبروهم على دفع الجزية، وأحكموا السيطرة على الطرق التجارية داخل آسيا، الأمر الذي جعلهم يشكلون قوة بوجه الدولة الساسانية^(٣). لم تتمكن المصادر من تحديد أصل مؤكد للهياطلة بالرغم من الاعتماد على أصل الاشتقاق اللفظي للكلمة، وفي الحقيقة لم يتمكن البحث من الوصول لمصادر عن تاريخ شرق إيران في تلك الفترة.

ب: أصولهم التاريخية

أصل هذا الاسم هو هفتال هيون الأول أسم السلالة والثاني أسم القبيلة (هونهاى: هون، سفيد: أبيض)^(٤) من المرجح أن اسم أفتاليت قد أتى من اسم أفتالونوس EphtaLanos حاكم الهون والذي كان يحمل اسم خاقان وانتصر على إمبراطور الساسانيين فيروز (٤٨٨-٤٥٩م)^(٥). إن الدراسات المتعلقة بأصل قبائل الهون قليلة والحديث عنها يشوبه الغموض، ربما يعزى السبب في ذلك لكثرة الهجرات البشرية في تلك الفترة وتعدد عناصرها في تلك المناطق، بالإضافة

(١) خراسان: تعني إدارياً الأراضي الشرقية ويقال لها خراسان ما وراء النهر أو خراسان والمشرق ، أو عمل المشرق. وكانت هذه التسمية تطلق بوجه عام في أوائل القرون الميلادية على الأقاليم الإسلامية جميعها في شرق المفازة الكبرى حتى جبال الهند. المستوفي، نزهة القلوب، تح: محمد دبیر سیاقی، مط حیدری طهران، ١٣٣٦هـ، القسم الأول من المقالة الثالثة، ص ١٩٣.

(٢) Sayile, A; The Nationality of Ephatlites , Bellethen, XL, VI, 1985, pp. 18 – 22

(٣) غربال ، محمد شفیق وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة للطبع والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م، ص ١٩٢١.

(٤) وينتر؛ دینگناس، روم، ص ٢٧.

(٥) كريستسن ، إيران، ص ٢٧٩ .

إلى حركة الانسحاب المتتالي والمستمر والتحرك الدائم للقبائل والشعوب من وإلى قارة آسيا وتحديداً في قسمها الأوسط.

من الممكن أن يكون ظهور الهياطلة قد بدأ في القرن الرابع الميلادي في صفوف جيش الكوشان^(١) لمساعدته ضد الساسانيين ولكنهم ما لبثوا أن أصبحوا خلفاء الامبراطورية الكوشانية في الشرق^(٢). احتل الهياطلة المناطق الواقعة إلى الشمال والجنوب من جبال الهندوكوش، وعلى ما يبدو فإن هذه القبائل انقسمت لقسمين أساسيين القسم الأول وهم القبائل الشمالية التي احتفظت باسمها (الهياطلة) والقبائل الجنوبية التي اتخذت اسم (الزابول) وسميت تلك المنطقة باسمهم (زابولستان)^(٣) اتجه القسم الثاني من هذه القبائل باتجاه الجنوب الشرقي نحو الهند في حين توجهت القبائل الشمالية الهياطلية نحو إيران واصطدمت مع الساسانيين في عدة معارك ابتداءً من عام ٤٨٤م تكبد فيها الساسانيون خسائر جسيمة^(٤)، شملت مقتل بعض ملوكهم، لا سيما فيروز واستمرت الحروب بين الطرفين لمدة نصف قرن، استطاع الهياطلة خلالها الحصول على الأتاوات السنوية من الحكام الساسانيين مقابل ضمان سلامة حكام آل ساسان.

لقد أحدث الفراغ السياسي والعسكري في أوروبا والذي نتج عن سقوط الإمبراطورية الرومانية انعكاساً كبيراً على مجريات الأحداث في العالم، لا سيما في القارة الآسيوية التي حاولت أن تسد هذا الفراغ وتستلم قيادة دفة الأمور سياسياً وحضارياً وتجارياً، ولقد لعب طريق الحرير التجاري دوراً كبيراً في الازدهار والنشاط الاقتصادي في كل من الهند والصين وإيران، حيث سعت تلك الدول للسيطرة على طريق الحرير بكل ما ملكت من قوة كمحاولة منهم أن يحلوا محل روما المنهارة في

(١) كوشان: مملكة هندية ظهرت في القرن الأول الميلادي، كانت لها صلات تجارية واسعة مع الصين والرومان، وأصبحت هذه المملكة من أقوى المراكز على الحدود الجنوبية للدولة الساسانية، وكانت نهايتها على يد الملك سابور الثاني. أوليري، أليف: مسالك الثقافة الأغريقية إلى العرب، تر: تمام حسان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ١١٦، هامش رقم ١.

(٢) عاصم، نجيب: تورك تاريخي، صاحب و ناشري، حسن فريد واحمد شمس الدين، دار الطباعة المعاصرة، استانبول، ١٣١٦هـ، ص ٧٦ - ٧٧.

(٣) Millî, Kafesuglu Ibrahim: Türk Kültürü Ankara, 1977, p. 50.

(٤) وينتر؛ ديكناس، روم، ص ٨٣.

ولاياتها في الشرق^(١). وتمكن الهون البيض من التوغل في آسيا الوسطى، وامتد نفوذهم نحو الصين، وشملت غاراتهم الهند، وهاجموا الدولة الساسانية وانتصروا عليها في العديد من المعارك. وأصبحت منغوليا والصين وتركستان والتبت موطن انتشار قبائل البدو الرحل من الهون البيض الذين اندفعوا نحو الأراضي الزراعية بشدة - وهم الذين اعتادوا على قسوة الطبيعة وقحولة الصحراء - لا سيما بعدما شاهدوه من تقدم في أساليب استثمار تلك الأراضي وسعوا للسيطرة على خيراتها وبسط نفوذهم عليها.

أن ما وصل عن أصل الهفتاليت كان قليلاً، وما كُتب عن إمبراطوريتهم وحضارتهم كان نادراً، فضلاً عن التداخل في الآراء حول أصولهم وانحدارهم العرقي. لقد تم ضم العديد من الأقوام التي لا تمت بصلة للهفتاليت (الهون) المعروفين لدينا إلا أنهم من ضمن الهون الذين يتمتعون بأجسامهم البيض، وسموا بالهون البيض وهم يختلفون عن الهون الذين قادهم أتيلا AitiLa عندما غزا الإمبراطورية الرومانية^(٢).

كذلك وقع الاختلاف على وصفهم في كونهم أسرة أم شعب، حتى أن أسباب توسعهم تحتل نظريات عدة فيمكن أن تكون طبيعة الأرض القاسية قد دفعتهم لاحتلال مناطق جديدة خصبة، أو ربما ضغطت عليهم قبائل أخرى دفعتهم للهجرة، ثم تحولوا إلى قوة عظمى بدأت تهدد الإمبراطوريات الأخرى صوب الهند وإيران والصين وأوروبا^(٣).

وبناءً على ذلك نستنتج أن ذلك الشق من الهون الذي غادر أواسط آسيا الصحراوية الجافة واندفع باتجاه إيران هم الهون البيض، وانطلقوا ليشكلوا كياناً سياسياً خاصاً بهم مثلهم في ذلك مثل الهون الغربيين الذين أقاموا كياناً خاصاً بهم في المناطق التي سيطروا عليها.

يمكن القول أن تعدد الآراء والنظريات حول أصل الهون البيض يعود بالدرجة الأولى إلى اتساع المساحات التي انطلقوا منها وتعدد الجهات التي توجهوا إليها، ولعل التفسير الجغرافي لخروجهم من مناطقهم هو الأكثر وضوحاً لظالما نشأوا في بداياتهم ضمن بيئة جغرافية ذات طبيعة قاسية غير قادرة على توفير الغذاء والمؤن للعدد الكبير من الجنس البشري القاطن بها. علاوةً على

(١) بروي، تاريخ الحضارات، مج ٣، ص ٦٩ - ٧١.

(٢) Kafesuglu, Türk Kültürü, p. 66.

(٣) Kafesuglu, Türk Kültürü, p. 67.

ذلك فأن المناطق التي نزحوا إليها تعد من أكثر المناطق الجاذبة للعنصر البشري ولعل هذا السبب هو الأهم بالنسبة لتلك القبائل التي سعت لإقامة كيان سياسي واجتماعي خاص بها، ويبقى الشك محيطاً بأصل الهون البيض كما أشار البحث.

ج: الهياطلة والدولة الساسانية

لم تكن آسيا بمعزل عن هجرات الشعوب والقبائل التي انساحت في كل المناطق بحثاً عن الاستقرار والرزق، بل كانت ملاذاً وموطناً خصباً للكثير من القبائل والتي من بينها قبائل الهون، ولم تكن تلك الهجرات واحدة، بل ظهرت بشكل متتابع وعلى حقب متتالية بموجات ضخمة وكبيرة أخذت تدك حدود الهند وإيران^(١).

هذه القبائل التي هاجرت على شكل بدو رحل ما لبثت أن احتلت مناطق كبيرة وهامة من البقاع الجديدة واستولت عليها واستأثرت بخيراتها فكانت كابل وقندهار وتاريم من نصيبها^(٢)، وهذا ما جعل ناقوس الخطر يدق لدى كل من دولة الجوبتا (الهند) ودولة الساسانيين في إيران، اللتان حاولتا صدّهم ومنعهم من التقدم لداخل بلادهم ما جعل الصراع عنيفاً ومحتدماً لسنوات طويلة بين الجانبين.

ولكن لم تكن تلك المحاولات ناجحة إلى حد بعيد فلقد تمكنت قبائل الهون الهفتالية من كسر شوكة الساسانيين والنيل منهم، وهذا ما فعلوه تماماً في الهند التي أدى الضعف الذي آلت إليه بعد انهيار دولة الجوبتا عام ٤٧٠م إلى تكثيف الغارات الهفتالية فسيطروا عليها وعاثوا بها فساداً ونهباً^(٣).

شهد الصراع الأول للهياطلة مع الدولة الساسانية بؤاده في عهد فيروز الثاني (٤٥٩ - ٤٨٤م) حيث تمكن الهياطلة من الانتصار عليه، والاستقرار في مدينتي مرو^(٤) وهراة^(١)، إلا إن

(١) بروي، تاريخ الحضارات، مج ٣، ص ٧١ - ٧٢.

(٢) Kafesuglu, Türk Kültürü, p.69.

(٣) Kafesuglu, Türk Kültürü, p.70.

(٤) مرو: وهي من مدن خراسان وتعرف (مرو الشاهجان) وأم خراسان ومرو الكبرى، ومرو الصغرى، وهي عاصمة خراسان القديمة على نهر المرغاب. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت٣٤٨هـ / ٩٥٩م): تاريخ بخارى، تر: أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، ط٣، مصر، ١٩٦٥م، ص ٥٥.

هذه الصراعات اتخذت مع الزمن كر وفر.. انتصار وهزيمة لدى كل من الجانبين، فإيران الساسانية لم تكن لقمة سائغة بيد تلك القبائل في جميع الظروف واستطاعت أن تمتلك ناصية المبادرة في الدفاع عن حصونها والهجوم على معاقل الهياطلة في مرات عدة. ووسع الهياطلة نفوذهم بعيداً إلى مواقع الإمبراطورية الساسانية ، وتحولوا إلى قوة عظمى في آسيا الوسطى، فاستولوا على كوشان، سمرقند^(٢)، وباميان^(٣). وامتدت إمبراطوريتهم إلى بلاد الصغد وحوض جيحون والأراضي الواقعة إلى الشمال والجنوب من الهندكوش.

د: حروب الدولة الساسانية ضد الهياطلة قبيل عهد قباذ

يعد هجوم الهياطلة على الدولة الساسانية في عام ٤٢٥م من أهم وأبرز الأحداث التي واجهها الملك الساساني بهرام الخامس (٤٢٠-٤٤٠م)، فقد عبر الهياطلة نهر جيحون^(٤) وتوغلوا في الأقاليم الساسانية وعاثوا فيها نهباً وسلباً، ولم يكن أمام بهرام الخامس من حلول سوى التصدي

ويقال إن بناء مدينة مرو كان قبل الإسكندر. الثعالبي، لطائف المعارف، تح: إبراهيم الأنباري، حسن كامل حسن، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٦٠م، ص ٢٠١.

(١) هراة: مدينة ومنطقة تقع على نهر هري رود شمال غرب أفغانستان، وهي متنوعة التضاريس، حيث سلسلة الجبال التي تقع في شمال هراة وتتنوع التضاريس الممتدة من بوشنج إلى أن تقترب من هراة. الهروي، سيف بن محمد بن يعقوب: تاريخ نامه هرات، مط ببيست مش، كلكتا، ١٩٤٣، ص ١١.

(٢) سمرقند: مدينة واقعة جنوب إقليم الصغد. تشمل الأراضي الخصبة في ما بين النهرين (جيحون وسيحون) كانت محاطة بسور طويل له أبواب عددها اثنا عشر باباً . وفيها المسجد الجامع والقلعة وقصر الإمارة، تحيط بها الأسواق والمساكن. الثعالبي، لطائف المعارف، ص ١٩١. هويدي، فهمي: الطريق إلى سمرقند، مجله العربي، الكويت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، العدد ٢٥٨، ص ٧٤-٧٨.

(٣) باميان: إحدى كور خراسان وهي المدينة الوحيدة التي تقع على جبل. الأصطخري، المسالك والممالك، ص ١٥٦. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٠٣.

(٤) نهر جيحون: يقع شرق نهر مروان أي نهر "مرو أب"، وسماه العرب نهر بلخ ويعد الحد الفاصل بين خراسان وما وراء النهر ويكون الدلتا الواسعة في إقليم خوارزم. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م): الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٠، ص ٩٢. ابن حوقل، صورة، ص ٣٩٣.

ومواجهة تلك الجماعات التي أشاعت الخوف والاضطراب على الحدود الإيرانية، واستطاع بهرام الخامس دحرهم وتشتيت شملهم عن الأقاليم الشرقية للدولة الساسانية^(١).

لم يكتفي بهرام بالقضاء على هجمات الهياطلة في الأقاليم الشرقية بل أرسل قواته إلى ما وراء النهر ليحكم السيطرة عليهم، وولى أخاه نرسي على خراسان وأمره أن ينزل في مدينة^(٢) "بلخ"^(٣) ولم تشهد الدولة الساسانية بعد ذلك التاريخ أي محاولات للهجوم أو التعدي على الحدود طيلة فترة حكم بهرام الخامس.

انشغل يزدجرد الثاني (٤٤٠ - ٤٥٧ م) في حروبه ضد بيزنطة، ولكنه لم يوفق في حروبه مع الهياطلة وعلى الرغم من ذلك فإنه منع غاراتهم على حدود إيران واستمرت الحرب بين الطرفين سجلاً من عام ٤٤٣ حتى عام ٤٥١م^(٤).

بعد وفاة يزدجرد تسلم الحكم هرمز الثالث مغتصباً لحق أخيه الأكبر فيروز الذي كان في سيستان^(٥) بعيداً عن العاصمة، وعلى إثر هذا الخبر هرب فيروز إلى بلاد الهياطلة طالباً مساعدتهم له لاستعادة العرش من أخيه هرمز^(٦). في البداية رفض الهياطلة التعاون معه أو مده بالقوات ولكن فيروز حاول إقناعهم بأنه يحارب الظلم والفساد والجور في الحكم، فأمدوه بجيش استطاع فيه السيطرة على الحكم.

إلا أن فيروز الذي تسلم مقاليد الحكم في الدولة الساسانية بين عامي (٤٥٩-٤٨٣م) والذي استفاد من الهياطلة في استعادة الملك وتثبيت دعائم حكمه، سرعان ما انقلب عليهم وقتلهم، إلا أن

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٢٣٧.

(٣) بلخ: إحدى مدن خراسان العظمى، ولها سور وريص، وهي نحو نصف فرسخ في مثله وبنائها من الطين، وإليها ينسب نهر جيحون، فيقال نهر بلخ، وهي من أقدم البلاد وأخصها بالملوك، وقد بناها ذو القرنين وبها النوبهار "معبد النار". النويري، نهاية، ج ١، ص ٣٦٤. الحميري، الروض، ص ٩٦.

(٤) المستوفي، تاريخ كزیده، ص ١١٤.

(٥) سيستان: تقع في الجنوب الشرقي من إيران، ويعرف قسمها الجنوبي بمكران، ويعد من الأقاليم الجافة. زنده دل، حسن: استان سيستان وبلوچستان، تر: محمد رضا نجم الدين، مؤسسة تحقيقات وانتشارات كاروان جهانگردان، تهران، ١٣٧٩هـ، ص ١٧٣-١٧٤.

(٦) بياتي، عزه الله: كليات تاريخ و تمدن ايران، ط ١، بيروت، ١٩٥٣، ص ٤٠.

الغلبة كانت للهياطلة الذين سيطروا على خراسان، وألزم فيروز بالتنازل عن مدينة الطالقان^(١) - والتي أصبحت تمثل منطقة حدودية - بين الدولة الساسانية والهياطلة، كما تعهد بأداء فدية^(٢)، وظل ابنه قباد في بلاط ملك الهياطلة رهينة لمدة سنتين إلى أن أدى الفدية^(٣). ولكن ما إن استقرت الأمور لفيزوز داخل الدولة الساسانية حتى سار بجنده من جرجان نحو خراسان مريداً حرب "أخشنوار" ملك الهياطلة، ولكنها كانت من أكثر الحملات المشؤومة في تاريخ الدولة الساسانية فقد توغلت القوات الساسانية في طريق صحراوي كانت جيوش الهياطلة قد استدرجتهم إليه وهلك جيش فيروز عطشاً^(٤)، وتم أسر فيروز، تقول رواية الأصبهاني في ذلك: "أن أخشنوار قد سحبه إلى وادي وادي ليس له مخرج، وعندما دخل فيروز إلى هذا الوادي سد مدخله، ولم يكن هناك بد أمام فيروز سوى بدء مباحثات الصلح، وقبل اخشنوار الصلح الأبدي بشرط أن يخر ملك إيران صاغراً أمامه على الأرض. وكان قبول هذا الأمر بالنسبة لفيزوز أمراً صعباً جداً لكنه لم يجد بداً من ذلك فقبل وفي النهاية غضب فيروز من سلوك اخشنوار المتسم بالإهانة فصمم على الخروج من هذا الشرك"^(٥). وما إن استعاد فيروز قوته حتى شرع في حرب جديدة مع ملك الهياطلة الذي كانت جنوده قد احتفرت الخنادق^(٦) للإيقاع بالجيش الساساني، حيث لقي حتفه مع الكثير من جنوده في خندق حفره لهم ملك الهياطلة^(٧) سنة ٤٨٣م. توغل الهياطلة في الأقاليم الشرقية من الدولة الساسانية واستولوا على مدن وولايات كثيرة وفرضوا على الساسانيين جزية سنوية. يصف كريستنسن الحال في الدولة الساسانية عقب الهزيمة أمام الهياطلة فيقول: (كانت الحالة تعيسة جداً. فقد تحولت إيران إلى دولة ذليلة بتبعيتها لملك الهياطلة) ويتابع (أنه كان في

(١) الطالقان: تقع في جبل متصل بجبال الجوزجان ولها رساتيق كثيرة وعامرة. ابن حوقل، صورة، ج ٢، ص ٤٤٢.

(٢) الدينوري، الأخبار، ص ٦٠.

(٣) كريستنسن، إيران، ص ٢٧٩.

(٤) (ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٥) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق (٤٣٠هـ/١٠٣٨م): تاريخ أصفهان (ذكر أخبار

أصفهان)، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٦١.

(٦) الثعالبي، غرر، ص ٥٧٤.

(٧) رازي، تاريخ إيران، ص ٦٩.

وسع كشنسداد الذي كان يفاوض (وهن) حاكم أرمينيا أن يقول له: "إنه (فيروز) قد أسلم لسيادة الهياطلة دولة كبيرة جداً مستقلة، فلن تستطيع الخلاص من هذا الإذلال القاسي ما دامت سيادة الهياطلة"^(١).

وحاول زرمهر (سوخرا) أقوى عظماء إيران وهو من أسرة قارن أقوى الأسر السبع الممتازة في فارس عامل فيروز في خراسان الانتقام لفيروز وسار بجيش لملاقاة الهياطلة، وانتهت الحرب بالتفاوض معهم حيث تم عقد صلح مشرف للدولة الساسانية، أعاد الهياطلة فيه أملاك فيروز وكل ما استولوا عليه من غنائم في المعركة الأخيرة بينهم وبين فيروز، ما أدى لتعاظم دور سوخرا وعلت منزلته ودنت من منصب ملك الملوك^(٢).

يقول كريستسن: "أن ابنة فيروز - التي تم أسرها على الأغلب - في الحرب الأخيرة قد ظلت في بلاط الهياطلة وتزوجها أخشنوار وأنجبت منه بنتاً تزوجها قباد الأول"^(٣). ولم تقع الحرب بينهم بعد هذه المفاوضات، حتى في عهد بلاش (٤٨٣-٤٨٧م) خليفة فيروز^(٤) الذي كان ميالاً للسلم والمصالحة، على أن تدفع الدولة الساسانية الجزية كل عام^(٥).

هـ: السياسة الساسانية تجاه الهياطلة في عهد قباد

لم تدرك الدولة الساسانية حجم الخطورة التي كانت تواجهها ولم يتم تقديرها بالطريق الصحيح، وهذا ما حصل عام ٤٨٤م عندما قرر فيروز الثأر من الهزائم التي تلطخت بها قوات الجيش الساساني من قبل الهياطلة، إلا أن هذا التصرف الغير مدروس لم يكلف فيروز حياته فحسب، وإنما أخضع الدولة الساسانية في عهد خلفاءه الثلاثة لهم^(٦)، وألزم ملوك الدولة الساسانية

(١) كريستسن، إيران، ص ٢٨١.

(٢) الثعالبي، غرر، ص ٥٧٥.

(٣) إيران، ص ٢٨٢.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ١٤٢.

(٥) الجاف، حسن: موسوعة تاريخ إيران السياسي من التاريخ الأسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية، الدار العربية للموسوعات، ط ١، بغداد، ٢٠٠٧م، ج ١، ص ١٠٢.

(٦) جليليان، شهرام: تاريخ تحولات سياسي ساسانيان، سازمان مطالعة وتدوين كتب علوم انساني دانشگاه ها سمت، سمت، تهران، ١٣٩٧، ص ٣١٥.

بدفع ضريبة سنوية للهياطلة الذين بدأوا يتدخلون في شؤون الدولة الساسانية بشكل غير مباشر ومباشر في أحيان أخرى.

وهذا ما ظهر بشكل جلي عندما أراد قباد بعد وفاة فيروز أن ينصب نفسه ملكاً على الدولة الساسانية، ويخلع أخيه بلاش (٤٨٣-٤٨٧م) إلا أنه فشل في تحقيق ما سعى إليه^(١)، ولم يجد أمامه منفذاً سوى من عاش في بلاطهم رهينة لسنتين، فتوجه شطر الهياطلة وطلب قباد من خاقان الهياطلة أن يساعده في تولي عرش أبيه والذي سيطر عليه بلاش، وبقي في بلاط ملك الهياطلة اخشنوار أربع سنوات، إلى أن عُزل بلاش بمؤامرة من رجالات الدولة وعلى رأسهم زرمهر وسُملت عيناه وعُين قباد (٤٨٨-٥٣١م) مكانه، والذي لم يتقصد في الواقع شيئاً من أمور البلاد وظل القائد سوخرا يتدبر سياسة المملكة وإدارتها حتى مال الناس إليه دون الملك^(٢).

في الواقع لم يملك قباد شيئاً من أمور السلطة فالقائد "سوخرا" كان قد تدبر شؤون الملك، وأجرى السياسة مجاريها. فأقبل الناس على سوخرا، واتبعوه، وابتعدوا عن حاكمهم الحقيقي قباد. إلا أن الأوضاع لم تبقى على حالها، حيث بدأ التملل يطغى على قباد بسبب استبداد سوخرا بأمور الحكم والسيطرة على أدق تفاصيل الأمور، وكره قباد الحال التي آلت إليها أمور الدولة الساسانية، كإصدار القوانين والأحكام من غير مشاورته، ما أثار حنقه فكتب إلى سابور بن بهرام وكان اصبهيذ السواد يأمره بالقدوم عليه فيمن معه من الجند. فلما قدم عليه، وصف له أمر سوخرا، وشكى إليه استبداده بالأمور من غير مشاورته، واتفق قباد مع سابور على قتل زرمهر^(٣).

غدا سابور على قباد، فوجد سوخرا عنده جالساً، ومشى نحوهما وبيده وهق^(٤)، فاستدار على سوخرا، فوهقه في عنفه، ثم اجتذبه حتى أخرجه من المجلس، فأوثقه بالحديد، وحبسه لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع أمر قباد بقتله. إلا أن مقتل زرمهر لم يحول دون سيطرة رجال الدولة على الحكم، ولم يغير في واقع الحال الشيء الكثير، وهذا ما أكدته الأحداث عندما حاول سابور قاتل زرمهر أن يفلد الأخير في مسلكه، فتسلط وتمسك بأمور الحكم، حتى سرى بين الناس قولاً: "خدمت

(١) العلان، أرواد: فارس وبيزنطة، دار رسلان، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ١٣.

(٢) الثعالبي، غرر، ص ٥٨٣.

(٣) النويري، نهاية، ج ١٥، ص ١٨٦-١٩١.

(٤) الوهق: الحبل المغار يرمي فيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان، والجمع أوهاق، وأوهق الدابة: فعل بها ذلك.

نار سوخرا، وهبت ربح سابور". وبقي هذا القول مثلاً في أفواه الناس لسنين طويلة. فلما مضى من ملك قباد، أقبل مزدك عارضاً ديانته عليه^(١)، وصادف دعوة مزدك حدوث قحط شديد دام لعدة أعوام في الدولة الساسانية، كان قد طال الطبقات العامة في المجتمع الساساني فأهلك أعداداً كبيرة منهم.

تتفق المصادر حول الرواية التي تتحدث عن طريقة هروب قباد من السجن واللجوء إلى ملك الهياطلة حيث تقول الرواية: "أن أختاً لقباد أتت باب الحبس الذي كان فيه قباد، وحاولت الدخول إليه، إلا أن الموكل بحراسته منعها، وتذكر الرواية أن أخت قباد كانت من أجمل نساء الفرس، فطمع حارس الحبس بذلك السبب، وألقى إليها طمعه فيها. فأخبرته أنها عائدة وغير مخالفة أمره في شيء مما يهواه. فأذن لها فدخلت الحبس، وأقامت عند قباد يومها ذلك وليلتها. وتمكنت من إخراجة بحيلة، فقد لقت قباد في بساط من البسط التي كانت معه في الحبس، وحملته على عنق غلام من غلمانها، وقدمته أمامها نحو باب الحبس، حتى إذا أتى به الغلام إلى الباب، قال له الموكل بالباب: ما هذا على عاتقك؟ فأفحم الغلام عن رد الجواب، فقالت المرأة: هذا فراشي الذي كنت أفرشه البارحة في عراكي، أمرت بإخراجه معي ليغسل، فأغتسل أنا أيضاً، وأنتظف، وأعجل الرجعة إليك. فصدقها الرجل لطمعه فيها. فخلّى عن الغلام ومضى بقباد، وأخته على أثره، حتى غابا عن أعينهم. وظل قباد متخفياً عن أبناء قومه فترة، حتى سكت الناس عن طلبه، والسؤال عنه. أما قباد فقد خرج إلى المدائن ليلاً مع خمسة أشخاص ثقة كان من بينهم زرمهر بن سوخرا - سوخرا - الذي قتله سابور بن بهرام بأمر من قباد، وكان زرمهر من أحباء قباد ونصحاء، فسار نحو بلاد الهياطلة وطلب من حاكمها أن يستجيش جنوداً معه إلى الدولة الساسانية، فيحارب أخاه جاماسب، حتى يسترد منه الملك. فكان قباد يسير ليلاً ويتخفى نهاراً. فسار نحو الأهواز ومنها إلى أصبهان، ونزل عند رجل، فنظر إلى ابنة له ذات جمال وعقل، فوقع بقلبه، فقال لزرمهر بن سوخرا: أني قد هويت هذه الجارية ووقع بقلبي. فأت أباه فاطبها لي. تزوج قباد الجارية التي تركها لدى ذويها. وتقول الرواية أن أهل الجارية لم يعلموا عن نسب هذا الرجل - أي قباد - شيئاً حتى أن والد الجارية دار حديث بينه وبين ابنته بعد رحيل قباد عنها فتستطرد الرواية: "قال أبو

(١) الدينوري، الأخبار، ص ١٦٥.

الجارية وأمها للجارية: هل أخبرك الرجل من هو؟ قالت: ما أخبرني بشيء، غير أنني رأيت سراويله من ديباج منسوج بالذهب. فقال أبوها: لا يخلو من أن يكون ملكاً، أو أخا ملك، ولعلنا نرزق منه خيراً كثيراً. سار قباد مع أصحابه الخمسة، نحو هراة ومنها إلى جيلان، حتى دخل بلاد الهياطلة، وأتى ملكها. وأن قباد قال لملك الهياطلة إنني أتيتك لتتجديني، وتعينني على استرجاع ملكي. فأجابه ملك الهياطلة إلى ذلك على أن يسلم إليه الطالقان وحيزها، وكانت على تخوم أرضه. فأجابه قباد إلى ذلك. فوجه ثلاثين ألف فارس من الجنود الهياطلة مع قباد، فانصرف على طريقه إلى أصبهان، وقد ولدت له الجارية ابناً جميلاً بهياً، وهو كسرى بن قباد الذي يعرف بأنوشيروان الذي ملك بعد أبيه. فرح قباد بالغلام فرحاً شديداً، وعلم عن طريق زرمهر الذي أخبره أهل مدينة أصبهان أن الشيخ والد الجارية يعد من أفاضل بيوتات الشرف. فسار قباد وأخرج الجارية وابنه مكرمين قرب المدائن. فتلاومت عظماء أهل المملكة فيما كان منهم إلى قباد، وقالوا: إنا خلعناه من غير أن يصح عليه ما اتهمناه به، فرضى عنهم، وصفح عن أخيه جاماسب^(١).

تنتهي تفاصيل الرواية التي أجمعت عليها المصادر هنا، وبكل الأحوال فإن عودة قباد إلى العرش كانت عودة منقوصة السيادة والحرية، وبمعنى آخر كانت سيادة مشروطة، فالسيادة تعني سيطرة الدولة الحامية على مناطق حدودية هامة تقع على أطراف الدولة الساسانية، والسيادة تعني جزية كبيرة كان على الدولة الساسانية أن تواظب على دفعها في ظل ما تعانيه الدولة الساسانية من قحط شديد، وأزمة اقتصادية خانقة نتيجة سيطرة كبار رجال الدولة والأشراف على مقاليد الأمور، وهذا ما جعل الدولة الساسانية في مأزق حقيقي.

ولقد ترجمت الأحداث هذا الكلام على أرض الواقع فقد طالب قباد الدولة البيزنطية العمل على دفع مستحققاتها في الاتفاقيات التي عقدت بين الجانبين حتى تستطيع الدولة الساسانية دفع الجزية المفروضة عليها للهياطلة، وإلا فإن خطر الهياطلة وهجماتهم على الحدود ستقتض مضاجع قباد وأتباعه، وهذا ما لم تكن الدولة الساسانية قادرة على تحمل أعباءه - أقل ما يقال - في تلك الفترة الراهنة والمؤقتة.

(١) مسكويه، تجارب، ج ١، ص ١٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٨. النويري، نهاية، ج ١٥، ص ١٨٦-١٩١.

إذاً، اضطر قباد بسبب خلو الخزانة من المال إلى طلب المساعدة من امبراطور بيزنطة من أجل دفع الجزية لملك الهياطلة الذي ساعده للوصول للسلطة^(١)، ولكن أناستاسيوس الذي علم أن قباد مضطر لدفع الجزية رفض طلبه على أمل أن يستعيد نصيبين، معللاً رفضه بحجة أن الساسانيين لم يطالبوا بذلك الحق منذ وقت طويل وأن مرور الوقت يفقدتهم حقهم في المطالبة بالجزية. ما دعى قباد للهجوم على الأراضي البيزنطية^(٢).

وبسبب الموقف السلبي لبيزنطة تجاه الدولة الساسانية لم يكن أمام قباد من حل سوى نقض معاهدة الصلح^(٣) التي وقعت منذ عام ٤٤٢م وهاجم بمساعدة الهياطلة عام ٥٠٢م أرمينيا البيزنطية^(٤)، واستولى على عاصمتها ثيودوسيوبوليس^(٥) دون أية صعوبة تذكر، ويعود السبب في ذلك إلى حاكمها المسمى قسطنطين الذي انحاز لصالح الساسانيين، وسيطر على آمد^(٦) سنة ٥٠٣م^(٧).

إلا أن الأمور لم تجري على أكمل وجه، فقباز الذي أحكم سيطرته على آمد وأعلن نفسه منتصراً فيها، سرعان ما اضطر إلى مغادرتها مع حشد من جيوشه وأبقى فيها حامية تقدر بـ (١٠٠٠) جندي بعدما تسرب إلى مسامعه نبأ انسياح جموع من الهياطلة عبر ممرات القفقاس ومهاجمتهم لشمال شرق بلاد فارس (خراسان)، لم توفر بيزنطة فرصة إلا واستثمرتها عندما علمت بالمشاكل

(١) فرای، تاریخ باستانی ایران، ص ٥١٥.

(٢) شپیمان، مبانى تاریخ ساسانیان، ص ٥٥.

(٣) وقعت المعاهدة بين يزدجرد الثاني وثيودوسيوس الثاني أهم بنودها: ضمان حماية الحدود من خلال تعهد البيزنطيين بالإسهام في دفع تكاليف الحماية الساسانية، امتناع الطرفين عن بناء القلاع في المناطق المجاورة لحدودهما. نولدكه، تاریخ ایران، ص ١٤٧ هامش رقم ١.

(٤) فرای، تاریخ، ص ٥١٦.

(٥) ثيودوسيوبوليس (ارضروم): يسميها العرب أرزن الروم من مدن ارمينيا وهي غير مدينة أرزن التي تقع بالقرب من خلاط قل عنها ٣٨٥. أبو الفداء، تقويم، ص ٢٨٥.

(٦) ديار بكر الحالية تقع غربي نهر دجلة. الحميري، الروض، ص ٣.

(٧) Procopius. History, P.134.

التي تواجه قباد في الحدود الشرقية، وهذا ما أكده سير الأحداث، حيث عقدت بيزنطة العزم على استرداد آمد وجهاز جيشاً كبيراً للاستيلاء عليها عام ٥٠٤م وبدأوا بمحاصرتهم لها^(١). لم يكن أمام الملك قباد الذي أدرك صعوبة القتال على جبهتين والذي وجد نفسه في ظروف لا تسمح له بإشغال الجبهتين (الشرقية والغربية) سوى التفاوض ، وهذا ما حصل، فقد أرسل قباد سفارته إلى بيزنطة للتفاوض من أجل عقد الصلح، وجد البيزنطيين في قبول الصلح مع قباد فرصة مواتية للتخلص من المشاكل التي لحقت بهم من الحصار بسبب برودة الجو وقسوة ظروف القتال، وعلى هذا الأساس تم إقرار الصلح بين الطرفين سنة ٥٠٦م^(٢). واستمر الصلح حتى وفاة أناستاسيوس (٥١٨م) خلال هذه المدة استفاد قباد من المهادنة وعمل على الحد من ضغط الهياطة واستمر معهم في حرب طاحنة دامت عشر سنين أسفرت عن دحرهم وتشتيت شملهم في عام ٥١٢م^(٣).

٢-حروب قباد ضد الخزر

الخزر شعوب من أصول تركية عاشت في أواسط آسيا، ثم قدمت في فترة مبكرة غير محددة إلى شرق أوربا على محاذة الطريق البري المار شمال بحر قزوين، واستقر الخزر حول بحر قزوين ومناطق جبل القوقاز وامتد سلطانهم من بحر قزوين ونهر الفولغا إلى نهر الدنيبر، وعاصمتهم بلاندشار Balandshar استراخان الحالية في روسيا، كما شمل نفوذ الخزر جزءاً كبيراً من جنوب روسيا وامتدت أراضيهم إلى الغرب الأوروبي^(٤).

أما فيما يختص بأصلهم فأن فجر تاريخ الخزر يكتفه الغموض، خاصة فيما يتصل ببداية ظهورهم ووصفهم الأثروبولوجي. فقد أجمع المؤرخون المسلمون على أن الخزر أتراك من ولد يافت بن نوح، ويورد هؤلاء المؤرخون تصنيفاً أنثروبولوجياً لشجرة نسب أولاد نوح (سام وحام ويافت) ومما

(١) يارشاطر، تاريخ إيران، مج ٣، ص ٢٤٩.

(٢) زرين كوب، تاريخ سياسى ساسانيان، ص ٧٤.

(٣) سايكس، تاريخ إيران، ج ١، ص ٦٠٩. بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٢٥٤. بياني، كليات تاريخ، ص ٥٥.

(٤) Durant, W, The Story of Civilization, The Age of Faith, New York, 1950, Vol. Iv, p.446.

تفرع منهم في الأماكن التي استقروا بها، فقد خصوا يافث بشعوب الترك والخزر والصقالبة^(١) وغيرهم، وكانت منازلهم أرض الروم^(٢).

لم تتحدث المصادر بشكل مستفيض عن غزوات متكررة قام بها الملك الساساني قباد ضد الخزر، ولكن كل ما يمكن قوله أنه خلال حكم قباد خرجت قبائل الخزر فأغارت على بلاده حتى بلغت الدينور^(٣)، فأرسل إليهم قائداً من خيرة قواده على رأس جيش بلغ مقداره اثني عشرة ألف مقاتل فوصل بلاد أران^(٤) وفتح ما بين الشروان^(٥) ونهر الرس^(٦).

ثم أن قباد قام بنفسه بحملة على قبائل الخزر البربرية التي كانت كثيراً ما تجتاح المنطقة الواقعة بين القوقاز ووادي كر، وتمكن من هزيمتهم بسهولة في أول صدام بينه وبينهم وقتل^(٧) عدد كبير منهم واستولى على غنائم كثيرة^(٨). ولا شك أن الخزر آنذاك سببوا للفرس قلقاً عظيماً حتى أن

(١) الصقالبة: تسمية الصقالبة Slves أطلقها الجغرافيون العرب على عدد من الشعوب المنحدرة من أصول شتى، كانت تنزل الأراضي المجاورة لبلاد الخزر بين القسطنطينية وأرض البلغار، ومنهم من سكن شمال القارة الأوروبية وعلى ضفاف نهر الفولغا. عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢٤.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٢٦. الدينوري، الأخبار، ص ٣٤. اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ٩-١٢. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٤٦.

(٣) الدينور: من أهم مدن همذان، يرجع تأسيسها إلى فترة سابقة للإسلام، وهي الآن خرائب وأطلال ترتفع ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر. دائرة المعارف الإسلامية، ج ٩، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) أران: أران والران واحد، وهي ولاية واسعة من نواحي أرمينية. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٣.

(٥) شروان، مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدريند. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٦) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، ط ١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٧) بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٣٥٤.

(٨) Sykes, History of Persia, Vol, I, p. 441.

أن قباد اهتم بتحسين حدوده الشمالية فأقام حائطاً دفاعياً وعدة قلاع قوية محصنة^(١) فبنى بأرآن مَدِينَةَ البيلقان ومدينة بردعة.

ثم بنى سدّ اللّبن^(٢) في ما بين شروان واللّان^(٣)، وبنى على سدّ اللّبن ثلاثمائة وستين مدينة، مدينة، تهدمت بعد بناء باب الأبواب^(٤) ليقى نفسه من شر غزوات الخزر وغيرهم الأمر الذي يدل يدل على أن العلاقات بين الفرس والخزر في عهد قباد كانت عدائية.

ثانياً: على الجبهة الغربية

١-أرمينيا

أ- موقع أرمينيا الجغرافي

إقليم جبلي غير ساحلي تقع في القوقاز، عند ملتقى غرب آسيا وشرق أوروبا، تمتد منخفضة بالتدرج من الغرب إلى الجنوب، وتخترقها عدة سلاسل جبلية^(٥). يحيط بها مما يلي الشرق الجبال والديلم وغربي بحر الخزر، ومما يلي الغرب حدود الارمن واللان (آسيا الصغرى)، ومما يلي

(١) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م): مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص ٣٨٧. عطا، زبيدة: الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، بيروت د.ت، ص ١٣.

(٢) سدّ اللّبن: بناء قباد بن فيروز، وقيل إن الذي بناه ابنه كسرى ابن قباد بن فيروز. وهذا السدّ من أرض شروان إلى بلاد اللّان، وبينهما مائة فرسخ، بين شعاب جبل القبق. وهو جبل عظيم قد اشتمل على اثنتين وسبعين أمة، لكل أمة لسان وملك، لا يعرف بعضهم بعضاً لكثرة غياضه وأشجاره؛ وفيه عيون وأنهار؛ وتقدير مسافته طولا وعرضا نحو شهرين. ومبدأ السور من جوف بحر الخزر على مقدار مسافة ميل ماراً إلى البرّ، ثم يمرّ إلى أن يتصل بقلعة طبر شروان. وجعل بين كل ثلاثة أميال من السور وأقل وأكثر باباً من الحديد على حسب الطريق التي تجعل من أجله، وبنى عليه حصناً وأسكن فيه من يحفظ ذلك الباب ويحرسه. وزعم المؤرخون أن سبب بنائه لهذا السور أن الخزر كانت تغير على بلد فارس إلى أن تبلغ همذان والموصل، فحجزهم بهذا السور. النويري، نهاية، ج ١، ص ٣٧٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٨.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٦١.

(٥) البستاني، بطرس: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، مادة أرمينية، ج ٣، ص ٢٣١.

الشمال جبال القبق (جبال القفقاس)^(١)، ومما يلي الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة (ارض الجزيرة الفراتية).^(٢) نعمت أرمينيا بازدهار اقتصادي كبير ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى خصوبة أراضيها، وثراء باطنها، ووفرة الأنهار والبحيرات فيها، فقد تأثرت أرمينيا بمجموعة تضاريسها ومياهها، انقسمت أرضها إلى عدد من الأحواض التي تفصل بعضها عن بعض جبال مرتفعة يتعدى ارتفاع بعضها الخمسة آلاف من الأمتار، ويعد جبل أرارات أعلى جبالها إذ يبلغ ارتفاعه ٥١٦٥ متراً^(٣). ومناخ أرمينيا قارص بشكل عام، وذلك لارتفاع سطحها، وهو يناقض تماماً المناخ الدافئ لحوض نهر الفرات الأسفل والمناخ المعتدل للأقاليم الواقعة على شواطئ البحر الأسود. ويستمر الشتاء طيلة ثمانية أشهر كاملة على هذه الهضاب حيث تهب عليها الرياح الآتية من القوقاز أو سهوب القزوين. وبفعل الثلوج كانت مجار المياه والبحيرات تتجمد في فصل الشتاء لدرجة أن نهر الفرات لم يسلم من هذا التجمد، كذلك كان حال بحيرة وان^(٤) Van وبحيرة سيفان^(٥) Sevan. تضم أرمينيا ثلاث بحيرات وهم: بحيرة سيفان، والتي تقع في الشمال ويصب فيها ٢٨ نهراً. والبحيرة الثانية البحيرة الأرمينية الجنوبية ذات المياه المالحة، والبحيرة الثالثة هي بحيرة أرومية وهي البحيرة الجنوبية الشرقية ومياهها مالحة جداً^(٦). بالإضافة لذلك تعد أرمينيا بلاد الأنهار

(١) جبال القفقاس: وتسمى جبل القبق أو القيتق أو جبل الألسن لأن فيه أمماً لغاتهم مختلفة، تقع إلى الشمال من إقليم أرمينيا؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص ١٨١-١٩٢. ابن حوقل، صورة، ج ٢، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) الاصطخري، مسالك، ص ١٨٠-١٨١.

(٣) اسكندر، فايز نجيب: مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى، الاسكندرية، ١٩٨٠م، ص ٧١، حاشية ٣.

(٤) بحيرة وان Van هي نفسها بحيرة بزنونى Bznune، وتسمى في المصادر الإسلامية بحيرة أرجيش تارة، وبحيرة الطريخ تارة أخرى، وبحيرة خلاط تارة ثالثة، تقع جنوب غرب أرمينية، وتبلغ مساحتها ٣٧٠٠ كم^٢، تتميز بمياهها المالحة وتحوي جزيرة أختمار المشهورة تاريخياً، والتي تضم مملكة الفاسبوراكين في العصور الوسطى.

Grouset, Histoire de L Armenie Des Origines a 1071 , Paris, 1973, P. 14.

(٥) بحيرة سيفان أو سيوان أو جعام أو جوكشاي تتركز أي البحيرة الزرقاء باللغة التركية، وتقع شمال تركيا. وتتميز بأن مياهها عذبة، عكس بحيرة وان ذات المياه المالحة. تبلغ مساحتها ١٤١٥ كم^٢. وترتفع عن سطح البحر نحو ستة آلاف قدم. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٣٨٠.

(٦) العلان، السياسة، ص ٨٣.

الأنهار العظيمة، وأهمها التوأمان الكبيران دجلة والفرات. وهناك أيضاً نهر الكر^(١) (كيروس) ونهر الرس^(٢) (اركسيس) اللذان يتحدان ويصبان في بحر قزوين. يعد مناخ أرمينيا قارياً، بسبب ارتفاعها عن سطح البحر، إلا أنه شديد البرودة في الشتاء مما يضيف على سكان هذا الإقليم طابعاً خاصاً يجعلهم أشداء، وأفوياء، وهذه هي الصفة الغالبة على طبيعة أبناء الجبل^(٣).

ب- الأهمية الاستراتيجية لأرمينيا

شكلت أرمينيا دوراً اقتصادياً هاماً باعتبارها نقطة عبور هامة بين الشرق والغرب، كما تميزت بالعديد من المقومات الاقتصادية الهامة في مجالات عدة كالزراعة والصناعة والتجارة.

للزراعة في أرمينيا مساحة واسعة من الاقتصاد الوطني حيث امتدت فيها الحقول والسهول كسهل أرارات الشهير، واشتهرت بزراعة الخضروات والكروم والأشجار المثمرة بالإضافة إلى الحبوب كالقمح والشعير، ومما ساعد على ازدهار الزراعة توزع الأنهار والبحيرات في أراضيها، وتعد بحيرات وان وأرجيش وسيفان من أشهر البحيرات غنى بالثروة السمكية^(٤).

تمتعت أرمينيا **بالثروات الباطنية** ويعد إقليم أرمينيا من أغنى أقاليم آسيا بالثروة المعدنية، فقد انتشرت مناجم الحديد والذهب والنحاس والفضة، كما استخرج الملح والأحجار الكريمة من أراضيها. وكان من الطبيعي أن تزدهر الصناعات المتنوعة كالنسيج والصوف وصناعة الأسلحة التي اشتهروا بها وتاجروا بمنتجاتهم وأوصلوها إلى أصقاع الأرض مستفيدين من الموقع الاستراتيجي الهام الذي يصل بين الغرب والشرق^(٥).

(١) نهر الكر: ينبع من جرزان (في جورجيا الحالية) من الجهة الغربية لمدينة تفليس، يتجه شرقاً ويلتقي مع نهر الرس بعد أن يقطع مسافة ٩٤٠ كم.

Crousset, Histoire de , p.234.

(٢) نهر الرس: ينبع من جبال بنكول داغ في غرب أرمينية، يتجه شرقاً حيث يلتقي مع نهر الكر ويصب في عدة أنهار مثل أران، ويصب في بحر الخزر بعد أن يكون قد قطع مسافة ٥٥٠ ميلاً.

خطاب، محمود شيث: أرمينية بلاد الروم، دار قتيبة، ط٤، دمشق، ١٩٩٠م، ص ١٤-١٥.

(٣) العلان، السياسة، ص ٨٤.

(٤) ابن حوقل، صورة، ص ٢٢٩.

(٥) Crousset, Histoire de , p. 234.

مثلت أرمينيا عقدة طرق تجارية هامة، فالطرق التجارية تمر عبرها من البحر الأسود إلى بحر قزوين والجزيرة وإيران، ويعد طرابزون على البحر الأسود من أهم المراكز التجارية لأرمينيا، وكذلك أرتانوج في (جورجيا الحالية)، والتي كانت تقع عند ملتقى الطرق التجارية بين طرابزون وأرمينيا وبيزنطة ومدن القفقاس الشمالية.

وكانت دوين^(١) أيضاً من المراكز التجارية الهامة، فقد شكلت نقطة التقاء للبضاعة والمنتجات التجارية القادمة من الامبراطورية البيزنطية وفارس والهند^(٢).

إن الناظر إلى جغرافية هذه البلاد وما تمتلكه من ثروات وإمكانات اقتصادية كبيرة، يدرك تماماً حجم الأطماع الخارجية للدول الكبرى التي حاولت النيل منها، وكان لا بد لمثل هذا الإقليم أن يقع ضحية للصراع بين الامبراطوريات العظيمة، مما جعل أرمينيا عرضة للاعتداء عليها بشكل دائم وسلبها لحريتها على مدى تلك الحقبة.

ج- السياسة الساسانية وأرمينيا قبل عهد قباذ

لم تكن الحروب بين الامبراطوريات العظيمة القديمة والتي مثلتها الإمبراطورية البيزنطية والدولة الساسانية حول أرمينيا حديثة العهد، فقد تمثل الصراع بين فارس وروما حول أرمينية منذ عهد الأسرات الفارسية السابقة التي سيطرت على فارس قبل الساسانيين، وكذلك الحال بالنسبة للبيزنطيين أبناء روما التي انقسمت لغربية وشرقية ومثلتها بيزنطة في الشرق. ولم يكن الصراع هذا حديث نشأة في الدولة الساسانية - أي أنه سبق ولاية قباذ للعرش - وشكل صراع الساسانيين مع أباطرة بيزنطة على أرمينيا إحدى محاور السياسة الخارجية الساسانية. لذا، كان لا بد من العودة

(١) دوين Dwin : في المصادر الأرمنية "ديبل" في المصادر الإسلامية، وهي مدينة في أرمينية تتاخم أران . اتخذها المسلمون مقراً لحكم أرمينيا، وكان من نتيجة ذلك تأثر سكانها الأرمن بالعادات والتقاليد والأخلاق الإسلامية. البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج ٢، ص ٥١٤. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩١٥م، ج ٤، ص ٣٥٣.

(٢) العبد الغني، عبد الرحمن: أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط ١، الكويت، ١٩٨٩م، ص ٢٦.

لطبيعة الصراع بين الساسانيين والبيزنطيين على أرمينيا قبيل عهد قباد، حتى يتم استدراك وفهم مجرى الأحداث التي حصلت في عهد قباد، فالسياسة حلقة متواصلة مستمرة تحكمها العلاقات والمهادنات والمناوشات وحالات سلم وحرب تتأثر بعوامل داخلية وأخرى خارجية لذا لا يمكن فصل عهد ملك ساساني عن ما سبقه من ملوك.

ففي عهد الملك يزدجرد الثاني انشغلت الامبراطورية البيزنطية بمشاكلها الداخلية عقب وفاة الامبراطور ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٥٠م، وعلى الصعيد الخارجي كانت تواجه خطر القوط الغربيين، وهذا ما جعلها تغض النظر عن أرمينيا التي كانت تسعى جاهدة - أي بيزنطة - لأن تضعها تحت حمايتها وسيطرتها مستغلة الرابط الديني الذي يجمع بينهما. الأمر الذي دفع يزدجرد الثاني لاستغلال الظروف التي وجدها موالية في السعي لفصلها عن بيزنطة من خلال التضييق على أرمينيا وإجبار أهلها على اتباع الزرادشتية ونبد المسيحية، فوجه جيشه إليها في سنة ٤٥١م وتمكن من الانتصار عليهم في معركة عرفت بمعركة اواراير (Auarair)^(١) كانت أبرز نتائجها أن أصبحت الزرادشتية الدين الرسمي في البلاد حتى مطلع عام ٤٨٤م عندما ألغاه الملك الساساني بلاش (٤٨٨-٤٨٨م)^(٢) فقد تمرد الأرمن في عهد الملك الساساني فيروز (٤٥٩-٤٨٤م) ولم يتمكن فيروز من إخماد تمردهم، وعندما تولى العرش بلاش رأى أنه من مصلحته إنهاء هذا التمرد بحل سلمي فعقد مع قائدهم فاهان ماميكونيان (Vahan Mamikonian) سنة ٤٨٤م معاهدة سلام كان أهم بنودها^(٣):

١- أن يكون الدين المسيحي هو الدين الرسمي لأرمينيا.

٢- تخريب جميع المعابد الزرادشتية في أرمينيا.

(١) إقليم أواراير: أو إقليم آراتز على نهر دغموت بمنطقة ماكوني الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية من إيران حالياً. حافظ، فؤاد حسن: تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٧٠.

(٢) الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، ص ١٣٧.

(٣) يار شاطر، تاريخ ايران، مج ٣، ص ٢٤٨.

واتفق الطرفان على استبدال المرزبان (الحاكم) الساساني بأمرير أرمني مع منحه لقب مرزبان، فتولى واهان ماميكونيان عرش أرمينيا (٤٨٤-٥٠٥م)^(١).
يمكن القول أن طابع السلام والمهادنة بين الدولتين الساسانية والبيزنطية كان قد طغى على طبيعة العلاقات بين فارس وبيزنطة منذ عهد الملك فيروز، وبقي الوضع على حاله حتى اعتلاء قباد، إذ سعت كل من الدولتين لتثبيت دعائم الحكم في الداخل، وتقوية دفاعاتها وحصونها تحسباً من أي عدوان خارجي، فالإمبراطورية البيزنطية عانت من الخلافات والانقسامات الداخلية الدينية، وعانت خارجياً من هجمات القبائل الجرمانية والتي كانت من أبرز نتائجها تداعي وحدتها مع سقوط روما في سنة ٤٧٦م على يد البرابرة الجرمان الذين أقاموا ممالك جرمانية^(٢) حاكمة على أنقاض أعظم الإمبراطوريات في التاريخ القديم.

د- الصراع الساساني-البيزنطي في أرمينيا خلال حكم قباد

بعد مقتل فيروز في حروبه ضد الهياطلة^(٣) حدث نزاع على العرش بين قباد وبلاش الذي استطاع انتزاع الحكم والسيطرة على مقاليد الأمور، مما دفع قباد للالتجاء إلى خاقان^(٤) الهياطلة ليطالب مساعدته في تولي عرش الدولة الساسانية، وبقي في بلاط اخشوار ملك الهياطلة أربع سنوات^(٥) إلى أن قام رجال الدين وعظماء الدولة الساسانية بخلع بلاش عن العرش سنة ٤٨٨م^(١)،

(١) أبو مغلي، إيران، ص ١٥٥.

(٢) استطاع الجرمان بعد القضاء على وحدة روما القيام بتشكيل ممالك جرمانية عدة كان منها مملكة القوط الغربيين في جنوب فرنسا وأسبانيا، والوندال في إفريقيا، والفرنجة ودولة البرجنديين على الضفة الغربية لنهر الراين الأدنى . دوسن، كرستوفر: تكوين أوروبا، تر: محمد زادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٠٩.

(٣) نزاع فيروز مع الهياطلة الذي كلفه حياته، لم ينته عند هذه النتيجة وحسب بل أخضع الدولة الساسانية بصورة غير مباشرة لقبائل الهون ولمدة نصف قرن تقريباً، إذ ألزموا الدولة الساسانية بدفع ضريبة سنوية، وأخذوا يتدخلون في شؤونها الداخلية وتحديداً في النزاعات بين المطالبين للعرش. ابن البطريق، سعيد افتيشويس: كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥م، ج ١، ص ١٩٠.

(٤) خاقان: هو ملك الترك الأعظم. ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج ١، ص ١٧٧.

(٥) مسكوية، تجارب، ج ١، ص ١٢٣.

وكان قباذ حليف الهياطلة المرشح الأقوى للعرش الساساني، وهذا ما تم بالفعل، بتقلد قباذ لأمر السلطة في عام ٤٨٨م، إلا أنه لم يمضِ عشر سنوات على حكمه حتى تأمر عليه رجالات البلاط الساساني وعظماء الدولة وعزلوه عن الحكم وسجنوه^(١)، ونصبوا أخوه جاماسب^(٢) ولكن قباذ تمكن من الهروب من حبسه^(٣) والالتجاء للمرة الثانية إلى ملك الهياطلة فأمر له بجيش لاستعادة ملكه بعد أن تعهد قباذ بزيادة الجزية التي كانت تدفعها الدولة الساسانية له مقابل تلك المساعدة. وتمكن الملك الطريد نحو عام ٤٩٨م من دخول عاصمته ملكه بطريقة سلمية، وتختلف الروايات حول معاملة قباذ لأخيه جاماسب، فيما إذا كان قتله أو نفاه أو سجنه^(٤).

على أية حال، كان على قباذ أن يدفع الجزية التي تعهد بتقديمها للهياطلة، ولأن الدولة الساسانية كانت تمر بضائقة اقتصادية بعد مرحلة من القحط الشديد الذي رافق حكم فيروز، ما جعل الخزينة في الدولة غير قادرة على دفع الضريبة، فأمر قباذ طالب الامبراطور البيزنطي أنستاسيوس الأول بدفع المستحقات التي تعهدت الدولة البيزنطية بسدادها منذ عهد الملك يزدجرد

(١) كريستنسن، إيران، ص ٢٨٢.

(٢) لم تكن الأوضاع الداخلية في الدولة الساسانية تبشر بالأفضل فالصراع الطبقي وتضييق رجال الدين والدولة الدائرة على قباذ دفعاه لتبني دعوة مزدك (الذي تم الحديث عنه وعن حركته بشكل مفصل سابقاً) هذه الدعوة المزدكية التي نادى بشيوعية النساء والأموال. للاطلاع أكثر:

الطوسي، سياست نامه، ص ٢٣٠-٢٤٥.

(٣) اختلفت المصادر التاريخية حول مدة حكمه، ففي الوقت الذي أشارت فيه الكثير من المصادر على تولى العرش دون تحديد مدة ولايته مثل: الأصفهاني، تاريخ سني، ص ٤٤. المستوفي، تاريخ كزيدة، ص ١١٦. وغيرها العديد من المصادر، فإن مصادر أخرى تحدد مدة حكمه بست سنوات مثل: الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤١٩. مسكويه، تجارب، ج ١، ص ١٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٢٦٧. واستناداً إلى مصادر القسم الثاني من المؤرخين فإن جاماسب يكون قد حكم من (٤٩٦-٥٠٢م) وينفرد المسعودي بتحديد مدة حكمه بسنتين أي (٤٩٨-٤٩٩) مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٨. وهو الرأي المتفق عليه من قبل أغلب المؤرخين الحديثين. زرين كوب، تاريخ إيران، ص ٤٦٨. يار شاطر، تاريخ إيران، مج ٣، ق ١، ص ٢٤٩.

(٤) العابد، معالم، ص ٥٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٩.

الثاني لقاء حماية الدولة الساسانية لممرات القفقاس^(١). ولكن بيزنطة التي اعتقدت أنها لو تأخرت أو رفضت الدفع فإن علاقات قباد بالهياطة ستسير نحو الاسوأ، رفضت دفع المستحقات المتأخرة^(٢)، إزاء الرفض البيزنطي^(٣) شرع قباد بنقض معاهدة الصلح التي انعقدت عام ٤٤٢م وهاجم بمساعدة الهياطة أرمينيا البيزنطية عام ٥٠٢م واستولى على عاصمتها ثيودوسيوبوليس. ومنها توجه نحو الجزيرة الفراتية^(٤) وانتهت الحروب على تلك الجبهة بتوقيع معاهد صلح عام ٥٠٦م بين بيزنطة والدولة الساسانية.

ولكن، مع انتهاء معاهدة الصلح بين بيزنطة والساسانيين سنة ٥٠٦م كانت قد ظهرت على واجهة الأحداث عدة عوامل أتاحت لتوقعات القيام بالحرب بين الطرفين رصيماً كبيراً جداً، ويمكن ذكر العديد من هذه العوامل التي صعدت من سمة التوتر في العلاقات بين الجانبين أبرزها: تلك وتأخر الامبراطور البيزنطي جوستين الأول (Justin I) (٥١٨-٥٢٧م) الذي تسلم العرش بعد وفاة الامبراطور انستاسيوس الأول سنة ٥١٨م عن دفع الجزية التي كان متفق عليها في عام ٥٠٦م كمساهمة من بيزنطة في دفع تكاليف الحامية الساسانية التي ستقوم بحماية معابر القفقاس^(٥).

(١) سايكس، تاريخ إيران، ج ١، ص ٦٠٧.

(٢) Procopius. History, P.138.

(٣) في العودة قليلاً إلى تاريخ العلاقات بين الدولتين يتبين أن الدولة البيزنطية كانت قد امتنعت عن دفع ما يترتب عليها من مستحقات للدولة الساسانية منذ وفاة يزجرد الثاني سنة ٤٥٧م وحتى سنة ٥٠٢م عندما تجددت الحرب بين الطرفين لنفس السبب، ومن دون أدنى شك كان للتصدع الذي أصاب البيت الداخلي الساساني والوضع المتأزم الذي عاشته الدولة الساسانية خلال تلك الفترة والمتمثل بصراع الأخوين هرمز الثالث وفيروز ثم صراع الأخير مع الهياطة ونتائج ذلك الصراع، جعل الدولة الساسانية أضعف من أن تتخذ قرار جريء في شن حرب على الامبراطورية البيزنطية التي لم تعد تقيم وزن ثقيل للساسانيين، وهذا ما دفع أنستاسيوس لتبرير عدم دفع بيزنطة لمستحقاتها، فالساسانيين لم يطالب بهذا الحق في وقته وبالتالي فإن مرور الوقت يفقد هذا الحق. سايكس، تاريخ إيران، ص ٦٠٧.

(٤) شير، تاريخ كلدو وآشور، ج ٢، ص ١٦٢.

(٥) زرين كوب، تاريخ إيران، ص ٤٦٩.

وإذا عدنا إلى العوامل التي أدت إلى توتر العلاقات بين الدولة البيزنطية والدولة الساسانية وإشعال نيران الحرب بينهما يجد البحث أيضاً أن التحول الجذري الذي طرأ على سياسة الملك قباد تجاه المزدكية كان لها الدور الأكبر في تفاقم الأحداث، فالملك الساساني كان قد بدأ في التوصل من تأييده لهم وأخذ يتحين الفرص للقضاء عليهم، وهذا ما ظهر جلياً في مسألة وراثة العرش التي أثرت في سنة ٥١٩م، إذ رغب قباد أن يمنح ولاية العهد لابنه الأصغر كسرى أنوشروان الذي كان على عداوة مع المزدكية وأتباعها، مفضلاً كسرى على ابنه الأكبر (كاووس) ذو النزعة المزدكية^(١). وحتى يضمن تحقيق ما يطمح إليه فقد عقد صلحاً مع الامبراطور جوستين وحذا حذو بيزنطة في إحدى السوابق التي ظهرت في العلاقات بين الدولتين - أي عندما طلب الامبراطور البيزنطي أركاديوس من الملك الساساني يزدجرد الأول أن يقوم بتبني ابنه ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠ م)^(٢)، وهذا ما دعا قباد لإرسال رسالة إلى الامبراطور جوستين الأول سنة ٥٢٠م يعرض عليه التفاوض لعقد صلح دائم بين الطرفين بشرط قبوله تبني ولده كسرى، ومما جاء في تلك الرسالة " ... أريد منك طلب ، موافقتك عليه لا تكون سبباً في حفظ علاقات الصداقة بيني وبينك فحسب، وإنما في ظله تنعم الدولتان بالصلح والهدوء، وطلبي هو أن توافق على تبني ابني خسرو"^(٣)، وهذا يعني بطريقة أو بأخرى التزام بيزنطة بالدفاع عن قضية كسرى وتبنيها في وجه منافسيه.

كان على جوستين الأول أن يفكر ملياً قبل قبول أو رفض ذلك العرض، فالساسانيين بالنسبة لبيزنطة العدو التقليدي الذي لا يمكن أن يؤمن جانبه تحت أي دافع، وهذا ما فطن له مستشار الامبراطور جوستين ويدعى بروكلس (Proclus) الذي رأى بأن قبول التبني يعني تسليم الدولة البيزنطية للساسانيين، وبما أن القانون المتعارف عليه يقوم على أساس أن الأبناء يرثون الآباء فالغاية من هذا التبني هو أن يكون كسرى ولياً للعهد لدى الساسانيين ووريثاً للإمبراطور البيزنطي، وأقنع بروكلس الامبراطور جوستين بقبول عرض الملك قباد بشرط أن يتم ذلك التبني على الطريقة

(١) كريستنسن، إيران، ص ٣٤٠.

(٢) جيبون، أدوارد: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، تر: محمد علي أبو دره، مر: أحمد نحيب هاشم، مطبعة الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩م، ص ٢٤٣.

(٣) Procopius. History, P.139.

البربرية^(١)، يبدو أن نصيحة بروكلوس كانت قد فعلت فعلها في نفس جوستين الذي وافق على هذا الاقتراح وأرسل لقباد رسالة جاء فيها " .. لا مانع لدي من أن أتخذ خسرو ولدًا بشرط أن أريه تربية تليق بالبرابرة "^(٢) الأمر الذي أثار حفيظة قباد وغضبه واعتبر أن الرد المرسل بمثابة إهانة له، قطع قباد المفاوضات مع بيزنطة وحكم على سياوش^(٣) بالقتل وبدأ يتحين الفرصة المناسبة لإعلان الحرب ضد بيزنطة، إلا أن الجو السياسي العام لم يكن على ما يرام لفرض حرب ساسانية على بيزنطة، ما اضطر قباد لتأجيل التفكير في حروبه ضد بيزنطة إلى إشعار آخر بسبب ثورة أهالي ايبيريا عليه^(٤).

في سنة ٥٣٠م وبعد هزائم متتالية للجيش الساسانية أمام القوات البيزنطية، استطاعت الأخيرة أيضاً تحقيق انتصاراً على القوات الساسانية في ثيودوسيوبوليس البيزنطية، ومكنت هذه المعركة البيزنطيين من الاستيلاء على قلعتين هامتين تقعان ضمن حدود أرمينيا الساسانية وهما قلعة بولوم (Bolum) وفارانجيوم (Pharangium) الغنية بمناجم الذهب، وقد استفاد حاكمها سيمون الذي عينه عليها قباد من قبل - أفاد - من العداء الطويل بين الدولتين البيزنطية والساسانية وامتنع عن دفع الضرائب إلى الملك قباد، واعترف بتبعية فارانجيوم لبيزنطة^(٥).

إن القارئ لسياسة الأرمن عبر تاريخ صراع الامبراطوريات الكبرى عليها، يرى بأن السياسة التي كان ينتهجها الأرمن للحفاظ على شخصيتهم قامت على استغلال العناصر المتمردة فيها للعلاقات العدائية بين الدول التي كانت تسيطر عليها بين الحين والآخر، وغالباً ما كانوا يعتمدون على طلب النجدة والاستغاثة من العدو، وفي كثير من الأحيان كان الأعداء يستجيبون لتلك النداءات لظالما ستحقق لهم -إغاثة الشعب الأرمني- رغبتهم الجامحة في السيطرة على أرمينيا، وليس إنقاذها من نير المحتل. وفي المقابل فأن الناظر لتاريخ الدولة الساسانية ولشخصية الملك

(١) الطريقة البربرية: يعني أن يتم هذا التبنى بأخذه بقوة السلاح وليس بوثيقة مكتوبة.

Procopius. History, P.139.

(٢) Procopius. History, P.139.

(٣) سياوش: أقوى عظماء إيران في تلك المرحلة ، وهو الذي كان يتولى المفاوضات مع بيزنطة.

Procopius. History, P.139.

(٤) زرين كوب، تاريخ إيران، ص ٤٦٩.

(٥) زرين كوب، تاريخ إيران، ص ٤٧١.

قباد بالتحديد يدرك تماماً أنه من غير الطبيعي أن يوافق الساسانيون على إبرام الصلح أو حتى الاعتراف بالهزيمة والاستسلام، لقد كانت سياسة هذا الملك على التحالفات من أجل تأكيد أو إثبات أو إعلان سيطرته على منطقة ما أو موقف معين، وكان أسلوب التحالف مع الدول المجاورة والتي تشكل عامل صد قوي وحقيقي أحد أهم السمات في استراتيجية التفكير الساساني وأسس التعامل الخارجي مع الدول المتنافسة إقليمياً، وهذا ما أكدته الأحداث المتلاحقة.

٢- لازيكا

أ- الموقع الجغرافي

وهي المنطقة المعروفة باسم لازيكا للبيزنطيين وباسم لازيستان بالنسبة للفرس تبعاً لقبيلة اللاز الذين هيمنوا في وقت ما على هذه المنطقة^(١). ازدهرت لازيكا بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن السابع بعد الميلاد، ولقد شكلت أهمية كبيرة لكلتا الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية كونها تشكل جسراً يربط بين الشرق والغرب، وهي منطقة البحر الأسود الذي شكل عبر العصور مجالاً للنزاع والصراع بين القوى الكبرى^(٢). يعد البحر الأسود بحراً داخلياً يربط بين الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا وآسيا الصغرى، ويتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق مضيق البوسفور وبحر مرمرة، وتصب فيه أنهار كثيرة. يتصل البحر الأسود ببحر آزوف عن طريق مضيق كيرتش^(٣)، وتبلغ مساحة البحر الأسود ٤٣٦,٤٠٠ كم^٢ (باستثناء بحر آزوف). يعد نهر الدانوب من أهم الأنهار التي تصب في البحر الأسود، ولا يوجد فيه سوى ثلاث جزر صغيرة مهمة ومميزة وهي زميني وزيرتيران وكفكن. مساحة المسطح المائي للبحر الأسود تزيد عن ٤٢٠ ألف كم^٢ والسبب في تسميته بالبحر الأسود هو كثرة السحب والضباب المحيط بمنطقته مما يجعله داكناً وأغلب السحب التي تتكون فوقه تكون سوداء اللون بسبب الموقع الجغرافي للبحر مما يمنع وصول الشمس

(١) Braund, David, Georgia in Antiquity: History of Colohis Transcaucasian Iberia, 550 BC- AD 562, Oxford University Press, USA , 1994, P.27.

(٢) Allen, W. E. D, A history of the Georgian people, 1932, p. 276.

(٣) Eker- Develi, E. Distribution of phytoplankton in the southern Black Sea in summer , 2003, pp. 203-209.

إليه وبالتالي ينعكس اللون الأسود عليه، ويمكن البحر الأسود السفن من المرور إلى البحر المتوسط عبر قناة تربط بينهما^(١).

ب- الأهمية الاستراتيجية

من خلال عرض الموقع الجغرافي للبحر الأسود وامتداده ومساحته التي تغطي العديد من الجزر وتجاور العديد من الدول والبلدان ظهرت الأهمية الاقتصادية والعسكرية للبحر، ومن دون أدنى شك، فإن المطامع الاستعمارية للدول الكبرى لم تجعل منطقة البحر الأسود بمنأى عن صراعاتها، فلقد حرصت الامبراطورية البيزنطية والتي تطل عاصمتها القسطنطينية على الساحل الجنوبي للبحر الأسود - حرصت - على إبقاء سواحلها تحت سيطرتها، وحاولت جاهدة منع الساسانيين من إيجاد موطئ قدم لهم على سواحل البحر الأسود.

سعى الرومان خلال الحقب التاريخية المتعددة للسيطرة على الممرات والطرق الهامة في القفقاس، فلقد شكلت الطبيعة جبلاً كان لها دور كبير في التكتيك الدفاعي، وشكلت المناطق المنخفضة ممرات عبور كان لها دور كبير في التجارة وتبادل السلع مع الشمال والتي وصلت إلى بحر قزوين حيث حصلوا على بضائع الهند، أما في الشمال كانت تجارة الرومان وخاصة تجارة العبيد مزدهرة، ولم تكن روما مستعدة للتخلي عن هذه المنطقة، التي اتبعت فيها سياسة قاسية ضد السكان المحليين^(٢).

ج- الصراع الساساني-البيزنطي على لازيك في عهد قباد

لم تسلم المنطقة القفقاسية من أطماع الامبراطوريات الكبرى، واستطاعت الامبراطورية الساسانية فرض وجودها على المنطقة مستغلة تراجع النشاط البيزنطي فيها. وأصبحت الهجمات الساسانية أكثر خطراً عليها ولا أدل على ذلك من إشارة المؤرخ إميانوس مارسيلينوس عام ٣٦١م حين قال: "كان ملك العائلة الإيرانية قد تصدى بصعوبة للشتاء القارص، وفي الوقت نفسه كان خائفاً عندما جاء الوقت المناسب من السنة، فبعث إلى الحكام المحليين في المنطقة، الدبلوماسيين المحملين بالهدايا الثمينة لتكون بمثابة إنذار للجميع في بلادهم، ومحاولة لحماية نفسه من كل نية

(١) الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) العلان، فارس وبيزنطة، ص ١٠٩.

غدر أو خيانة، فكان من الأولويات شراء الملابس والهدايا لحكام أرمينية وأيبيرية، وذلك لأنهم يلحقون الضرر بالبيزنطيين إذا استطاع كسب ولائهم^(١).

في هذه الرواية ما يشير بوضوح لا يحتاج إلى شك أن الساسانيين كانوا ينظرون بعين الأهمية للمنطقة القفقاسية، ولولا ذلك لما اضطر الملك الساساني أن يقضي الشتاء القارص في تلك المنطقة، ولا جعل جنوده يعانون من قسوة المناخ وبرودته. كما يمكن أن يستدل من الرواية على أن الملوك الساسانيين كانوا قد تعاملوا مع القفقاسيين كحلفاء لهم لإدراكهم للدور الكبير الذي يمكن أن يلعبه هؤلاء فيما لو وقفوا ضدهم إلى جانب البيزنطيين.

على أية حال، لم يبقى الوضع على حاله في القفقاس، فالتدخلات الخارجية في تلك المنطقة من قبل الدول الكبرى كانت كفيلة باندلاع ثورة فيها، حاولت بيزنطة بكل ما ملكت من قوة الاستفادة مما يحصل والوقوف إلى جانب الإيبيريين ضد الساسانيين لتحقيق مصالح بيزنطة قبل أي شيء آخر. وهذا ما حصل بالفعل، فبعد حدوث خلاف بين الدولة الساسانية وبيزنطة حول مسألة وراثة العرش الساساني - والتي أشار البحث إليها قبل قليل - قرر الملك قباد الرد على الإهانة التي تعرض لها، وكان يستعد للحرب ضد بيزنطة، إلا أنه اضطر لتأجيلها بسبب ثورة أهالي منطقة إيبيريا القفقاسية - والتي كانت تابعة للدولة الساسانية بموجب معاهدة سنة ٣٦٣م^(٢) بين الملك سابور الثاني ذو الأكتاف والإمبراطور البيزنطي جوفيان - على قباد^(٣).

لم تحدد المصادر تاريخاً دقيقاً لثورة إيبيرية إلا ما ندر منها والتي ذكرت أن الملك قباد كان قد توجه بجيشه إلى منطقة إيبيريا في سنة ٥٢٣م، وبالتالي يمكن استنتاج أن تاريخ تلك الثورة كان بين عامي ٥٢٢-٥٢٣م^(٤). ولعل أهم الأسباب التي أدت لاندلاع الثورة هي محاولة الملك قباد الظهور بمظهر المدافع عن الدين الزرادشتي، وهذا ما دفعه لاتباع سياسة أسلافه من الملوك

(١) الإعلان، السياسة الساسانية، ص ١٠٠.

(٢) عقدت بين الملك سابور الثاني والإمبراطور جوفيان أهم بنودها: تعاد للدولة الساسانية الولايات الخمس الواقعة وراء نهر دجلة، تعاد للدولة الساسانية نصيبين وسنكرة، عدم تدخل الدولة البيزنطية في أمور أرمينيا، نهر الفرات هو الحد الفاصل بين الدولتين، مدة المعاهدة ٣٠ عام. سايكس، تاريخ إيران، ج ١، ص ٥٨٠.

(٣) زرین کوب، تاريخ إيران، ص ٤٦٩.

(٤) يار شاطر، تاريخ إيران، مج ٣، ص ٢٥٠.

الساسانيين في تعقب المسيحيين وتقييد حرياتهم الدينية، حيث أجبر أهل إيبيريا على اعتناق الزرادشتية ونبذ المسيحية، الأمر الذي دفع ملك إيبيريا جورجين (Gourgen) - الذي لم نصل لمصادر تحدد تاريخ حكمه - هذا ما دفعه للاستجداد بالإمبراطور جوستين الأول الذي سرعان ما لبي طلبه، وأرسل جيشاً من الهياطة (الهون) المقيمين شمال القفقاس لمساعدته لقاء مبلغ من المال تعهد جوستين بدفعه لهم مقابل التعاون، ونجح في استمالة حاكم مدينة كولخيس^(١) (Colchis) لجانبه.

لم يكن السبب الديني والتوافق بين حاكم إيبيريا والامبراطور البيزنطي هو العامل الأساسي الذي دفع بيزنطة للوقوف مع جورجين ملك إيبيريا، وإنما سبباً آخر كان أكثر أهمية وأشد عمقاً بالنسبة لجوستين ألا وهو الموقع الاستراتيجي المهم لتلك المنطقة القفقاسية (إيبيريا- لازيكا)، فكلاهما يقعان على شاطئ البحر الأسود والذي يعتبر جسراً هاماً يربط الشرق، وهذا ما جعل بيزنطة مهتمة بشكل كبير لتلك المنطقة ورأت في حمايتها ضرورة لا بد منها من أجل إبقاء سواحل القفقاس تحت سيطرتهم مهما كلفهم هذا الأمر من تضحيات ومشاق.

إن بيزنطة كانت مستعدة لتحمل كل الخسائر والتكاليف التي قد تترتب على حمايتها للسواحل القفقاسية، وبالتأكيد أن التخفي خلف عباءة الدين الواحد والدفاع عن المقدسات والمعتقدات والوقوف مع من يتوافقون معهم دينياً، لم تكن على الدوام حجج صائبة وصحيحة سعت بيزنطة حتى لإقناع شعوبها بها، والحقيقة كل الحقيقة تكمن في توجس بيزنطة وإدراكها التام لمدى الخطر الذي ستجلبه لها المنطقة القفقاسية في حال فقدت السيطرة عليها، وفي حال لم تتمكن من استغلال الظروف والفرص المناسبة لصالحها من أجل السيطرة عليها ولوي ذراع العدو الأكبر - الدولة الساسانية - في تلك المنطقة الاستراتيجية.

لم تقف الدولة الساسانية مكتوفة الأيدي أمام التحالفات والتكتلات التي كانت تحصل، فحجم إدراك الدولة الساسانية لأهمية تلك المنطقة لم يكن أقل مما كان في بال الدولة البيزنطية، وسعي أحفاد ساسان للسيطرة عليها لم يكن خارج محور الاهتمامات الاستراتيجية الخارجية لدى الدولة الساسانية، وهذا ما يفسره اندفاع قباذ الأول لإعلان الحرب وتوجيه جيشه إلى منطقة إيبيريا سنة

(١) كولخيس: مدينة على الساحل الشرقي للبحر الأسود.

٥٢٣م، والتي لم يتمكن ملكها جورجيين ولا الجيوش التي اجتمعت على مناصرته من مقاومة الجيش الساساني وإيقاف تقدمه في مدينة لازيكا التي استولى عليها عام ٥٢٥م^(١).

ونظراً لأهمية السيطرة على تلك المنطقة بالنسبة للجانبين الساساني والبيزنطي، فإن قباذ وجد في سيطرته على لازيكا إعادة اعتبار للوجود الساساني وانتقام للكرامة الفارسية، بالمقابل وجدت بيزنطة أن التهاون أو السكوت عن استيلاء قباذ على لازيكا يعني وقوع العاصمة البيزنطية (القسطنطينية) تحت رحمة الجيوش الساسانية التي قد تهاجم حصونها وأسوارها في اللحظة التي تراها الدولة الساسانية مناسبة في التوقيت والظروف.

لذلك فإن الرد البيزنطي والهجوم على الجيش الساساني كان أمراً منطقياً - لا محالة منه - وبدأت الحرب المعلنة بين الطرفين سنة ٥٢٧م، حيث اقتحمت الجيوش البيزنطية بقيادة القائدان بليزاريوس (Belisarius) وسيتاس (Sittas) أرمينيا الساسانية، وقامت بسلب ونهب المنطقة لكنها لم توفق في الاستيلاء عليها^(٢).

عقدت معاهدة بين الساسانيين والبيزنطيين في عام ٥٣١م، كان الهدف الأساسي من هذه المعاهدة هو تمكين الأوضاع الداخلية في إيران، وقيام البيزنطيين بإكمال مشروعهم في الغرب. ولحل الأزمة في المنطقة القفقاسية جاءت شروط الصلح ملبية لكل الرغبات الساسانية، كعودة مناجم الذهب الواقعة على الحدود البيزنطية إلى السيادة الساسانية، وأن يدفع البيزنطيون إحدى عشر رطلاً من الذهب للساسانيين مقابل حماية الممرات القفقاسية. وأن تكون أيبيرية تحت السيطرة الساسانية، وافقت الإمبراطور البيزنطي جوستينيان الأول على جميع الشروط مقابل شرط واحد كان لها وهو عودة لازيكا للسيادة البيزنطية^(٣).

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أهمية منطقة لازيكا التي اضطرت بيزنطة للتخلي عن العديد من المناطق للدولة الساسانية من أجل أن تقع لازيكا تحت سيطرتها، وهذا يعني أن بيزنطة كانت تدرك تماماً أن بيزنطة وبالرغم من انتصاراتها التي حققتها في الغرب، فإنها لم تكن قادرة عن

(١) بيرنيا، إيران، ص ٣٥٧.

(٢) Procopius. History, P.145.

(٣) العلان، السياسة، ص ١٠٣-١٠٤.

دفع الخطر عن عاصمتها القسطنطينية في الشرق والذي سيهدد وجودها ويقض مضجعها بين
الحين والآخر لو استمر الوجود الساساني في لازيكا.

الفصل الرابع

السياسة الساسانية في المنطقة العربية خلال عهد قباد

(الجزيرة الفراتية – شبه الجزيرة العربية)

أولاً: الجزيرة الفراتية

- ١- الموقع الجغرافي
- ٢- الأهمية الاستراتيجية للجزيرة الفراتية
- أهمية مدينة الحيرة
- ٣- الساسانيون والحيرة قبيل عهد قباد
- ٤- السياسة الساسانية والحيرة خلال عهد قباد
- أ- دور الحيرة والصراع الساساني البيزنطي على الجزيرة الفراتية
- ب- المنذر الثالث بن امرئ القيس بن النعمان بن ماء السماء

ثانياً: شبه الجزيرة العربية

- ١- الموقع الجغرافي
- ٢- الأهمية الاستراتيجية لشبه الجزيرة العربية
- ٣- الساسانيون وشبه الجزيرة العربية خلال عهد قباد
- أ- أسباب الصراع الساساني-البيزنطي على الجزيرة العربية
- ب- النشاط السياسي الساساني في شبه الجزيرة العربية
- ٤- اليمن
- أ- الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية
- ب- التنافس الساساني-الحشبي على اليمن

أولاً: الجزيرة الفراتية

١- الموقع الجغرافي

يطلق مصطلح "السواد" على الجزء الجنوبي من العراق، فيما يطلق على الجزء الشمالي من أرض العراق مصطلح "الجزيرة الفراتية"، ولقد قيل أنها سميت بالجزيرة كونها تقع بين نهري دجلة والفرات^(١)، اللذان يكتنفان السهول في إقليم الجزيرة ويشكلان الجزء الشمالي الشرقي من سورية.

يحتل إقليم الجزيرة الفراتية أهمية كبيرة بسبب الموقع الجغرافي المتوسط بين بلاد الرافدين وبلاد الشام وروما وأذربيجان وأرمينية، ولما يتميز به من غنى بالأنهار والموارد الطبيعية والمواصلات الهامة^(٢). حيث شكلت الجزيرة الفراتية جسراً يصل بين طرق المواصلات البحرية وبين جنوب آسيا وجنوب أوروبا، نظراً لموقعها الاستراتيجي بين البحر المتوسط والخليج العربي، وهذا ما جعلها عقدة تجارية هامة جداً لتجارة الشرق والغرب. بالإضافة إلى ذلك فإن موقعها كان قد أسبغ عليها أهمية عسكرية كبيرة تجلت في وقوعها في قلب العالم القديم، بقاراته الثلاث، آسيا وأفريقيا وأوروبا، وكانت بمثابة جسر يصل بين عالم المحيط الهندي وعالم البحر المتوسط، وهذا ما جعلها مسرحاً للصراعات، وهدفاً لأطماع القوى الأجنبية منذ أقدم العصور^(٣).

يحد الجزيرة الفراتية من جهة الشمال جبال طوروس وبعض منابع نهر الفرات، ومن جهة الشرق والشمال الشرقي يحدها وادي نهر دجلة، أما من الغرب والجنوب الغربي فيحدها نهر الفرات وبادية الشام، وتشكل سهول أرض السواد الحدود الجنوبية لإقليم الجزيرة^(٤).

(١) البغدادي، مرصد الاطلاع، ص ٢٥١.

(٢) عثمان، فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة، د.ت، ص ١٤١.

(٣) الخلف، جاسم محمد: جغرافية العراق الطبيعية، والاقتصادية، والبشرية، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٣٨٨.

(٤) الهاشمي، طه: مفصل جغرافية العراق، بغداد، ١٩٣٠م، ص ٥٣٢.

٢- الأهمية الاستراتيجية للجزيرة الفراتية

تنوعت الموارد الطبيعية التي اشتهرت الجزيرة الفراتية بالغنى الكبير فيها، فبالإضافة إلى الأنهار والروافد التي شكلت عماداً اقتصادياً هاماً، نتج عن كثرة العيون والينابيع وفرة في المياه الجوفية وإمكان استغلالها بالزراعة^(١). وتميزت طبيعة المحاصيل التي أنتجتها الجزيرة بالتنوع والوفرة، حيث كانت تزيد عن عدد السكان، فتصدر إلى الأقاليم المجاورة^(٢). ومن أهم هذه المحاصيل الحبوب والعسل والشحوم والجبن والسماق واللوز وحب الرمان والزيت وغيره الكثير. ولقد اشتهر إقليم الجزيرة بالمراعي الواسعة والتي تعد مورداً اقتصادياً هاماً، فكانت تربية المواشي والخيول والجمال الأكثر رواجاً، وهي مصدر معاشهم الأساسي^(٣).

إن الأهمية الاقتصادية لإقليم الجزيرة الفراتية وما تميز به من خصوبة الأرض ووفرة المياه والمناخ الملائم للزراعة والرعي، والموقع الجغرافي والاستراتيجي جعل من هذه المنطقة مسرحاً لحروب وصراعات طاحنة استمرت قروناً طويلة، بلغت أوجها في القرن السادس الميلادي، عندما خضعت بعض مدن الجزيرة لاحتلال الدولتين الساسانية والبيزنطية إلى أن حررها العرب في مطلع القرن السابع الميلادي. ولعل أهم القبائل العربية على الإطلاق التي دخلت في الصراع الساساني - البيزنطي للسيطرة على الجزيرة الفراتية هي قبائل عرب الحيرة الذين كانوا جزءاً هاماً وأساسياً في تكوين معطيات الأحداث في تلك الحقبة والتي سيتناول البحث الحديث عنها بشكل مفصل.

(١) حمادي، محمد جاسم: الجزيرة الفراتية والموصل، أطروحة ماجستير غير منشورة في جامعة بغداد، ١٩٧٧م، ص ٧٧-٧٨.

(٢) المقدسي، أحسن، ص ١٤٢.

(٣) ابن حوقل، صورة، ص ٤٩.

- أهمية مدينة الحيرة جغرافياً:

تقع مدينة الحيرة^(١) في القسم الجنوبي الغربي من العراق على بعد ثلاثة أميال^(٢) من الكوفة، ولقد كان لموقع هذه المدينة على أطراف البادية الغربية بالقرب من نهر الفرات دوراً كبيراً في منحها أهمية كبرى بالنسبة لتحركات القبائل البدوية بين الجزيرة العربية وسواد العراق، كما أصبحت مرفأً لسفن البحر من الصين والهند وغيرها^(٣). الأمر الذي ساعد على انتعاشها وازدهارها سياسياً واقتصادياً. تمتاز الحيرة بعذوبة مياهها وصفاء الجو فيها وارتفاع الأرض وكثرة المزارع وكان أهمها النخيل^(٤)، توزعت فيها العديد من الترع والسواقي والورود والحدائق^(٥). ولقد اختلفت المصادر حول تاريخ تأسيس هذه المدينة، إلا أنها كانت في القرنين السابقين للإسلام مركزاً لنشاط اقتصادي وسياسي وعسكري.

٣- الساسانيون والحيرة قبيل عهد قباد

حتى يتمكن البحث من تكوين صورة واضحة عن طبيعة العلاقات التي قامت بين الدولة الساسانية في عهد قباد مع أمراء الحيرة لا بد من العودة - ولو بشكل بسيط - إلى طبيعة العلاقات بينهما منذ تشكل إمارة الحيرة.

(١) بعض اللغويون أرجعها إلى أصل عربي مشتق من الفعل حار بالماء، أي تردد لا يدري كيف يجري. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق، عبد الكريم الغريلاوي، ج ١١، ص ١١٨. ومنهم من قال بأن اسمها مشتق من الضلال أي الحيرة، وأنها سميت بهذا الاسم لأن تبع أحد ملوك اليمن لما أقبل بجيوشه فبلغ موضع الحيرة ضل دليله وتحير فسمت بالحيرة. البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ج ١، ص ٤٧٨.

(٢) الميل هو: ٢ كم. هنتس، المكايل، ص ٤٥.

(٣) الألوسي، محمود شكري البغدادي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح محمد بهجت الأثري، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت، ج ٢، ص ١٧٥.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ١٣٧.

(٥) حتي، فيليب؛ جبور، جبرائي؛ جرجي، إدوارد: تاريخ العرب، دار الكشافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٣، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٢٠.

توفي يزديجرد سنة ٤٢٠م واتفق عظماء الدولة على عدم تعيين أحد من أسرة يزديجرد، وانتخبوا شخص يدعى خسرو، وباعوه. وعلى ما يبدو فإن رغبة رجال الدولة في إبعاد بهرام لم تكن لعوامل شخصية تتعلق به، ولكن بسبب أخلاق يزديجرد الفظة وتسلطه على رعيته وخاصة كبار الدولة والعظماء، وهذا ما جعلهم يهتبلون أية فرصة من أجل التخلص منه وممن يرث عرشه مستقبلاً^(١).

لم يقف بهرام جور^(٢) (٤٢٠-٤٣٨م) -الذي علم ب وفاة والده وهو بالحيرة^(٣)- مكتوف الأيدي أمام الانقلاب السياسي الذي حصل في المدائن. وطلب من المنذر مؤازرته في حربه القادمة^(٤)، وهذا ما حصل بالفعل حيث وجه المنذر ابنه النعمان في جيش تختلف الروايات حول تعداده فمنهم من قال عشرة آلاف فارس^(٥)، ومنهم من قال ثلاثين ألف^(٦). إلا أن عظماء فارس اختاروا طريق المفاوضات لحل أزمة العرش^(٧).

قد يكون ما طرح من قبل عظماء الدولة الساسانية في تعيين ملك فعلي جديد مجرد فكرة ليس إلا، وإلا لكان من الصعوبة بمكان تنازل ملك عن عرشه لمجرد ظهور قوة عربية تهدد بفرض قوتها واستخدامها في تعيين بهرام حاكماً على الدولة الساسانية -هذا- مع عدم تجاهل البحث لدور هذه القوة في ذلك الوقت، وما تمثله من فرض موازين قوى على الساحة السياسية.

(١) الفردوسي، الشاهنامه، ص ٧٥.

(٢) وقد لقب بهذا اللقب لولعه بصيد الحمار الوحشي الذي يطلق عليه بالفارسية (جور) أو (كور). الخوارزمي، مفاتيح، ص ١٠٣.

(٣) ومن ما ذكر كمثال عن مدى متانة العلاقات الساسانية مع أمراء الحيرة في ذلك الوقت هو بناء النعمان لقصر الخورنق وقيل في أسباب البناء أن يزديجرد لم يعيش له ولا ولد فبعث ابنه بهرام جور إلى النعمان وأمره ببناء الخورنق كمسكناً له، وأحضر له عدة مربيات فارسيات وعربيات^(٣)، فنشأ بهرام جور نشأة عربية بحتة وتعلم الكتابة والرمي والفقه في البادية على أيدي العرب، وأجاد العربية حتى قيل أنه عندما أصبح يافعاً كان ينظم الشعر فيها. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبّي، القاهرة، د.ت، ص ٧٠.

(٤) الثعالبي، غرر، ص ٥٥٠.

(٥) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٧١.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٤٠٣.

(٧) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٧٢.

إذاً، جلس بهرام على العرش وهذا يعني ازدياد نفوذ العرب في بلاطه -وهو حق- فعرب الحيرة هم الذين بذلوا الجهود لاستعادة عرش بهرام الذي لم ينسى جميلهم عليه، فأغدق خزائن المنذر والنعمان بنفائس الجواهر والذهب والهدايا، وخلع على أمراء العرب عطايا سنوية، وأرسلهم للحيرة بزهوة المنتصر الغانم^(١).

اضطهد بهرام جور المسيحيين في بلاده، وهذا ما أدى إلى تدهور العلاقات واندلاع الحرب عام ٤٢٠م بين بيزنطة والدولة الساسانية وسارعت الأخيرة للطلب من المنذر المساعدة في تلك الحرب، فسارع المنذر لنجدة بهرام وهاجم بيزنطة في بلاد الشام إلا أن الحظ لم يحالفه وغرق الكثير من جنوده وهم يحاولون عبور نهر الفرات^(٢)، ولم يحالفه الحظ في العام الذي تلاه عندما حاول شن هجوم جديد على القوات البيزنطية وكان نصيبه الفشل^(٣). وهذا ما دفع بهرام الذي لم يجد أمامه حلاً - سارع - إلى عقد الصلح مع بيزنطة، تعهد بهرام جور بموجب هذا الصلح برفع الاضطهاد عن المسيحيين، وإطلاق حرية العبادة لهم وممارسة طقوسهم الدينية، بالمقابل فقد تعهدت بيزنطة بمثل ذلك فيما يتعلق برعاياها من معتقي الديانة الزرادشتية، كذلك فقد اتفقت كل من بيزنطة والدولة الساسانية على عدم تشجيع الجانبين للعرب الذين في أراضيهم على غزو العرب في أرض الطرف الآخر والمقصود بذلك المناذرة والغساسنة^(٤).

٤- السياسة الساسانية والحيرة في عهد قباد

أ- دور الحيرة في الصراع الساساني-البيزنطي على الجزيرة الفراتية

حكم المنذر بن النعمان فترة طويلة (٤٣١-٤٧٣م) ولما توفي حكم بعده الأسود بن المنذر (٤٧٣-٤٩٣م) وعاصر الملك الساساني قباد، الذي اتسمت علاقته مع الأسود بنوع من الاضطراب - دون أن تحدد المصادر أسباب ذلك- وتقول أحد الروايات إن سبب هذا التغير

(١) الدينوري، الأخبار، ص ٥٦.

(٢) زيدان، جرجي: عرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٢٢م، ج ١، ص ٢٠٦.

(٣) روتشتاين، جوستاف: تاريخ السلالة اللخمية، مجلة آداب جامعة البصرة، العدد ١٦، ١٩٨٠م، ص ٢٤٥.

(٤) رستم، أسد: الروم في سياستهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط ١، بيروت، ١٩٥٥م، ج ١، ص ١١٧-١١٨.

المفاجئ للعلاقات بين الطرفين إنما راجع إلى إن الأسود بن المنذر سلك سلوك يضر بمصالح الساسانيين في الحيرة ، فرأى الساسانيون إن الاستمرار في وجوده قد يسبب لهم المشاكل لذلك قرروا وضعه في السجن والتخلص منه^(١)، وتعيين النعمان بن الأسود (٥٠٠-٥٠٤م)^(٢).

لقد أدى امتناع الامبراطور البيزنطي أنستاسيوس الأول عن دفع المستحقات للدولة الساسانية لقاء حمايتها لمعابر القفقاس، والتي طالب بها الملك الساساني قباذ كي يدفع الجزية المفروضة عليه من قبل الهياطلة، إلى قيام قباذ بمهاجمة أرمينيا البيزنطية والاستيلاء على عاصمتها ثيودسيوبوليس ومنها توجه جنوباً نحو الجزيرة الفراتية. - وعليه- فقد توجهت القوات الساسانية جنوباً نحو الجزيرة الفراتية فحاصروا مدينة آمد، ولما لم تتمكن القوات الساسانية من تهديم أسوار المدينة القوية^(٣)، أمر قباذ ببناء هضبة صخرية بجانب المدينة توازي سورها في الارتفاع ليتمكن جيشه من الهجوم على المدينة، وهذا ما دفع حاكم مدينة آمد إلى حفر الأنفاق وإحداث ثغرة تمتد من داخل سور آمد وتصل إلى حافة الهضبة التي انتهت القوات الساسانية من إكمالها بعد ٣١ يوم من العمل المتواصل، وفي الوقت الذي انشغلت به القوات الساسانية في نقل معداتهم إلى أعلى الهضبة كان المدافعون عن آمد منشغلون بحفر الأنفاق في وسط مدينتهم^(٤). ومع إعلان الهجوم الساساني على المدينة ونتيجة الضغط الشديد الذي أحدثته حركتهم ومعداتهم فإن الهضبة انهارت وقتل من كان عليها من الجيش الساساني، إلا أن الجنود الساسانيين تمكنوا بعد عدة أيام من العثور على فتحة نفق مغطاة بالحجارة أسفل أحد أبراج المدينة، ومع بداية عام ٥٠٣م تمكن الملك قباذ وجيشه من التسلل والدخول إلى البرج ومن ثم الاستيلاء على المدينة والفتك بأهلها، مستغلين فرصة انشغال الحرس الذين أسندت لهم حماية ذلك البرج عن واجبه وانشغالهم للاحتفال بأحد الأعياد المسيحية^(٥).

(١) علي، ابراهيم محمد: المناذرة دراسة سياسية حضارية ٢٦٨-٦٠٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الموصل، ١٩٨٢م، ص ٣٦.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٥٩.

(٣) يارشاطر، تاريخ إيران، مج ٣، ص ٢٤٩.

(٤) Procopius. History, p.145.

(٥) Procopius. History, p.146

تختلف الروايات حول مدة الحصار، حيث ذكرت بعض الروايات أنه بعد مدة ٨ أيام من المحاصرة استطاع الجيش الساساني أن يستولي على المدينة^(١)، بينما تذكر رواية أخرى أنه حاصر مدينة آمد ثمانين يوماً^(٢). وحتى يخفف قباد من ضغط القوات البيزنطية على جيشه سعى للتحالف مع ملك المناذرة النعمان الثاني وجرى الاتفاق في تشرين الثاني ٥٠٢م فهاجم النعمان حدود بيزنطة من جهة الجنوب، متوجهاً نحو مدينة كرها^(٣) فسلم ونهب^(٤) حتى وصل مدينة ادسا^(٥) إلى منطقة أبو راس (الخابور) عام ٥٠٣م والتقى مع قائد حامية مدينة كالينيكوس^(٦) (Callinicus) وجرت معركة بين الطرفين بالقرب من مدينة قرقيساء^(٧)، أصيب النعمان بجرح في رأسه على إثر تلك المعركة وتوفي بعد ذلك بعدة أيام^(٨).

أدى تتابع الأحداث على النحو السابق، إلى تحقيق الساسانيين لمكاسب عدة، فمن جهة استطاع قباد السيطرة على مدينة آمد، وتمكن من جهة أخرى من اختراق الأراضي البيزنطية مما

(١) Procopius. History, p.148

(٢) رازي، تاريخ مفصل، ص ٧١. لويد، سيتن: الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن)، تر: طه باقر وبشير فرنسيس، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٧٤.

(٣) كرها (حران): قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها مسافة يوم. ابن حوقل، صورة، ج ١، ص ٢١٠-٢٢٦. البغدادي، مرصد، ج ١، ص ٣٨٩.

(٤) بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، تر: صلاح الدين عثمان، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ١٩٨٥م، ص ٩٣-١٠٧.

(٥) أدسا: (الرها): من مدن الجزيرة الفراتية، تقع شمال حران، والمسافة بينهما يوم. بناها سلوقس الأول قرب نهر البليخ بمحاذاة الفرات على نهر صغير يسمى ديسان، والسريان يسمونها اورهاي وعنهم أخذ العرب تسمية الرها، تقع في الوقت الحاضر في تركيا وتسمى أورفة. ابن حوقل، صورة، ج ١، ص ٢١٠-٢٢٦. حبي، يوسف: كنيسة المشرق، بغداد، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٧٤-١٧٧.

(٦) كالينيكوس: (الركة) أكبر مدن ديار مضر على الضفة الشرقية لنهر الفرات، وتعرف بالركة البيضاء. ابن حوقل، صورة، ج ١، ص ٢٢٥.

(٧) قرقيساء: مدينة على نهر الخابور. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٨.

(٨) أمين، فجر الإسلام، ص ١٧. أولندر، جوناو: ملوك كندة من بني آكل المرار، تر: عبد الجبار المطلبي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٣م، ص ١٠٣.

شكل دعامة وحماية كبيرة للحدود الساسانية لا يمكن الاستهانة بها، ولذلك حاولت بيزنطة التقرب من قباد وعقد أواصر الصداقة والتعاون معه.

إلا أن الأمور لم تجرِ على أكمل وجه، فقباد الذي أحكم سيطرته على آمد وأعلن نفسه منتصراً فيها، سرعان ما اضطر إلى مغادرتها مع حشد من جيوشه وأبقى فيها حامية تقدر بـ (١٠٠٠) جندي بعدما تسرب إلى مسامعه نبأ انسياح جموع من الهياطلة عبر ممرات القفقاس ومهاجمتهم لخراسان^(١). ولم توفر بيزنطة فرصة إلا واستثمرتها عندما علمت بالمشاكل التي تواجه قباد في الحدود الشرقية، وهذا ما أكدته سير الأحداث، حيث عقدت بيزنطة العزم على استرداد آمد وجهزت جيش كبير للاستيلاء عليها عام ٥٠٤م وبدأوا بمحاصرتهم لها^(٢).

لم يكن أمام الملك قباد الذي أدرك صعوبة القتال على جبهتين والذي وجد نفسه في ظروف لا تسمح له سوى بالمهادنة - لم يكن أمامه - سوى التفاوض لعقد الصلح، وهذا ما حصل، فقد أرسل قباد سفارته إلى بيزنطة للتفاوض من أجل عقد الصلح، وجد البيزنطيين في سفارة قباد الفرصة مواتية للتخلص مما يواجهوه من الحصار بسبب قسوة المناخ، وعلى هذا الأساس تم إقرار الصلح بين الطرفين سنة ٥٠٦م والذي كانت أهم بنوده:

- بقاء مدينة آمد بيد بيزنطة مقابل دفعهم ١٠٠٠ ليبرا ذهب للساسانيين.
- تلتزم بيزنطة بدفع الجزية السنوية للساسانيين مقابل حماية الأخيرين لمعابر القفقاس.
- مدة الصلح ٧ سنوات^(٣).

حققت هذه المعاهدة أهداف هامة لكلا الطرفين، بالنسبة لقباد استطاع بمهادنته للبيزنطيين أن يتفرغ لمواجهة الهياطلة. أما بيزنطة فقد كانت المستفيد الأكبر من معاهدة الصلح، حيث استغلت انشغال الملك الساساني قباد في حروبه ضد الهياطلة وعملت على تقوية حدودها الشرقية، وبنت عدة مدن حصينة بين نصيبين وماردين سموها انستاسيوبوليس (Anastassiu Polis) وهي مدينة انستاسيوس وعززوا من تحصيناتهم العسكرية ببناء عدة قلاع دفاعية على ضفاف الفرات^(٤).

(١) زرین کوب، تاریخ ایران، ص ٤٦٩.

(٢) یارشاطر، تاریخ ایران، مج ٣، ص ٢٤٩.

(٣) سایکس، تاریخ ایران، ج ١، ص ٦٠٩. رستم، الروم، ج ١، ص ١٣٧.

(٤) زرین کوب، تاریخ ایران، ص ٤٦٩.

يمكن لأي مُطّلع على سير الأحداث أن يدرك مدى التغافل الساساني على التعدي والتطاول التي كانت تمارسه الدولة البيزنطية من خلال توسيع حدودها وبناء التحصينات دون وجود أي رد فعل أو أي إجراء عسكري من قبل الدولة الساسانية، وقد يخطر على بال القارئ للأحداث عدة تساؤلات عن سبب سكوت قباد ودولته عن ما يحصل، فالمصادر التي وثقت تاريخ الحروب بين الدولتين لم تكن لتتغافل عن ذكر أي رد فعل من الحكومة الساسانية - لو حصل ذلك بالفعل - إلا أن عدم ذكر المصادر التي وصل إليها البحث لأي حدث متعلق بذلك، فإنه يفتح الباب لعدة تكهنات وتفسيرات قد يكون أقربها إلى المنطق هو انشغال قباد بمشاكل بلاده الداخلية، فالثورة المزديكية التي اندلعت بنفس الآونة قد تكون هي الفصل والحكم في التأثير على موقف قباد الذي اضطر للسكوت عن التطاول البيزنطي على الحدود، مُفضلاً إخماد تلك الثورة وكسر شأفتها والسيطرة على واقع الحال ما أمكن.

بعد مقتل النعمان قرب قرقيسيا تولى الحكم أبو يعفر بن علقمة الذميلي^(١) (٥٠٤-٥٠٧م) والذي حكم لمدة ثلاث سنين في زمن الملك قباد ولكن المصادر لم تتحدث عن علاقته بالأسرة الحاكمة وكل ما ذكرته هو أنه حكم ثلاث سنوات^(٢). وكان خليفة النعمان على عرش الحيرة امرؤ القيس بن النعمان (٥٠٧-٥١٤م) والذي لم يسجل بخصوصه أي ذكر حول علاقة إمارة الحيرة بالدولة الساسانية.

وفي سياق الحديث عن الثورة المزديكية والأوضاع الداخلية في الدولة الساسانية والتي أثرت بكل أو بآخر على قرارها السياسي والعسكري، فإنه لو اتجه البحث شطر مسيحيو بلاد فارس في تلك المرحلة فسوف يجد أن مسيحيو الدولة الساسانية لم يكونوا بمعزل عن التحولات التي طالت المسيحية في العالم، فقد اتبع مسيحيو فارس مذهب "نسطور" القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة وليست طبيعتين آلهية وبشرية، وهذا ما أدى إلى قيام حاجز مذهبي بينهم وبين مسيحيو

(١) وهو الملك الحادي عشر من ملوك الحيرة وهو من أسرة ذميل النصرانية وذيمل بطن من بطون لخم، ويبدو أن النعمان كان قد استخلفه على الحيرة في فترة غيابه عنها لحروبه وبعد مقتل النعمان قرب قرقيسيل. الطبري، تاريخ، ج٢، ص ٩٤.

(٢) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٨م، ج٣، ص ٢١٦.

الامبراطورية البيزنطية بسبب خروجهم عما جاء في مجمع خلقيدونية^(١) المنعقد في سنة ٤٥١م. مع حصول هذه التحولات شهدت المسيحية في عهد قباذ نوعاً من الحريات وإضفاء صفة التسامح على طبيعة العلاقة معهم. ولا يمكن ان نغفل حقيقة أن الانقسام الديني في الكنيسة المسيحية كان قد لاقى الترحيب في الأوساط السياسية الساسانية ولم يقف الأمر على ذلك بل عملت الدولة الساسانية على دعم وتشجيع هذا الانقسام، الذي بدأ يبدد مخاوف الدولة الساسانية وشكوكها في ولاء مسيحيو فارس للإمبراطورية البيزنطية.

ب- المنذر الثالث بن امرئ القيس بن النعمان بن ماء السماء

ولعل أهم من كتب عنهم التاريخ بين ملوك الحيرة هو المنذر بن امرئ القيس بن النعمان (٥١٤-٥٥٤م) والمعروف لدى الإخباريين بالمنذر الثالث، وقد لقب بذي القرنين وذلك لصفيرتين كانتا برأسه^(٢) وبابن ماء السماء وهو لقب لأمه وهي مارية بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة وسميت بماء السماء لجمالها وحسنها، وهو المعروف لدى البيزنطيين بـ (Alamoundraras Sacicus) المنذر بن الشقيقة^(٣).

شهدت العلاقات بين المنذر الثالث وقباذ تغييرات كبيرة وهامة لم يسبق وأن طالت طبيعة العلاقة بين الجانبين من قبل. فقد كان الرأي الشائع عن قباذ أنه ذو شخصية ضعيفة مترددة يظهر عكس ما يبطن، وقد كثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس^(٤). وهذا ما بات واضحاً للعيان بعد الانقلاب السياسي الذي حصل في عهده وعزله وعودته للحكم بأيادي أجنبية. على أية حال، إنه لمن الواضح والطبيعي في مجريات ومسار الأمور أن تكون المعادلة التاريخية والسياسية القائمة

(١) مجمع خلقيدونية: هو المجمع الذي دعا له الإمبراطور ماركيان (٤٥٠-٤٥٧م) وذلك لتحديد العقيدة الدينية المتعلقة بطبيعتي المسيح فاعتبر كلا الطبيعتين كاملة مستقلة عن الأخرى، وأنكر نحلة اليعقوبيين والنسطوريين، ويعتبر مذهب خلقيدونية وسطاً بين اليعقوبيين والنسطوريين والخلاص في مذهب خلقيدونية إنما جاء على يد المخلص أو المنقذ الذي يعتبر إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً.

Vasiliev, A. A, History of The Byzantine Empire 324-1453- The University Of Wisconsin – Press – 1957. Vole I –P. 105-170.

(٢) المسعودي، مروج، ج٣، ص٢١٦.

(٣) علي، المفصل، ج٣، ص٢١٨.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٩٥.

بين الحيرة والدولة الساسانية متوازنة ومترابطة. بمعنى، إن ضعف الدولة الكبرى والحليف الأقوى الذي يمثلها جانب الدولة الساسانية يعني ضعف التابعين لها من الحلفاء. ولا يمكن أن نغفل حجم الاضطرابات الكبيرة التي حصلت في عهد قباذ بسبب الانقسامات الحاصلة في البيت الساساني نتيجة ازدياد نفوذ رجالات الدولة بالإضافة إلى الحدث الأهم وهو اندلاع الثورة المزدكية^(١). وهذا ما جرَّ بآثاره على حلفاء الساسانيين العرب الذين مثلَّت الفرس بالنسبة لهم مصدراً ومبعثاً لقوتهم، فعندما يضعف ملك الساسانيين من البديهي أن يضعف حليفه العربي في الحيرة و-وتحديداً- في نظر القبائل العربية الأخرى، التي كانت تبتهل الفرص كي تقوّض من عنفوان وسلطان ملوك الحيرة.

وهذا ما حصل بالفعل، فقد وجدت قبيلة بكر بن وائل الفرصة مواتية لها فملكّت عليها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، وهرب المنذر من مملكته ونزل في قبيلة بني كلب^(٢). ولم تلتبس الأحداث أي ردة فعل من الجانب الساساني على ما آلت إليه الأمور بل على العكس من ذلك، حيث تقول الروايات أن لقاء جمع بين قباذ والحارث الذي لمس الضعف والتردد والانزهاض في شخصية قباذ، والأمر الذي أكد هذه الرواية هو طمع الحارث بأرض السواد في العراق حيث أمر جنوده أن يقطعوا الفرات ويغيروا على السواد^(٣).

تقول الرواية: " فبعث قباذ بن فيروز إلى الحارث بن عمرو يقول: إنه كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد، وإنني أحبّ لقاءك؛ وخرج للقاءه في عدد وعدّة، وجاءه الحارث والتقى بمكان، فأمر قباذ بطبق من تمر فنزع نواه وبطبق آخر على حالته، فوضعا بين أيديهما، وجعل المنزوع بين يدي قباذ، والذي هو بنواه بين يدي الحارث، فجعل الحارث يأكل التمر ويلقى النوى، وقباذ يأكل التمر ولا يحتاج إلى إلقاء شيء. فقال للحارث: مالك لا تأكل كما آكل؟ فقال الحارث: إنما يأكل النوى إبلنا وغنمنا، وعلم أن قباذ يهزأ به. ثم افترقا على الصلح على ألا يتجاوز الحارث

(١) ظهر مزدك في الدولة الساسانية حوالي عام ٤٨٧م وهو من نيسابور ودعى إلى مذهب جديد ينطلق من تعاليم زرادشت وماني. الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، د.ت، ج ١، ص ٢٢٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١، ص ٤١٥.

وأصحابه الفرات، إلا أن الحارث استضعف قباذ وطمع فيه، فأمر أصحابه أن يغبروا الفرات ويغبروا على قرى السواد ففعلوا ذلك، فلما وصل الخبر إلى قباذ قال: (أن هذا من تحت كنف ملكهم). ثم أرسل إلى الحارث بن عمرو يخبره أن لصوصاً من لصوص العرب قد أغاروا وأنه يريد لقاءه. وعند لقاء قباذ بالحارث قال له: " لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد من قبلك" فقال له الحارث: "ما فعلت وما شعرت. ولكنها لصوص من لصوص العرب. فقال له قباذ: فما الذى تريد؟ قال: أريد أن تعطينى من السواد ما أتخذ به سلاحاً، فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات؛ وهو ستة طساسيج^(١)؛ فعند ذلك زاد طمع العرب فيه^(٢).

تنتهي الرواية هنا، ولكن مما يجدر الإشارة إليه، أنه كان هدف الحارث في إلقاء اللوم بما حدث على لصوص من العرب، هو إظهار الأمور على أنها خارجة عن سيطرته وغير قادر على ضبطها، وحتى يستطيع تثبيت دعائم الحكم والسيطرة على هجمات القبائل فإنه يحتاج إلى المال والجنود، فالعرب لا يمكن ضبطهم إلا إذا توفرت السبل والأدوات، المرتبطة بدعم قباذ للحارث.

لقد كانت الظروف التي تعاني منها الدولة الساسانية في ذلك الوقت سواء داخلياً بسبب الفوضى التي أثارها مزدك، أو خارجياً بسبب الهجمات المتتالية للهياطلة في الشرق وترص العدو التاريخي الامبراطورية البيزنطية لقباذ ومملكته في الغرب، قد جعلت قباذ أكثر مرونة في تعامله مع الحارث. وهذا ما جعله يفضل الصمت والسكون وسؤال الحارث عما يريد .

مما لا شك فيه أن الحارث كان يسعى للحصول على مكاسب وتثبيت الوجود العربي على ضفتي نهر الفرات والاستفادة من الأوضاع المقلقة التي كانت تعانيها الدولة الساسانية، وقد تكون تحركات الحارث في العراق هي صدى لما كان يحصل في الجزيرة العربية، فأصول الحارث تعود إلى مملكة كندا العربية في نجد، والدارس في تاريخ الممالك العربية يعرف تمام المعرفة أن مملكة كندا كانت تنافس عرب الحيرة "المناذرة" وعرب الشام "الغساسنة" وتسعى لكسب ود الساسانيين أو البيزنطيين لتقوية نفوذها في شمال وشمال شرق الجزيرة العربية، إضافة إلى العلاقة الطيبة التي كانت تربط بين مملكة كندا ومملكة الحميريين في اليمن، ولهذا فإن تحركات الحارث في العراق كانت مدروسة ذات أهداف وغايات معينة لكسب النفوذ والسيطرة.

(١) طساسيج: جمع طسوج وتعني الناحية. الطبري، تاريخ ج ٢، ص ٩٦.

(٢) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ١٧٩-١٨٠. مسكويه، تجارب، ج ١، ص ١٧٠-١٧٣.

تعددت التكهّنات حول سبب تخلي قباذ عن المنذر وطرده من عرش الحيرة وتعيين الحارث بن عمرو بن حجر الكندي، إحدى هذه التكهّنات هو اعتناق قباذ للدين المزدكي القائل بإباحة النساء والاموال، وأن قباذ طلب من المنذر الدخول في الدين الجديد إلا أن الأخير رفض ذلك وقال " للعرب غيرة لا يسوغ معها الاشتراك في النساء"^(١) ولما أبى المنذر الدخول في الدين الجديد في حين وافقه عليه الحارث فأن قباذ طرد المنذر وملّك الحارث على الحيرة^(٢).

وهناك رواية أخرى تعزو سبب طرد قباذ للمنذر هو انتفاء الحاجة إلى المنذر في ضبط حدود الساسانيين، والسبب في ذلك هو مفاوضات الصلح التي اتسمت بحيز كبير من الود بين الساسانيين والبيزنطيين فالحاجة إلى المنذر قد انتهت، بسبب عقد الصلح الساساني - البيزنطي في عام ٥٠٦م^(٣).

إلا أن هذا الرأي أو السبب تشويه العديد من الثغرات، فإذا بالفعل قباذ لم يعد يعتمد على المنذر كما كان يعتمد سابقاً في حماية الثغور والحدود الساسانية والوقوف في وجه البيزنطيين، فأن نظرة قباذ للحارث الكندي يجب أن تكون على نفس الدرجة من عدم الاهتمام واللامبالاة، ولكن الحقيقة الذي لا يجب إغفالها هي أن الحارث كان على درجة عالية من القوة، مكنته هذه القوة من أن يرسم خطته باتجاه العراق، وبما أن المناذرة الحاصلين على تأييد الساسانيين لهم كانوا يحكمونها، فأن الحارث استغل الفتور الذي انتاب العلاقة بين قباذ والمنذر لأي سبب كان بما في ذلك رفض المنذر للمزدكية، فاستغل هذا الموقف وحصل على تأييد قباذ الذي قام بطرد المنذر. تشير بعض الدلائل إلى بقاء الحارث الكندي حاكماً على الحيرة حتى وصول كسرى أنوشروان لعرش الدولة الساسانية حيث نكل بالمزدكية، وبذلك تمكن المنذر الثالث من العودة لعرشه وملاحقة عدوه الحارث^(٤).

(١) المقدسي، أحسن، ج٣، ص١٦٨.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣٦٩.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون "مقدمة"، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة:

سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ/٢٠١١م، ج٢، ص٣١٧.

(٤) الأصفهاني، تاريخ سني، ص٨٣. ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٣١٨-٣١٩.

Hitti, P.K, History Of The Arabs, London, 1960, p.76

فيما نتحدث مصادر أخرى عن قيام المنذر الثالث عام ٥١٨م بغارة على أملاك البيزنطيين^(١)، مما يعني أن المنذر الثالث قد استعاد عرشه قبل وقت طويل من سقوط المزدكية ٥٢٨م، والتي يرتبط بها مقتل الحارث بن عمرو الكندي الذي قتله المنذر، كما تبطل الادعاء بأن قبول الحارث للمزدكية ورفض المنذر الثالث لها كان السبب في عزل المنذر^(٢).

أغار المنذر الثالث عام ٥١٩م وبدرجة من القسوة والعنف على الأراضي البيزنطية، فغزا الجزيرة وسورية وفلسطين، وخرب أراضي أفاميا^(٣) وحمص. اقتحمت القوات البيزنطية أرزن^(٤) التابعة للساسانيين ونهبوا نصيبين، رداً على تصرف المنذر، وظل العداء مستحكماً بين الجانبين البيزنطي والساساني حتى عام ٥٢٧م^(٥).

وبعد سيطرة قباد على لازيكا كان لا بد لبيزنطة من القيام بالرد ففي عام ٥٢٧م تجددت الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين^(٦)، حين اقتحمت الجيوش البيزنطية بقيادة القائدان بليزاريوس (Belisarius) وسيتاس (Sittas) أرمينيا الساسانية، وقاموا بنهب المنطقة لكنهم لم يوفقوا في الاستيلاء عليها^(٧).

لم تقف الأوضاع الداخلية التي واجهت الامبراطورية البيزنطية بوفاة الامبراطور جوستين الأول في آب من عام ٥٢٧م - لم تقف عائقاً - أمام المسعى البيزنطي في القضاء على الوجود الساساني في الجبهة القفقاسية^(٨)، ف جوستينيان الأول الذي تولى عرش الامبراطورية البيزنطية أخذ

(١) بيغوليفيسكيا، العرب، ص ١٠١.

(٢) العلان، السياسة، ص ١٣٩.

(٣) أفاميا: مدينة قديمة تقع على السفح الغربي لجبل الزاوية، تبعد عن حماة ٦٠ كم في الشمال الغربي، بناها سلوقس نيكاتور (٣١٧-٣٠٠ ق.م) وسماها باسم زوجته الإيرانية. ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م): المسالك والممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٨٨٩م، ج ١، ص ١٨٨، Procopius, History, p. 261.

(٤) أرزن: مدينة قرب خلاط في أرمينية، الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٨٠.

(٥) مهران، محمد بيومي: تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د.ت، ص ٥٨٧.

(٦) شير، تاريخ كلدو، ج ٢، ص ١٦٣.

(٧) Procopius, History, p. 263.

(٨) Blockely, R.C. lists the amount of gold given to the Sasanians by the Roman King as mentioned by chassical in " Subsidies and Diplomacy: Rome and Persia

على عاتقه مهمة مواصلة الحرب ضد الساسانيين وأوعز إلى بليزاريوس بناء قلعة ميندوس (Mindouss) قرب الحدود الساسانية بهدف اتخاذها موضع حصين تجاه نصيبين، وشرع بليزاريوس بكل ما أوتي من همة ونشاط في بناء تلك القلعة مستعيناً بعدد كبير من العمال إلا أن الساسانيين كانوا متيقظين لخطورة بناء تلك القلعة - وهم الذين أخذوا حذرهم منذ حادثة بناء مدينة دارا^(١) - وهذا ما دفعهم للهجوم على تلك القلعة ومنع إكمال بناءها والتقى الجيشان على مقربة منها سنة ٥٢٨م حيث قامت حرب طاحنة بين الطرفين حسمت نتيجتها لصالح الساسانيين الذين قاموا بهدم تلك القلعة^(٢).

كان لنجاح جيوش قباد في تحطيم قلعة ميندوس الأثر الكبير في تقدم جيوشه وسعيهم للقيام بعمل مماثل تجاه قلعة دارا، ولم يكن في وسع الإمبراطور البيزنطي سوى الاستعداد لذلك الهجوم وتعيين بليزاريوس قائداً عاماً لجيشه في الشرق، وأوكل إليه مهمة الدفاع عن دارا، وأورد (بروكوبيوس) أحد المرافقين للقائد بليزاريوس في الحملة تفاصيل الحرب بين الجانبين حيث ذكر أن بليزاريوس توجه للقلعة وبرفقتة ٢٥ ألف مقاتل بيزنطي قسمهم على شكل فرق منظمة وأمر بحفر خنادق دفاعية عدة متصلة بعضها ببعض ولها مخارج، ووزع الفرق العسكرية على تلك الخنادق، ففي حال اضطرت إحدى الفرق للتراجع تقدمت لمساعدتها الفرقة التي تقف خلفها، وصلت الجيوش الساسانية التي بلغ تعدادها ٤٠ ألف مقاتل بقيادة فيروز مهران ونزلت في منطقة أموديوس (Amodius)، وقبل بداية المعركة تبادل الجانبين الخطابات والمراسلات والتي أوهم فيها كل جانب - الآخر - بأن النصر سيكون حليفه، فالحل الأفضل للجانب الآخر هو الانسحاب والقبول بالشروط التي سيفرضها الجانب المنتصر، وكانت آخر تلك المراسلات التي استفزت بليزاريوس هي الرسالة التي أرسلها القائد الساساني فيروز مهران حيث كتب فيها يقول: " ... من الضروري أن تهيأوا لنا غداً الإفطار والحمام ، فبعد أن نستولي على المدينة ونتناول الإفطار، اريد ان اطيح الحمام "، ولم يكن أمام بليزاريوس الذي وصلته تلك الرسالة المستفزة سوى الدخول في حرب كانت بدايتها في شهر تموز من سنة ٥٣٠م، استهلها كلا الجانبين بالترشق بالسهم والنبال، والتي

in late Antiquity, "Phoenix, The Journal of the Classical Associations of Canada, 39. No. I, (SPRING, 1985), PP. 64-77.

(١) دارا: بلدة على جانب نهر الزاب بين نصيبين وماردين. الاصطخري، مسالك، ص ٥٣.

(٢) Procopius, History, p. 265.

رجحت فيها الكفة لصالح القوات الساسانية التي كانت معروفة بمهاراتها في الرمي والإيقاع بالجيش البيزنطي الذي كان يحارب على شكل دفعات، وما إن انتهت سهام الطرفين حتى بدأ القتال رجل لرجل، ولعب التنظيم والترتيب الذي تمتعت به القوات البيزنطية - والذي أشار إليه البحث قبل قليل- لعب دوره في الإيقاع بالجيش الساساني وحسم المعركة لصالح البيزنطيين^(١).

وعلى الرغم من الهزيمة التي منيت بها القوات الساسانية إلا أن قباد رفض الانصياع لمطالب روفينوس ممثل الإمبراطور البيزنطي جوستينيان الأول، لا بل ذهب إلى أبعد من ذلك وأبلغ روفينوس أنه لديه العديد من الشروط والمطالب يجب على بيزنطة القبول بها إذا أرادت لتلك الحرب أن تنتهي، ومن أهم تلك الشروط:

- أن يهدم البيزنطيون قلاعهم في منطقة دارا.

- أن يتعاون الطرفان على حماية الممرات الفقاسية.

- أن يدفعوا تعويضات مالية للساسانيين^(٢).

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه المفاوضات والمراسلات بين الجانبين لعقد الصلح أو إبطاله، كان العرب المناذرة يحاولون استغلال الظروف لصالحهم أيما استغلال، والمتصفح لأخبار ملك المناذرة المنذر الثالث يدرك تماماً مساعي ذلك الملك في مد حدود مملكته والسيطرة على الطرق التجارية والتحكم بها، وكان يحاول بين الفينة والأخرى استغلال الظرف المناسب لإجراء تحالف مع إحدى القوى الكبرى من أجل تحقيق ما يرنو له بناءً على تلك التحالفات.

إن التقاء وتقارب المصالح العربية - الساسانية دفعت ملك المناذرة المنذر الثالث إلى امتلاك زمام المبادرة، واقترح على الملك قباز القيام بحملة على أدسا واجتياز الفرات إلى سورية، والتوغل في أغنى مدنها (أنتيوخيا^(٣)) والتي عُرف عن أهلها انشغالهم بالزراعة والتجارة وتدبير معيشتهم، وترك ثغور بلادهم دون حماية، واقترح على الملك قباز قيادة هذا الجيش وإرشاده ضمن الأراضي

(1) Procopius, History, p. 265.

(2) Procopius, History, p. 266.

(3) أنتيوخيا: (أنطاكية): أفضل مدن بلاد الشام بعد دمشق. الاصطخري، مسالك ص ٦٢. بناها الملك السلوقي سلوقس الأول شمال غلاب سورية عند الطرف الجنوبي لسهل العمق ويحدها شرقاً جبل سيليبوس (Silpios) وغرباً نهر العاصي قرب مصب نر العاصي على بعد عشرين ميل من البحر المتوسط. العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣ ق.م - ٦٤ ق.م، دار الشمال، دمشق، ١٩٩٣م، ص ٣٢٤.

الصحراوية إلى أفضل الطرق وأسهلها^(١). وافق الملك قباد على اقتراح المنذر وأرسل له ١٥ ألف من الجنود الساسانيين بقيادة از ارس، واستطاع سنة ٥٣١م اجتياز مجرى نهر الفرات، والوصول إلى منطقة كوماجينة^(٢) (Commagene) (سُميساط)، حيث تصدى له القائد البيزنطي بليزاريوس وأجبره على الانسحاب إلى كالينيكوس، وهناك رواية أخرى تقول أن جيوش المنذر عبرت من قرقيسايوم إلى مدينة كالينيكوس، ومر في طريقه على سورا (Sura) وبرياليوسوس (Barblissos) (بالس)^(٣) متجهاً في طريقه صوب أنتيوخيا بعيداً عن ضفاف الفرات، وتابع تقدمه نحو مدينة بيبيلوس (Byblus) جبيل إلا أنه لم يستطع التقدم أكثر باتجاه أنتيوخيا، بسبب وصول أخبار مفادها أن القائد البيزنطي بليزاريوس أسرع على رأس ٢٠ ألف من الجيش البيزنطي ومعه ملك الغساسنة الحارث بن جبلة الغساني (٥٢٨-٥٦٩م) وعسكروا في منطقة خالكيس^(٤). لقد وقع هذا النبأ حائلاً أمام تقدم الجيش الساساني نحو أنتيوخيا، ولذا قرر الجيش الساساني وحلفاؤهم من المناذرة التراجع عائدين من حيث ما أتوا، إلا أن هذا التراجع لم يمنع قوات الجيش البيزنطي ومن معهم من الغساسنة اللحاق بهم والسير وراء أعقابهم^(٥). صادف توقف الجيش الساساني للاستراحة ولإعداد وتنظيم القوات من جديد عند كالينيكوس، صادف مع حلول (عيد الفصح) ويعتبر هذا العيد من الأعياد الأكثر قداسة للمسيحيين الذين يصومون قبل حلوله إلى نصف الليل، ولعل هذا السبب يعد السبب الأساسي والوحيد لتوقف القوات البيزنطية عن القتال والاكتفاء بما وصلت له

(١) بيغوليفسكيا، العرب، ج ١، ص ٩٠.

(٢) كوماجينة: وهي مملكة قديمة من العصر الهلنستي، وقعت تحت السيطرة السلوقية خلال فترة حكم أنطيوخس الثالث حتى استقلت عام ١٦٣ ق.م على يد الحاكم المحلي بطليموس وحافظت على استقلالها حتى عام ١٧م حيث جعلت إقليم روماني.

Hazel, J, Who s Who in the Roman World, 2002, p.13.

(٣) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقّة، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت ضفة الفرات الغربية، فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال. الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٢٨.

(٤) خالكيس: (قنسرين) عنجر في الوقت الحالي، مدينة تنسب الكورة إليها وهي من أصغر المدن بها. الاصطخري، مسالك، ص ٦١؛ بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٠٤.

(٥) Procopius, History, p. 267.

من تقدم، وخاصةً بعد أن رأى القائد البيزنطي بليزاريوس ما أصاب جيشه من إرهاب بسبب عناء الطريق والصيام، فقرر إيقاف الحرب وخطب بجيشه خطبة قائلاً فيها: " ... ان الساسانيين بآمال وامنيات كبيرة قاموا بالهجوم على اراضي، إلا أنهم وخوفاً من قواتنا لاذوا بالفرار بحالة من اليأس والفشل الكاملين، أن ملاحقة العدو وإجباره على الحرب أمر لا فائدة لنا به، وهو أمر غير ضروري الان انتصارنا عليهم لا يعني سوى طردهم من بلادنا، وهذا ما حصلنا عليه من دون أي قتال، فعلينا أن نستفيد من هذا النصر، لأن الجميع يعرف أن ملاحقة عدو مهزوم عمل لا فائدة منه، وأننا إذا ما دخلنا المعركة ولم يحالفنا الحظ فيها، فلن يكون لنا من الافتخار بما حققنا شيء ونكون قد عرضنا اراضي الامبراطورية للسلب دون أي داعي للهجوم "(١). لم يكن هذا الخطاب من القائد البيزنطي سوى محاولة منه لمراعاة ظرف الجنود الذين آثر راحتهم والاحتفال بالعيد على أن يستمر في الحرب دون راحة أو استعداد، إلا أن مقاصد بليزاريوس لم تشفع له، فبمجرد الانتهاء من خطابه ، تعالت أصوات الاستهزاء من الجنود وقادتهم واتهموه بالضعف والتخاذل، ما اضطر بليزاريوس إلى تغيير خطته وأسلوب خطابه، وقرر الاستمرار وخطب بهم يشجعهم على القتال قائلاً: " ... أنا لم أكن أعلم قبل ذلك رغبتكم في الحرب ، ولكن الآن عرفت مدى رغبتكم وشجاعتكم، فسوف أسرع لحرب العدو ببال مرتاح وقلب يملئه الأمل"(٢).

وفي ١٩ نيسان من عام ٥٣١م اشتبك الطرفين في معركة كبيرة عند كالينكيوس، ظهر في ساحتها العرب في مواجهة بعضهم البعض، حيث وقف المنذر الثالث بقواته في مواجهة قوات الحارث الغساني التي تمثل الجناح الأيمن للجيش البيزنطي، انتهت تلك المعركة بانتصار لصالح الساسانيين وحلفائهم من المناذرة وقتل النعمان بن المنذر على أرض المعركة(٣).

على أية حال لم تكن النتيجة التي حصل عليها الساسانيون - لم تكن لتسمى بالنصر - فكل ما تحقق على أرض المعركة كان بمثابة عملية دفاع عن النفس أثناء تراجعهم أمام عدوهم الذي تعقب أثرهم بغية طردهم من أراضيهم، ولم تكن الخسائر التي قدموها مقابل تلك النتيجة بالقليلة، ولكن يمكن القول أنها كانت بمثابة خسائر بلا فائدة تذكر، لأن الحملة بجملتها فشلت في تحقيق

(١) Procopius, History, p. 277.

(٢) Procopius, History, p. 279.

(٣) بيغوليفسكي، العرب، ص ١١٢.

هدفها بالتوغل في بلاد الشام والاستيلاء على أنتيوخيا، ولكن الشيء المهم والذي يلمع بالأذهان دون أدنى شك هو تنامي قوة دولة المناذرة، فالأحداث برهنت على قوة وشكيلة قائدها المنذر الثالث وعلى القدرات الكبيرة التي كانت تتمتع بها هذه المملكة، فالمنذر الثالث هو من وضع خطة الهجوم التي تم تنفيذها ونجحت إلى حد ما، وهو الذي أمّن تحركات الجيش الساساني في الطريق الصحراوي، وهو الذي استطاع أن يحقق الهجوم الناجح على الجناح الأيمن للجيش البيزنطي وأن يرجح كفة الميزان لصالح القوات الساسانية في كالينيكوس.

وعلى الرغم من وجود بعض المصادر التي تصف ما حصل مع الساسانيين بأنه حالة دفاع عن ما تبقى من جيوش وأن ما حصل ليس بالنصر ولا بالهزيمة، نجد ان تلك المصادر نفسها تجعل من وصول خبر وفاة الملك قباد إلى الجند سبباً في ترك مهمتهم والعودة إلى بلادهم^(١). ولقد أورد بروكوبيوس رواية وضّح فيها غضب الملك قباد من نتيجة الحملة والضرر الذي لحق بقائدها الساساني از ارس، حيث ذكر أنه: " درجت العادة لدى الساسانيين عندما يستعدون لتجهيز الجيوش ضد عدوهم، أن يجلس الملك على العرش الملكي ويضعون امامه عدة سلال، والقائد الذي اختير لقيادة الجيش يقف الى جانب عرش الملك ويبدأ جنوده بالمرور من امام منصة الملك وكل واحد منهم يرمي (زوبين) (حلقة حديدية حادة وقائلة تشبه تقريباً الهلال) في السلال التي أمامه، وبعد ان ينتهوا يتم غلق السلال و تحفظ في مكان أمين، وبعد عودة الجنود من الحرب يتم إخراج تلك السلال فيأخذ كل جندي زوبين من السلة، ثم يحسب ما تبقى منها، وبذلك يعرفون عدد من قتل منهم من الجنود، وعندما عاد القائد ازارس وحضر بين يدي الملك قباد سأله : هل استوليت على القلعة من البيزنطيين أم لا - يقصد أنتيوخيا - ؟ فأجابه القائد ازارس: بأنه لم يستولي عليها، ولكنه تغلب عليهم في الحرب، عندئذ أمر الملك قباد أن يقف الجنود أمامه ويأخذ كل واحد زوبين من السلة، وبعد ان تم حساب ما تبقى منها تبين له أن عدد كبير من الجنود قد قتلوا في الحرب، فعاقب القائد آزارس على ذلك وعزله عن منصبه"^(٢).

وبعد معركة كالينيكوس أرسل الامبراطور جوستنيان الأول رسوله هرموجين إلى الملك قباد بهدف عقد الصلح بين الدولتين، ولكن قباد رفض قبول الصلح ولم يستقبل رسول جوستنيان، وعزم

(١) بيرنيا، تاريخ إيران، ص ٢٥٦.

(٢) Procopius, History, p. 280.

على تعويض خسارته السابقة فقام بمهاجمة الحدود الشمالية من أرض الجزيرة الفراتية في آب من سنة ٥٣١م وجهز جيشه وأرسله إلى هناك، فحاصروا مدينة ميارفارقين^(١) مرتيروبوليس، وفي الوقت الذي كان فيه سكان المدينة يدافعون عن مدينتهم وصل القائد البيزنطي سيتاس، وقد رافقه روفينوس وهرموجين رسولا الامبراطور جوستنيان الى الملك قباذ، ويبدو أن القائد سيتاس لم يكن راغباً في الدخول في معركة مع الساسانيين، إلا أنه سعى لإرباك الجيش الساساني من خلال بث عيونه الذين أشاعوا بين صفوف الجيش الساساني إشاعة مفادها أن البيزنطيين قد تحالفوا مع الهياطلة وأنهم أعدوا جيشاً كبيراً سيقوم بالهجوم على الجيوش الساسانية، وفي الوقت الذي أخذت فيه هذه الشائعة تأخذ مأخذها في التأثير على القوات الساسانية، جاء خبر وفاة الملك قباذ في ١٣ أيلول سنة ٥٣١م لتضع وفاته حداً للعمليات العسكرية في مرتيروبوليس، فسحبوا أيديهم من محاصرتها وعادوا إلى بلادهم^(٢).

ثانياً: شبه الجزيرة العربية

١- الموقع الجغرافي

تقع الجزيرة العربية في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وتعد من حيث المساحة أكبر شبه جزيرة موجودة في العالم، إذ يبلغ طولها من خليج العقبة إلى باب المندب ٢١٠٠ كم وعرضها من رأس محمد في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء حتى البصرة ١٣٠٠ كم وعرضها من رأس محمد في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء حتى البصرة ١٣٠٠ كم وعرضها الجنوبي من باب المندب إلى مسقط ٢٠٠٠ كم^(٣).

(١) ميارفارقين: أشهر مدن ديار بكر. خسرو، ناصر، سفر نامه: تح: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢،

القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٥١. صفة

(٢) Procopius, History, p. 285.

(٣) باقر، مقدمة في تاريخ، ص ١٧٠-١٧١.

لقد أطلق الجغرافيون العرب على شبه الجزيرة العربية صفة "جزيرة العرب" لإحاطة المياه فيها من كل الجوانب^(١). يحيط بها من الشرق الخليج العربي الذي أطلق عليه العراقيون القدماء (البحر الجنوبي)، ومن الشمال نهر الفرات، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب المحيط الهندي^(٢). وفريق آخر يرى أنه يطلق على هذه الرقعة الجغرافية اسم جزيرة العرب انطلاقاً من أن الحد الشمالي يبدأ من نقطة على البحر المتوسط من غزة جنوب فلسطين ليمر خط هذا الحد جنوبي البحر المتوسط متجهاً جنوباً حتى ينتهي عند الخليج العربي^(٣)، وبالتالي فإن الحد الشمالي يصبح حداً مائياً وبذا تصح تسمية هذه الرقعة الجغرافية باسم جزيرة، وهناك رأي آخر حول تسميتها بالجزيرة على اعتبار أن هذه المنطقة تشبه جزيرة بشرية يتحدث سكانها اللغة العربية وتحدها (غير الحدود البحرية) مجموعات بشرية تتحدث بلغات أخرى، وهكذا يقول ياقوت في معجمه: "تسمى جزيرة العرب لأن اللسان العربي فيها شائع وإن تفاضل"^(٤) وعليه فإن كلا التسميتين لا زالتا في الاستخدام في الدراسات الحديثة.

تختلف التضاريس في شبه الجزيرة باختلاف أجزائها إذ يغطي بعضها كثبان رملية والبعض الآخر صخور. وتمتد على طول ساحل البحر الأحمر سلسلة جبال السراة^(٥) كما تحوي الحرات^(٦) وصحراء الدهناء والنفوذ^(٧). وقد قسمها العرب إلى خمسة أقسام هي: "تهامة"^(١)، والحجاز^(٢)، ونجد^(٣)، والعروض^(٤)، واليمن^(٥).

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ص ١٨٧.

(٢) علي، المفصل، ج ١، ص ١٤٠-١٤١.

(٣) الواسعي اليماني، عبد الواسع بن يحيى: تاريخ اليمن، فرجة الهموم والحزن، منشورات مكتبة اليمن الكبرى، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ١١٠.

(٤) يحيى، لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص ٨٩.

(٥) السراة: أعلى كل شيء، وسمي السراة لعلوه. الحموي، معجم البلدان ج ٢، ص ٢٣٠.

(٦) الحرات (الحرار): جمع حرة، وهي توجد على امتداد المنطقة الغربية من الجنوب قرب باب المنذب حتى حوران في سورية. وهي أراضي ذات حجارة سوداء، يقول عنها ياقوت الحموي "حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار".

الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٧) حتي، تاريخ العرب، ص ٤٢-٤٣.

يغطي الجزء الأكبر من أراضي شبه الجزيرة العربية صحارى وأراضي قاحلة، ولذا يغلب على مناخها الجفاف^(٦). ونظراً للطبيعة الجغرافية للجزيرة العربية فأماطارها قليلة وتتنوع في فصلي الخريف والشتاء في المناطق الشمالية، في حين أن الجزء الجنوبي أماطاره موسمية في فصل الصيف، ولندرة الأمطار في مناطق الجزيرة نجد أن من أسمائه (المطر) عند العرب (الغيث) لأنه يأتي إليهم بالإغاثة من الإفقار وسنوات المحل والجفاف، كما ارتبط التعلق عندهم بالمطر وأهميته بما عرف من صلاة الاستسقاء أو الاستمطار^(٧).

وعلى الرغم من إحاطة المسطحات المائية للجزيرة العربية، إلا أن هذا الواقع الجغرافي لم يغير من جفاف المنطقة شيئاً.

٢- الأهمية الاستراتيجية لشبه الجزيرة العربية

تمتعت شبه الجزيرة العربية بموقع استراتيجي هام، حيث شكلت حلقة اتصال في التجارة الدولية بين الشرق، وتوفرت فيها الكثير من المنتجات الهامة كاللبان والسدر والتمر والصمغ وغيرها والتي كانت تستخدم في المعابد والكنائس وتحنيط الموتى. وكان للبحر الأحمر دور كبير في تاريخ شبه الجزيرة والذي شكل مع الخليج العربي وحدة ملاحية متكاملة ومترابطة تحيط بالجزيرة العربية^(٨). وهذا ما جعل من الجزيرة العربية معبراً سهلاً وقصيراً للتجارة بين الشرق والغرب،

(١) تهامة: الأرض الواطئة الممتدة بمحاذاة البحر الأحمر، وسميت بذلك لشدة حرها وركود ريحها. الاصطخري، مسالك، ص ٢٦.

(٢) الحجاز: يقع شمال اليمن وشرق تهامة ويتكون من عدة أودية تتخلل سلسلة جبال السراة.

الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٠ وما بعد.

(٣) نجد: قفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف وجمعها نجد. البكري، معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٩٨.

(٤) العروض: سميت عروضاً لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق. والعروض هو الشيء المعترض والعرض الجانب. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٦.

(٥) الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تح: دافيو مولر، لندن، ١٨٨٤، ص ٥٨.

(٦) أبو العلا، محمود طه: جغرافية المملكة السعودية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١٤٤.

(٧) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص ١٠٦.

(٨) الناصري، سيد أحمد علي: الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، ص ٤٠١.

وملتقى للطرق بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، وهذا ما دفع الدول المهتمة بالتجارة للعمل على فرض نفوذها على السواحل العربية، رغبة منها في التحكم بمنافذ البحار المحيطة بها^(١). انعكست طبيعة المناخ والطبيعة الجغرافية للمنطقة على الثروة الحيوانية، وكان على رأس القيمة في هذه الحيوانات الجمل والذي يستطيع أن يتعايش مع الظروف المناخية للمنطقة، ولذا حظي باهتمام بالغ عند العرب للاستفادة منه في جميع مناحي الحياة، كدابة للحمل والأسفار البعيدة، ويستفاد من لحومها وألبانها وجلودها وأوبارها، وعد الجمل أيضاً من مقاييس الثروة وهو يؤخذ به كمهر للعروس وبه تدفع ديات القتلى. ووجدت حيوانات أليفة أخرى مثل الخيول والبغال والحمير والحصان الذي يعتبر أعلاها شأنًا، حيث كان يستخدم للأغراض العسكرية وللمهارات الرياضية ورمزاً للوجاهة والثراء^(٢).

ولقد شكلت الطرق التجارية التي تخلفت شبه الجزيرة العربية مركزاً هاماً للسفن المتجهة شمالاً عبر البحر الأحمر أو الخليج العربي، أو للقوافل المتجهة نحو الجنوب وكان لا بد من مرور السفن والقوافل التجارية عبر موانئ الجزيرة. وهذا ما جعل من الجزيرة العربية ميداناً للصراع بين الدول الكبرى المهتمة بعالم التجارة كالإمبراطورية البيزنطية، ومن دار في فلكها كدولة الأحباش، وبين الدولة الساسانية. فكل منهم كانت ترغب في السيطرة على هذا الجزء من العالم فالسيطرة عليه يعني التحكم بطرق التجارة التي تمر فيه، وبالتالي التحكم في تجارة الشرق الأقصى^(٣).

٣- الساسانيون وشبه الجزيرة العربية خلال عهد قباد

أ- أسباب الصراع الساساني-البيزنطي على الجزيرة العربية

شهدت الساحة الدولية صراع القوى الكبرى المتمثلة بالدولة الساسانية والإمبراطورية البيزنطية فقد سعت الأخيرة للحصول على مناطق نفوذ لها في شبه الجزيرة العربية بعد سيطرتها على أجزاء من نهر الفرات شرقاً، إلى بلاد الشام وتخوم بلاد العرب، وكان لا بد لبيزنطة من الدخول في صراع مع القوة الأخرى التي كانت تنافسها في المنطقة والتي مثلتها الدولة الساسانية، وهذا ما جعل

(١) الإعلان، السياسة، ص ١٤٩.

(٢) يحيى، العرب، ص ١١٧.

(٣) الإعلان، السياسة، ص ١٤٩.

الحرب سجلاً بين الطرفين لكي تحافظ كل منهما على مصالحها وحدودها التي كانت مشتركة في كثير من الأوقات، كمنطقة الفرات التي كانت منطقة حدودية مشتركة بين الطرفين، تتغير فيها السيطرة من وقت لآخر، فتارة تقع تحت تبعية الامبراطورية البيزنطية وأخرى تقع في يد الساسانيين، وهذا كان مرتبطاً بمدى الاستقرار والضعف الذي كانت تمر به كل واحدة من القوى المسيطرة^(١).

وكما كانت الجزيرة الفراتية بما ضمته من مساحات واسعة في العراق وبلاد الشام مسرحاً مهماً للصراع بين الطرفين باعتبارها ملتقى لطرق التجارة بين الشرق والغرب^(٢)، فالأوضاع لم تختلف عنها في شبه الجزيرة العربية، فقد كانت سفن العرب تبحر من موانئ الخليج العربي وساحل اليمن إلى موانئ الهند الغربية وإلى ساحل جنوب الهند، حيث يلتقون هناك بالتجار الصينيين، ويحصلون منهم ومن التجار الهنود على بضائع الصين والهند ويبيعونهم بضائع شبه الجزيرة العربية الثمينة^(٣).

ومن موانئ شبه الجزيرة العربية كان التجار العرب ينقلون على متن سفنهم وعلى ظهور قوافلهم البضائع الصينية والهندية إلى فارس والشام ومصر وساحل الحبشة، وهذا ما أدى لثراء العرب بسبب التجارة التي تنتجها جزيرتهم والتي كانت عاملاً أساسياً في رواج بضائعهم لجميع المناطق، إلا أن هذا الثراء عاد بالنقمة على العرب من قبل القوى الكبرى والشعوب المجاورة لشبه الجزيرة العربية والذين حاولوا السيطرة عليها مراراً وتكراراً^(٤).

شكلت تجارة الحرير وطريق الحرير^(٥) أحد الأسباب الرئيسية في الصراع الساساني البيزنطي، حيث سعى الساسانيون لتقليص تجارة البيزنطيين البحرية المباشرة مع الهند، الأمر الذي

(١) باقر، مقدمة، ص ١٣٠ وما بعد.

(٢) عبد المنعم، ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، القاهرة، ١٩٥٦م، ج ١، ص ٢٠٧-٢١٠.

(٣) حميد، عبد الرحمن: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٣٤.

(٤) في عهد الاسكندر المقدوني حاول الإغريق فتح بلاد العرب بهدف السيطرة على التجارة وطرقها، ولكنهم فشلوا، ثم تكررت هذه المحاولة في عهد البطالمة في مصر، حاولوا الوصول بأساطيلهم إلى جنوب المنطقة، وداء الرومان وأمروا واليهيم على مصر بتجهيز حملة تنطلق من مصر للسيطرة على بلاد العرب. الشريف، أحمد ابراهيم: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٥١-١٥٢.

(٥) طريق الحرير: وقد ربط هذا الطريق بين الدولة الساسانية وبين الغرب لأنه كان يصل بين مدينة سوسة وأفسوس. ونتيجة لذلك فقد مارس الساسانيون احتكارهم لتجارة الحرير وحالوا دون قيام علاقات تجارية بين الصين

أدى لتراجع حركة السفن البيزنطية في المحيط الهندي والخليج العربي، واكتفت سفنهم بالوصول إلى باب المندب والسواحل الإفريقية^(١). حاولت بيزنطة التخلص من احتكار الفرس لتجارة الشرق وحرمانهم من الأموال التي تعود إليهم من تجارة الحرير الصيني، فساعدوا الأحباش في الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربية، وحاولوا التقرب منهم أكثر بعدما أصبحوا مسيطرين على مضيق باب المندب المدخل الرئيس للبحر الأحمر^(٢).

كان من مصلحة العرب في شبه الجزيرة العربية التعامل المستمر مع القوى الخارجية الطامعة بالسيطرة على مداخل ومخارج طرق التجارة عبر الجزء الذي تمر به هذه الطرق من جزيرتهم، لذلك فقد اتبع العرب سياسة التحالف مع القوى الكبرى لتحقيق أكبر قدر من المصالح التجارية^(٣).

والامبراطورية البيزنطية لحرمانهم من جني فوائد تلك التجارة. كان طريق الحرير ينطلق من آسيا الصغرى، حتى أفسوس ثم أباميا، ثم ينحدر نحو الجنوب، ويمر بمدينة Zeugma على نهر الفرات ثم يتجه نحو الشمال الشرقي فيمر بأديسا وإلى نصيبين ثم يتجه نحو الشمال الشرقي فيقطع نهر دجلة عند فيشخابور ثم ينحدر جنوباً إلى الموصل ويتجه نحو الشرق إلى أربيل حيث يتفرع فرعان أحدهما نحو الشرق إلى اكبثانا (همدان) والآخر نحو الجنوب الشرقي إلى سوسة. ومن زوجما باتجاه رسينا Resaina ثم يستمر إلى حران ثم سنجار ثم يسير إلى زاكوره Zagura ومنها إلى الموصل ويستمر نحو الجنوب فيمر بالحضر ومن الحضر يتجه نحو الشرق حيث يقطع نهر دجلة عند آشور، ومن زوجما كان يخرج باتجاه الجنوب حتى يصل إلى تدمر ومن تدمر يتجه نحو الشرق فيتصل بطريق يحاذي منها الفرات حتى يصل إلى المدائن. كما كانت هناك عدة طرق محلية ترتبط بالطريق الرئيسي التي كانت تسلكه القوافل لنقل الحرير بين الشرق والغرب، فمن بابل في العراق كان يتجه طريق نحو الشرق إلى اكبثانا (همدان) ثم يسير إلى بلخ ثم يستمر ليصل إلى الهند. وطريق آخر يقطع آسيا الصغرى من خليج أسوس Issus على البحر المتوسط حتى ميناء سينوب Sinop على البحر الأسود والطريق الرئيس الآخر الذي يمر بسورية ثم يربط العراق بمصر. وإلى جانب ذلك يوجد طريق آخر في أقصى الشمال ينطلق من شمال البحر الأسود وبحر قزوين ويمر بمنغوليا ثم يصل إلى بكين. والواقع أن معظم هذه الطرق التي تم ذكرها هي مسالك عربية، وهذا ما يؤكد أهمية المنطقة العربية في التجارة الدولية في ذلك الوقت. انظر أكثر: فرانك، أيريم؛ براونستون، ديفيد: طريق الحرير، تر: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، د.ت، ص ٢٨٢-٢٨٦.

(١) علي، المفصل، ج ١، ص ١٧٠-١٧١.

(2) Shahid, Irfan. " Byzantia Arabica, The Conference of Ramla, A, D," Jorunal of Near Eastern Studies, XXXIII, 1964, P.130.

(3) سالم، عبد العزيز: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٨٨، ٢٠٣.

لقد كانت للطرق التي تسلكها القوافل العربية من شمال سبه الجزيرة العربية إلى جنوبها أهمية بالغة بالنسبة للساسانيين والبيزنطيين في ذلك الوقت، لكونها المدخل الرئيسي لبسط النفوذ السياسي، وتحقيق الأهداف الدينية، في جنوب المنطقة خلال القرن السادس الميلادي. وهذا يعني أن السيطرة على الأرباح التجارية لأعمال القوافل في الصين والهند كانت السبب الرئيسي ومحرك للأحداث التي شهدتها شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، ومن ثم اجتمعت هذه العوامل مع غيرها، ليحتدم الصراع بين القوتين العظيمتين الذي بدأت مراحله منذ السنوات الأولى للميلاد، واستمرت حتى أوائل القرن السابع الميلادي.

ب- النشاط السياسي الساساني وشبه الجزيرة العربية

اقتصرت نشاط الساسانيون في شبه الجزيرة العربية على الخليج العربي والمحيط الهادي، ولم يعثر على أي نشاط أو تواجد للقوة البحرية الساسانية في البحر الأحمر، وذلك بسبب السيطرة البيزنطية شمالاً، ولتحالف بيزنطة مع الأحباش في الجنوب، وهذا يعني وجود قوتان متوازيتان مسيطرتان على المياه العربية^(١).

حاولت الدولة الساسانية مد نفوذها في الجزيرة العربية، وفرض سيطرتها على مكة في عهد قباد الذي اتبع مذهب مزدك وعزل بني نصر الذين رفضوا اعتناق مذهبه وقبول دينه، لقد كان قباد من أكثر المتعصبين والمتحمسين لنشر الدين الجديد فلقد طلب من الحارث أن يأخذ العرب المعدية من أهل نجد وتهامة إلى جانب الدين المزدكي، ومع صول التيار المزدكي إلى مكة حصل انقسام بين مؤيدين ومعارضين للانضمام إليه فقد وقفت قبيلة قريش موقفاً متعارضاً فمنهم من تزندق ومنهم من امتنع وكان على رأس الممتنعين عبد مناف. الذي رفض الانضمام للدين الجديد بالسيف وقال: "أنا لا أتبع بالسيف وأترك دين اسماعيل وإبراهيم" فبلغ ذلك الحارث الذي أرسل إلى قباد يعلمه بما حدث، فأمره قباد أن ينهض إلى مكة ويهدم البيت وينحي عبد مناف ويزيل رئاسة بني قصي، إلا أن الحارث الذي ساورته حميته العربية كره أمر قباد فدرأ عنهم وشغله بغيرهم^(٢).

(١) كريستنسن، إيران، ص ١١٦.

(٢) ابن سعيد، نشوة الطرب، ج ١، ص ٣٢٧.

وقد بلغ الصراع الساساني - البيزنطي أوجه في العربية الجنوبية (اليمن) وكان الهدف منه اقتصادي بحت وهو السيطرة على المنافذ البحرية والخطوط التجارية الداخلية، إلا أنه ارتدى عباءة الدين كي يستطيع كل طرف جذب الحلفاء ليكونوا وقوداً لحرب الغاية منها أطماع ومكاسب اقتصادية ومد نفوذ تجاري للدول المتحاربة.

٤- اليمن

أ- الموقع الجغرافي والأهمية الاستراتيجية

تقع اليمن في الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية، تطل على الخليج العربي من الشرق وخليج عمان، وتحاذي في الجنوب بحر العرب، ومن الغرب البحر الأحمر^(١). ولقد منح هذا الموقع اليمن أهمية كبيرة لوقوعها على أهم الطرق التجارية البرية والبحرية، الأمر الذي ساعدها على أن تلعب دوراً خطيراً في التجارة الدولية بين جنوب شرق آسيا وأفريقيا وأوروبا.

تعددت الروايات حول سبب تسمية العربية الجنوبية باليمن فمنهم من قال أن اسمها مشتق من اليمن والبركة، أو لأنها تقع يمين الكعبة، وبعضهم قال لأنها تقع يمين الشمس لأن اليمن أقدم من الكعبة^(٢). وقد عرفت عند العرب القدماء باسم اليمن السعيد واليمن الخضراء، حيث قيل أنها سميت بالخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزرعها^(٣).

تحتوي اليمن على سلسلة جبال السراة التي تطل على البحر الأحمر ولا يفصلها عنه سوى سهل ضيق يمتاز بخصوبته الشديدة ويسمى هذا السهل "تهامة اليمن" حيث تكثر فيه القرى والمدن نتيجة غناه بالأشجار والمزروعات. وبفعل الرياح الموسمية فأن الأمطار تسقط على اليمن في فصل الصيف وهذا الأمر ساعد على ازدهار الزراعة في أماكن كثيرة منه. وأنشأ السكان الخزانات والسدود كان أعظمها سد مأرب^(٤).

(١) ابن خردادبه، المسالك، ص ١٥٢.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج ٤، ص ٤٠١.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٥١.

(٤) Tibbts, G, R, Pre Islamic Arabia and South East Asia JMBRAS, vol. 56, 1956, p.204.

ساعد موقع اليمن على جعلها عقدة وصل تجارية بين الدول، فكانت لها علاقات تجارية مع الهند ومصر وممالك البحر المتوسط، حيث كان التجار اليمانيون ينقلون البضائع بواسطة السفن بحراً أو عن طريق البر بواسطة القوافل^(١). وقد شكل ميناء عدن سوقاً كبيراً لتجار اليونان والرومان وكانت لهم فيها جاليات تجارية. لقد جعل موقع بلاد اليمن الجغرافي الهام - جعل منها - مثار طمع وحسد من جيرانها الذين كانوا يتطلعون للسيطرة عليها والإفادة من خيراتها واستغلال تجارتها.

ب- التنافس الساساني-الحبشي على اليمن

لم يقتصر الاهتمام السياسي للدولة الساسانية والامبراطورية البيزنطية على المنطقة القفقاسية والجزيرة الفراتية بل تعدتها إلى شبه الجزيرة العربية ذات الأهمية التجارية، فقد سعت بيزنطة للتخلص من الاحتكار الساساني للتجارة ولا سيما تجارة الحرير المارة بالمناطق الواقعة تحت السيطرة الساسانية، لذلك فأنها سعت للاتصال المباشر بمنابع التجارة الشرقية عن طريق البحر الأحمر^(٢). وعلى اعتبار أن منطقة بلاد الشام التي تمثل القسم الشمالي لهذا الطريق تقع تحت سيطرة بيزنطة، فأنها كانت بحاجة للسيطرة على القسم الجنوبي (اليمن)، لذلك لجأت بيزنطة إلى الطرق الدبلوماسية للسيطرة على اليمن من خلال التقرب من الحبشة^(٣) التي كانت تدين بالنصرانية والتي هي بدورها كانت تطمع بالسيطرة على اليمن كونها كانت تراها امتداداً طبيعياً لممتلكاتها^(٤). كذلك الحال بالنسبة للساسانيين الذين كانت تربطهم مع اليمن علاقات تجارية راجعة، فقد تحركت سفنهم في ميناء (أدوليس Adulis) عدولي^(٥) وها ما جعل بيزنطة تتوجس من حدوث

(١) زيدان، عرب قبل العثمان، ص ١٧٨.

(٢) عثمان، الحدود، ج ١، ص ١٢٠.

(٣) الحبشة (أثيوبيا): سميت الحبشة بهذا الاسم نسبةً إلى القبائل اليمنية التي هاجرت إلى سواحل أفريقيا بين عامي ٢٣٢-٢٥٠م كيني حبيش والجعر التي تنسب إليهم اللغة الجعزية لغة أهل الحبشة ويسمى العرب ملكهم بالنجاشي أو ملك أكسوم نسبةً إلى عاصمتهم أكسوم. علي، المفصل، ج ٣، ص ٤٤٩.

(٤) الشريف، مكة والمدينة، ص ١٦١.

(٥) عدولي: ميناء حبشي اشتهر كأهم ميناء في البحر الأحمر قبل الإسلام، ولا سيما لتجارة المرور (الترانزيت) ولتسويق السلع الإفريقية مثل العاج والرقيق، واشتهر بصناعة نوع من السفن تسمى العدولية. بيغوليفسكا، العرب، ص ١٨٩ الهامش.

تقارب بين الطرفين، لأن هذا التقارب يعني وقوع طريق البحر الأحمر في قبضة الساسانيين وبذلك يحكمون حصارهم لبيزنطة ويحرمونها من تجارة الشرق العربي.

تدخل العامل الديني في نسج العلاقات التي قامت بين العربية الجنوبية والدول الخارجية، وهذا ما توضح بشكل كبير خلال الصراع الذي قام بين الدولة الساسانية والامبراطورية البيزنطية، للسيطرة على القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية. فقد قامت الأحلاف على أساس العامل الديني وهذا ما جعل من الحبشة حليف للدولة البيزنطية على اعتبار أن لكلاهما أطماع في الجنوب العربي، وكلاهما يتوحدان في الدين، لذلك اتخذت من السبب الديني وسيلة لكسب نصارى اليمن إلى جانبهم. وهذا ما دفع الحميريين للقيام برد فعل معاكس وبدأوا ينشرون اليهودية في اليمن^(١).

لقد ساعدت الأوضاع السياسية للقوى العظمى في تلك الحقبة - ساعدت - النصارى على تسلم مقاليد الأمور، وأسعفهم في ذلك تردي الأوضاع الداخلية في الدولة الساسانية نتيجة الثورة المزديكية. وتجدد النزاع في شمال شبه الجزيرة العربية بين قبيلة كندة واللميين، بالإضافة إلى التغييرات التي حصلت في حمير نفسها فقد تمكن الأكسوميون وبالتعاون مع النصارى أن ينصبوا معد يكرب يعفر على العرش والذي لم يكن من ضمن الأسرة الحاكمة ولم يكن ابن ملك^(٢). لذلك عدّ معد مغتصباً للسلطة وفق التقاليد المتبعة في وراثة العرش. تنصر أهل اليمن من الحميريين على مذهب اليعاقبة المناسب لمذهب الأحباش وهذا ما أثار حفيظة اللخميين الذين اتخذوا موقفاً معادياً من معد لاعتباره مغتصباً للسلطة، إلا أن اتفاقاً للصلح قد عقد بين الجانبين^(٣) كان قد أبقي الأمور على ما هي عليه إلى أن تمكن ملك حمير اليهودي النزعة ذو نواس^(٤) من انتزاع العرش

(١) خربوطلي، شكران: شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ١٩٩٢م، ص ٢٤١.

(٢) كويشانوف، بوري ميخائيلوفتش: الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاتها بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الميلادي، تر: صلاح هاشم، عمان، ١٩٨٨م، ص ٣٠.

(٣) كويشانوف، الشمال، ص ٣٣.

(٤) ذو نواس: آخر ملوك حمير، اسمه زرعة بن زيد بن كعب بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وسمي ذو نواس لذؤابة (شعر في أعلى الناصية) كانت تنوس - تتذبذب - على رأسه. الدينوري، الأخبار الوال،

من معد يكرب عام ٥١٧م، وبذلك أصبحت الديانة اليهودية هي الديانة الرسمية لحمير، وهذا يعني قطع العلاقات السياسية مع الحبشة^(١).

يعود أصل الأحباش إلى اليمن، وهم قبيلة عربية يمانية ورد اسمها في النقوش القديمة باسم (احبشت) تركوا اليمن وتوجهوا نحو بلاد الحبشة وأسسوا حكومة لهم في أكسوم^(٢).

شغلت مملكة الأحباش اهتمام زعماء اليمن على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، فكان كل طرف من الزعماء يحاول التحالف مع مملكة أكسوم لإلحاق الهزيمة بخصومه السياسيين. وهذا ما فتح المجال أمام الأحباش لتحسين الفرص التي يستطيعون من خلالها غزو اليمن وهذا ما حصل بالفعل في القرن الثاني بعد الميلاد^(٣).

قد تكون رغبة بيزنطة في السيطرة على الجزيرة العربية أحد أهم الأسباب التي دفعت حلفائهم الحبشيين لغزو اليمن التي استمروا في احتلالهم لها من عام (٣٤٠-٣٧٨م) حيث طردهم الحميريين منها^(٤). وبالمقابل فإن اليمن كانت قد أعلنت تحالفها مع الساسانيين فتطلعات الأحباش المستمرة إلى اليمن لغزوها كانت أحد دوافع عقد التحالف والصداقة بين اليمن والساسانيين.

امتد النزاع بين اليمانيين والأحباش ليشمل دولاً أخرى، ومن الطبيعي أن تكون القوتين الكبيرتين في تلك المرحلة الدولة الساسانية والامبراطورية البيزنطية ضمن دائرة الدول التي دخلت في خضم النزاع في العربية الجنوبية.

ص ٦٣. وسمي يوسف بعد اعتناقه اليهودية. الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك اليمن وأقيال حمير، تح: اسماعيل بن أحمد الجرافي، علي بن اسماعيل المؤيد، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٤٧.

(١) كوبيشانوف، الشمال، ص ٣٣.

(٢) دروزة، محمد عزت: تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، المطبعة المصرية، صيدا، ١٩٦١م، ج ٥، ص ٧١.

(٣) دوزة، تاريخ، ج ٥، ص ٧١.

(٤) العارف، ممتاز: الأحباش بين مأرب وأكسوم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٤٣.

رغب الساسانيون لمرات عديدة في إيجاد موطن قدم لهم في اليمن وذلك بسبب قرب اليمن من مراكز نفوذهم في السواحل الشرقية من الجزيرة العربية في عمان والبحرين والإحساء^(١). وكان الساسانيون على صلة بهذه المنطقة عبر إمارة الحيرة العربية.

وعندما ساءت العلاقات بين قباد والامبراطور البيزنطي أنستاسيوس الأول وخليفته الامبراطور جوستين الأول، تورطت اليمن في هذا النزاع الذي استمر (٥٠٦-٥٢٧م) وفي هذه المرحلة آزرت بيزنطة ضد الساسانيين وذلك عندما قام الملك اليماني الحميري معد يكرب بمحاربة المنذر بن ماء السماء الثالث (٥٠٥-٥٥٤م) ملك الحيرة وحليف الساسانيين سنة ٥١٦م.

لم تختلف أطماع الامبراطورية البيزنطية عن عدوتها الساسانية في اليمن فقد كانت تطمح لتنظيم الأمور فيها بما يخدم مصالحها ويضمن حماية خطوط تجارتهم عبر البحر الأحمر. فتخوف بيزنطة كان قائماً على أساس احتمال سيطرة الساسانيين على خطوط التجارة في البحر الأحمر بالإضافة إلى نفوذهم الذي لا يمكن نكرانه في شرق الجزيرة العربية مما جعل المصالح الاقتصادية لبيزنطة تحت رحمة الساسانيين^(٢).

إن تخوف بيزنطة من تسرب النفوذ الساساني إلى العربية الجنوبية كان قد دفعها لمحاولة إيجاد نفوذ لها في اليمن وذلك عن طريق تسلل سلمي ديني، سعت بيزنطة لتتصير الحبشة وإرسال البعثات الدينية إليها^(٣) حتى توظف الدين في خدمة مصالحهم الاقتصادية، وربما هذا ما يفسر اهتمام البيزنطيين بنشر النصرانية في اليمن والحبشة مما يجعل المنطقة التي تمر بها تجارتهم عبر البحر الأحمر أو الطريق البري من اليمن إلى بلاد الشام تحت هيمنة أقل ما يقال عنها أن شعوبها أخوة لهم في الدين. إلا أن تحول ذو النواس (٤٩٠-٥٢٥م) لليهودية لم يكن لقناعة دينية، بقدر ما كان موقفاً سياسياً أراد فيه معارضة النصرانية متمثلة في حمايتها من الأحباش وحلفائهم البيزنطيين الذين أصبح نفوذهم في ازدياد في بلاده فأصبحوا خطراً على استقلالها. وهذا ما دفعه للبحث عن حليف قوي يمكن أن يتعاون معه. ومن الطبيعي أن يجد ذو النواس في الساسانيين أعداء بيزنطة مراده.

(١) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٩٦-٩٧.

(٢) زيدان، عرب، ص ١٤٩.

(٣) حتي، تاريخ العرب، ج ١، ص ٨٠.

فهناك إذاً مصالح مشتركة بين الساسانيين واليமானيين في الموقف من الأحباش، وهذا ما دعى ذو النواس لإرسال سفارة إلى ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء سنة ٥٢٤م يطلب فيها التحالف والوقوف في وجه الأحباش، وكان ذلك بعد قيام ذي نواس بتحويل كنيسة النصارى في ظفار إلى معبد لليهود وقتل القسس الأحباش وتحرك منها نحو نجران التي كانت أقوى قاعدة للنصرانية في اليمن، فقتل منهم ثم حفر أخدوداً في الأرض وأوقد فيه النيران ثم جاء بالنصارى فخير بين إلقائهم في النار في حال بقائهم على دينهم، وبين اليهود وسلامة أبدانهم^(١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى حادثة الأخدود، فقال تعالى " والسماء ذات البروج واليوم الموعود، وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود"^(٢). ما دفع نصارى اليمن للاستجداد بامبراطور بيزنطة جوستين الأول الذي أثر عدم التدخل بشكل مباشر في أوضاع اليمن، وزود نجاشي^(٣) الحبشة كالب الاصبحة^(٤) بسفن كثيرة لنقل الرجال إلى اليمن^(٥).

قد تكون الأسباب التي دعت جوستين الأول لعدم التدخل المباشر عديدة منها: تأييد الساسانيين لموقف ذو نواس فأثر عدم مجازفته بالقيام بعمل عسكري مباشر ضد اليمن. كما أن بعد اليمن عن بلاده يجعل أي عمل عسكري مباشر محفوفاً بالمخاطر. لذلك فإنه حاول أن ينيب عنه الأحباش في ذلك، وفي حال احتلال الأحباش لليمن فإن جوستين سيضمن مصالح بلاده التجارية من ناحية، ومن ناحية أخرى سيكون قد وجه صفقة سياسية للساسانيين الذين لا يمكن تجاهل مطامعهم في اليمن.

وفي المقابل فإن ذو نواس لم يتلق أية مساعدة أو معونة لا من الساسانيين ولا من اللخمييين، وذلك لأن قباذ كان يهيب نفسه لمواجهة نهائية مع المزدكية، ولا يمكنه الدخول في مغامرة عسكرية

^(١)Francesco, Gabriel, Ashort history of the Arabs, Robert Hale London, Bristol Typesetting co. LTD. 1965, P.25.

^(٢) القرآن الكريم، سورة البروج، آيات ١-٤.

^(٣) النجاشي: من الكلمة الحبشية نجوس بمعنى ملك. زيدان، عرب، هامش ١٤٦.

^(٤) كالب الاصبحة: تعني الا (Elle) ذو او لال، أما (اصبحة) فاسم أجداده أو قبيلته التي انحدر منها. علي، المفصل، ج٣، ص ٤٧٠.

^(٥) الطبري، تاريخ، ج٢، ص ١٢٤.

في الجنوب العربي في وقت أدت فيه الأحداث إلى تقلص حجم التجارة الدولية على سواحل بلاد العرب الجنوبية^(١).

وبالفعل حصلت معركة بين اليمانيين والأحباش بقيادة "أرياط" دارت الدائرة فيها على جيش ذي نواس الذي يئس من الانتصار فأقحم فرسه في عرض البحر وغرق^(٢)، وفي رواية أخرى أنه قتل على يد الأحباش سنة ٥٢٥م وسيطرت الحبشة على اليمن^(٣).

(١) العلان، السياسة، ص ١٦٠.

(٢) المقدسي، أحسن، ج ٣، ص ١٨٥.

(٣) موسكاتي، سبتينو: الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٩٣.

الخاتمة

توصل البحث عن الدولة الساسانية في عهد قبادز ٤٨٨-٥٣١م إلى استنتاجات عديدة يمكن أن نوجز أهمها كالتالي:

- إن إعلان الزرادشتية ديناً رسمياً في الدولة الساسانية، وما تبع ذلك من حصول رجال الدين الزرادشتي على امتيازات كثيرة، وثروات طائلة، ومكانة اجتماعية وسياسية ودينية مرموقة ومدعومة من قبل ملك الملوك، ووقوف الملك إلى جانبهم في وجه كل من يعارض هذا الدين، قد قاد إلى تأثير العامل الديني وتدخله في جميع المفاصل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الدولة الساسانية، وهذا ما أدى إلى تدمير كبير، ودفع الطبقات الدنيا في المجتمع للقبول بأية محاولة أو حركة تستطيع أن إجراء تغييرات على الواقع الصعب، في الوقت الذي كان فيه من الصعب بل من المستحيل - في أغلب الأوقات- التغيير في النظام الطبقي الاجتماعي والانتقال من طبقة إلى أخرى وفق النظام العام الذي وضعه أردشير، والذي اتخذ شروط صارمة وقاسية في هذا المجال، ولم يجز الانتقال لطبقة أعلى إلا في حالات نادرة جداً.

- كان للظروف السيئة والأوضاع المتدهورة التي عانى منها المجتمع الساساني من قحط استمر لسبع سنوات وتأزم الوضع الاقتصادي نتيجة هجوم قبائل الهياطلة على الحدود الشرقية للبلاد وكثرة الحروب في عهد الملك فيروز، كان لكل هذه الظروف دوراً كبيراً في تمهيد الأمور للملك قبادز كي يسعى لاتخاذ العديد من الاجراءات لتغيير هذا الواقع، والقيام بالعديد من المحاولات لتغيير الواقع الاجتماعي في ظل النظام الطبقي البغيض، وتزامن ذلك مع ظهور الحركة المزدكية والتي تعد من أعنف الحركات التي قامت في تاريخ الدولة الساسانية الذي امتد لأربعة قرون، وأدت هذه الحركة إلى إحداث خلل كبير في بنية المجتمع الساساني، وشملت جميع مفاصل ومؤسسات البلاد، وقادت فيما بعد إلى سيل من الدماء، وتفسخ اجتماعي كبير ظهرت آثاره على تركيبة المجتمع الساساني نفسه.

- شكلت الزرادشتية أداة عظيمة في يد المقتدرين من المجتمع الساساني الذين حددوا دينهم على ما يناسب وجهات نظرهم ومصالحهم، ولم يكن تعصب رجال الدين الزرادشتي مبنياً على مسائل دينية بقدر ما كان مبنياً على أسس سياسية، فقد تسلطوا في الدولة وفرضوا السيادة المطلقة وأصبحوا بمثابة دولة داخل الدولة الساسانية. ولم يتمتع أتباع الديانات الأخرى في إيران بالحرية

الدينية فقد كانوا مقيدين ومضطهدين كأتباع الديانات القديمة كالديانة المسيحية أو الديانات الجديدة كالمانوية والمزدكية، ولم يهنأ أتباع الديانة المسيحية براحة البال ومساحة من الحرية في ممارسة المعتقدات إلا عندما كانت المسيحية ديانة عادية، لكن عندما تبنت الامبراطورية الرومانية الديانة المسيحية وأعلنتها الديانة الرسمية للإمبراطورية، بدأت الولايات والاضطهادات المستمرة لمعتنقيها، وهذا ما ظهر بشكل جلي في عهد قباذ والذي كان من أهم الأسباب لحدوث الصراع والحروب بينه وبين بيزنطة.

- إن الناظر إلى تاريخ الدولة الساسانية قد يرى للوهلة الأولى أن ما من تغييرات جذرية حاسمة حصلت في تاريخ الدولة، إلا أنه بمقارنة المسيرة التاريخية التي مرت بها الدولة قبل حكم قباذ وبعده، والتعاطي مع الأبعاد الثلاثة (الملك والدين والمجتمع) يرى أن التغييرات التي أقدم عليها الملك قباذ لم يتمكن أحد من ملوك الدولة الساسانية أن يقوم بها أو يمتلك الجرأة والقوة والشكيلة والحنكة السياسية لفعل ذلك، فقد استطاع قباذ إدارة اللعبة السياسية بكل دراية فاستعان لفترة من الزمن بالمزدكية وتبناها بشكل مؤقت حتى يضرب القوى المتنفذة في الدولة والتي تمثلت بطبقة الأشراف ورجال الدين ويعمل على تقويض صلاحياتهم، وعلى الرغم من تأمر رجال الدولة على قباذ وتجميع قواهم ضده، ونجاحهم في عزله عن عرشه، إلا أنه كان مصمماً على إعادة هيكلة الدولة التي اختلسها رجال الدين، وسعى لاستغلال جميع الظروف المحيطة لصالحه. وعندما تمكن من تثبيت دعائم حكمه وتعزيز قوته ومكانته بعد عودته للحكم للمرة الثانية فإنه أول ما قام به هو العمل على كسر شوكة المزدكية التي أصبح وجودها يشكل خطر على قباذ نفسه، وقام بعدد كبير من الإصلاحات وإن لم يستطع أن يقطف ثمارها في زمانه إلا أنه وضع الخطوط العامة والهامة لابنة كسرى الذي أتمها وسار عليها.

- أن المزدكية لم تكن عبارة عن حركة أو دعوة دينية بقدر ما كانت ثورة اقتصادية واجتماعية ضد الواقع الطبقي المتناقض والظالم في ذلك الوقت، لقد خرجت المزدكية من رحم المعاناة والحرمان الذي عاناه المجتمع، حتى أنه ظهرت العديد من الآراء والتوجهات الاشتراكية التي اعتبرت أن حركة مزدك كانت تمثل الصورة الأولى للشيوعية لطالما أكدت على أن الناس جميعهم خلقوا متساوين في كل شيء وفي حقوقهم وواجباتهم، ودعا إلى الاشتراك في المال والنساء.

- لم تكن العلاقات بين الدولة الساسانية والامبراطورية البيزنطية حديثة عهد، بل كانت علاقات قديمة ومتوارثة تحكمها الحروب والمهادنات والمعاهدات، ولكن يمكن استنتاج أن النزاع المتوارث بين الدولتين والذي استمر قرابة أربعة قرون (٢٢٦-٦٥١م) له أسباب عدة منها:

أسباب سياسية: تمثلت في الرغبة الشديدة لكلا الدولتين في الحصول على مكاسب سياسية لكل منهما على حساب الدولة الأخرى في مناطق ذات أهمية سياسية واستراتيجية.

أسباب اقتصادية: والتي كان لطريق الحرير الذي يعتبر أحد أهم المنافذ الاقتصادية في تلك الحقبة والذي كان يقع بمعظمه بيد الساسانيين أحد أهم أسباب الصراع الاقتصادي في المنطقة العربية.

أسباب دينية: لقد أدى اتخاذ الامبراطورية البيزنطية للمسيحية ديانة رسمية لها منذ سنة ٣١٣م إلى تحول هذا الأمر لسبباً أساسياً وهاماً في أن ينظر الساسانيون لرعاياهم من معتقي الديانة المسيحية على أنهم حلفاء لعدوهم التقليدي بيزنطة، وهذا ما دفع ملوكهم لمضايقتهم، وكانت هذه المضايقات أحد أهم الأسباب للقيام بالحرب بين الطرفين.

- لم يبتعد العرب عن مسرح الصراع السياسي بين الدولتين، فلقد هيأت ظروف ذلك الصراع للمدن والمناطق الواقعة على التخوم الفاصلة بينهما لأن تتمتع بنوع من الاستقلالية، وأن تزيد نشاطها السياسي إلى درجة ساعدتها في أن تسهم في أحداث ذلك الصراع، وإقامة علاقة صداقة وتحالف مع القوى الكبرى في تلك الحقبة كما فعلت دولة المناذرة بوقوفها إلى جانب الساسانيين ودولة الغساسنة بوقوفها إلى جانب البيزنطيين، فأخذت على عاتقها كلا الدولتين حماية حدود الدولة الساسانية والامبراطورية البيزنطية، وشاركت في الحروب الدائرة بينهما كل منها إلى جانب حليفه.

- لقد دفعت رغبة الساسانيين في الحفاظ على أمن حدودهم الغربية والجنوبية الغربية، دفعتهم للتحالف مع القبائل العربية فقد عاضدوا مملكة الحيرة العربية لتكون كياناً حاجزاً بينهم وبين تحركات القبائل واستطاع الساسانيون نتيجة تحالفاتهم أن ينفذوا إلى الساحل الغربي من الخليج العربي فامتد نفوذهم إلى عمان والبحرين.

- لم يقتصر تأثير المزدكية وما حصل من اضطرابات في الدولة الساسانية على إيران فقط بل جرّت هذه الاضطرابات بويلاتها على العرب وخاصة على ملوك الحيرة حلفاء الدولة الساسانية، وقد

أدرك قباذ قوة العرب وسطوتهم الاقتصادية على الطرق التجارية وحاول بحنكته العمل على تحجيم هذه القوة من خلال بث النزاع والفرقة بين العرب أنفسهم، وذلك عندما قام بدعم الحارث الكندي - الذي لربما فهم اللعبة السياسية في ذلك الوقت واتبع المزدكية - من أجل السيطرة على الحيرة وكبح نفوذ المنذر بن ماء السماء الذي رفض اعتناق المزدكية. وما يهم من ذلك كله هو القول أن الملك قباذ قد استخدم جميع الوسائل لكبح أي محاولة عربية قد تبرز كقوة نافذة على مجريات الأحداث الدولية، ولا يخفى على أحد طموحات المنذر حينها في خلق قوة عربية ذات ثقل، وهذا ما عرفه وفهمه قباذ فاستعان بالحارث الكندي لإضعاف هذه القوة وإشغال فتيل الفتنة بين العرب، وإدخالهم في حرب تستنزف قوة الطرفين وطبعاً كانت المزدكية هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى ما يبتغيه.

- لقد اختلفت المصادر في تحليل شخصية قباذ وإعطاء صورة حقيقية عنه، فبعضهم رأى به حاكماً بانياً قوياً وفاتحاً، ومنهم من ذكره بالعديد من النعوت كالكسل والمدارة والتحايل وبأنه ذا وجهين لا يحب القتال. إلا أن رؤية البحث تختلف عن ما نعتته المصادر، لأن ما ذكر بحق قباذ من صفات سيئة تخالف ما ذكر من مجريات الأحداث في البحث. ويرى البحث أن هذا الملك يعد من أقوى وأكثر الملوك جرأة وذكاء، وصاحب حنكة سياسية وبصيرة، فقد استطاع امتلاك ناصية الأمور وتحدي كبار رجالات الدولة، وعلى الرغم من أنهم تمكنوا من عزله، إلا أنه بقي مصمماً على الاستمرار في سعيه لكسر شوكتهم ووأد تسلطهم، ولم يتردد في أول فرصة سنحت له عند عودته للحكم من اجتناث شأفتهم والحد من سلطة الارستقراطية العليا، وأنه ليس من المغالاة إذا قلنا بأن الدولة الساسانية استعادت قوتها من جديد، ووقفت على قدميها واستعادت دورها السياسي أثناء حكم الملك قباذ لها.

الملاحق

ملحق رقم (١)

ملوك الدولة الساسانية وسني حكمهم حتى عهد قباد

اسم الملك	اسم الملك	سني حكمه
١- أردشير الأول	Ardshir I	٢٢٦-٢٤١ م
٢- سابور الأول	Shapur I	٢٤١-٢٧٢ م
٣- هرمزد الأول	Harmizd I	٢٧٢-٢٧٣ م
٤- بهرام الأول	Bahram I	٢٧٣-٢٧٦ م
٥- بهرام الثاني	Bahram II	٢٧٦-٢٩٣ م
٦- بهرام الثالث	Bahram III	٢٩٣-٢٩٣ م
٧- نرسي	Narssai	٢٩٣-٣٠٣ م
٨- هرمزد الثاني	Harmizd II	٣٠٢-٣٠٩ م
٩- سابور الثاني	Shapur II	٣٠٩-٣٧٩ م
١٠- أردشير الثاني	Ardshir II	٣٧٩-٣٨٣ م
١١- سابور الثالث	Shapur III	٣٨٣-٣٨٨ م
١٢- بهرام الرابع	Bahram IV	٣٨٨-٣٩٩ م
١٣- يزدجرد الأول	Yazdigird I	٣٩٩-٤٢٠ م
١٤- بهرام الخامس	Bahram V	٤٢٠-٤٣٨ م
١٥- يزدجرد الثاني	Yazdigird II	٤٣٨-٤٥٧ م
١٦- هرمزد الثالث	Harmizd III	٤٥٧-٤٥٩ م
١٧- فيروز	Firuz	٤٥٩-٤٨٤ م
١٨- بلاش	Balash	٤٨٤-٤٨٨ م
١٩- قباد الأول	Kawadh I	٤٨٨-٥٣١ م

الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٨٥، (٩٠-٩٢)، ٩٦، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨، (١١٤-١١٥)،

١٢٨، ١٣٥، ١٥٨، ١٦٢، ١٧٣. اليعقوبي، تاريخ، ج ١، ص ١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ١٦٥،

١٦٨، ١٧٤؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٦٥. البيروني، الآثار، ص ١٣٣، ١٣١.

ملحق رقم (٢)

أباطرة الامبراطورية البيزنطية المعاصرون لملوك الدولة الساسانية حتى عهد قباد

اسم الامبراطور	اسم الامبراطور	مدة حكمه
١- دقلديانوس	Diocletionus	٢٨٤-٣٠٥
٢- قسطنطين الأول الكبير	Costantine I	٣٠٦-٣٣٧م
٣- قسطنطين	Conastantine I	٣٣٧-٣٦١م
٤- جوليان (يولييان) المرتد	Julian	٣٦١-٣٦٣م
٥- جوفيان (يوفيان)	Jovian	٣٦٣-٣٦٤م
٦- فالنر	Valens	٣٦٤-٣٧٨م
٧- ثيودوسيوس الأول الكبير	Theodosius I	٣٧٩-٣٩٥م
٨- أركاديوس	Arcadius	٣٩٥-٤٠٨م
٩- ثيودوسيوس الثاني	Theodosius II	٤٠٨-٤٥٠م
١٠- مارقيان	Marcian	٤٥٠-٤٥٧م
١١- ليو الأول	Leo I	٤٥٧-٤٧٤م
١٢- ليو الثاني	Leo II	٤٧٤-٤٧٤م
١٣- زينون	Zenon	٤٧٤-٤٩١م
١٤- أناستاسيوس الأول	Anastisius I	٤٩١-٥١٨م
١٥- جوستين الأول	Justin I	٥١٨-٥٢٧م
١٦- جوستنيان الأول	Justinian the Great	٥٢٧-٥٦٥م

جيون، اضمحلال الامبراطورية، ص ٦٦٧-٦٧١.

ملحق رقم (٣)

قائمة بأسماء المدن التي شيدها قباد

اسم المدينة	موقعها	المصادر
ايران شاذ كواد	بين حلوان وشهر زور	ابن الفقيه، البلدان، ص ١٩٨.
شهر اباد كواد	بين جرجان وأبر شهر	الأصفهاني، تاريخ، ص ٥١.
أزامد كواد (أرجان)	فارس	ابن الفقيه، البلدان، ص ١٩٨.
هنبو شابور	بجانب المدائن	الأصفهاني، تاريخ، ص ٥١.
خابور كواد	الموصل	الأصفهاني، تاريخ، ص ٥١.
أبر قباد كسردي	السواد	الأصفهاني، تاريخ، ص ٥١.
بهقباد	بغداد	الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥١٦.
شهر قباد	بين أرجان وأبر شهر	الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٧٨.
<u>قُباد خُرّه</u>	فارس	الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠٣.
<u>قَبَلَةُ</u>	قرب الدريند من أعمال أرمينيا	الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠٧.

المحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٣.	بين أصبهان وطبس	مِهْرَجَان
القزويني، آثار البلاد، ص٤٣٣.	بين همذان وحلوان	قَرْمِيسِين
القزويني، آثار البلاد، ص٥١٢.	مدينة كبيرة بأران	بَرْدَعَة
القزويني، آثار البلاد، ص٥١٣.	تقع في أَران	بَيْلَقَانُ
الحميري، الروض المعطار، ص١٩٥.	على بمقربة من شهرزور وخانقين	حَلَوَان
ابن كثير، البداية والنهاية، ص٢٧.	فارس	أَرَجَان

الملحق رقم (٤)

خارطة الدولة الساسانية



Figure 6.2: Map of the Sasanian empire: fourth century CE

Parvaneh Poursh, Decline and Fall of the Sasanian Empire, The Sasanian-Parthian Confederacy and the Arab, I.B. Tauris & Co Ltd , New York, 2008,p.472.

الملحق رقم (٥)

خارطة أرمينية



Figure 1: Strategic Location of Armenia¹⁶¹

Nicholas Vladimir Strunc, What Role Did the Sassanid Empire Truly Play in the Fall of the Western Roman Empire? Exploring Divergences in Causal Frameworks, Honors Theses. 2015, p 74.

الملحق رقم (٧)

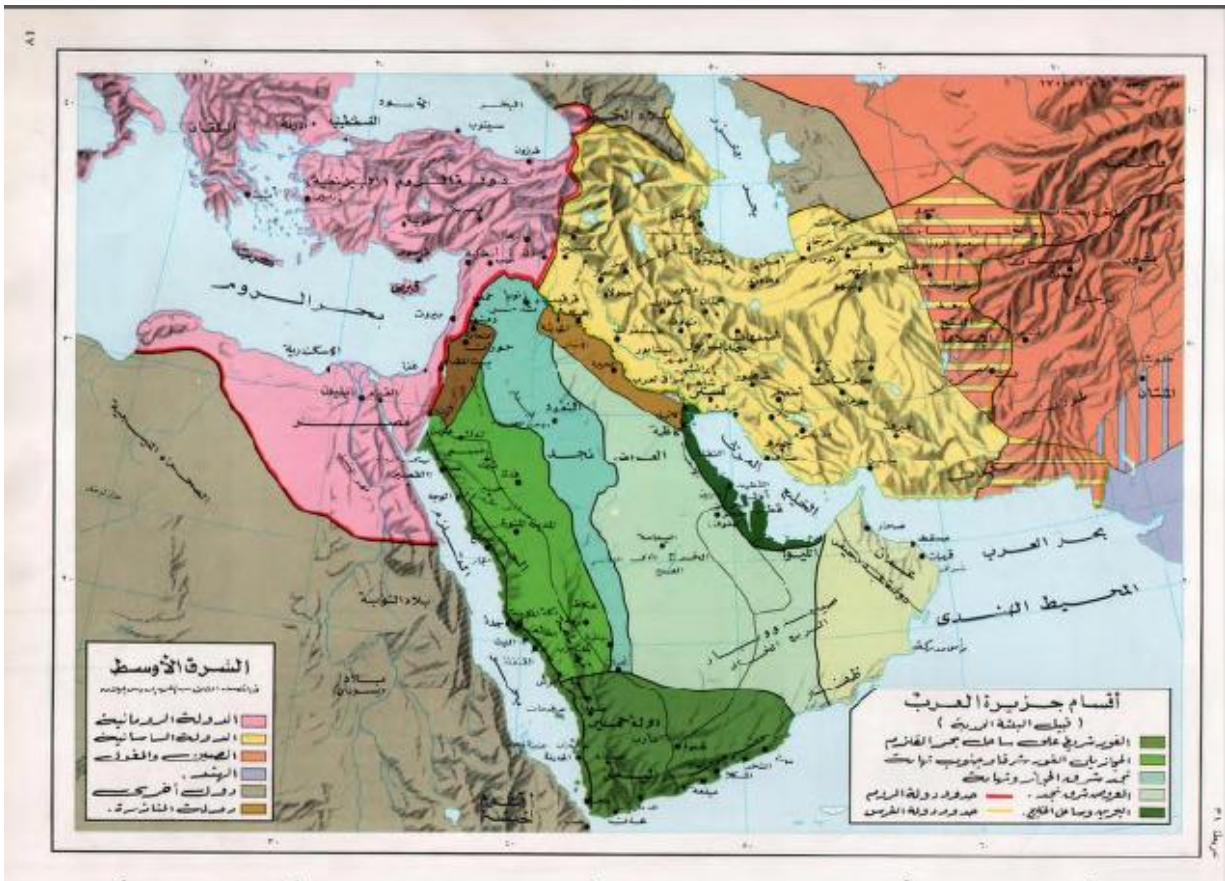
خارطة لازيكا



<https://en.wikipedia.org/wiki/Lazica>

الملحق رقم (٨)

الجزيرة العربية قبل الإسلام وتظهر فيها الحيرة.

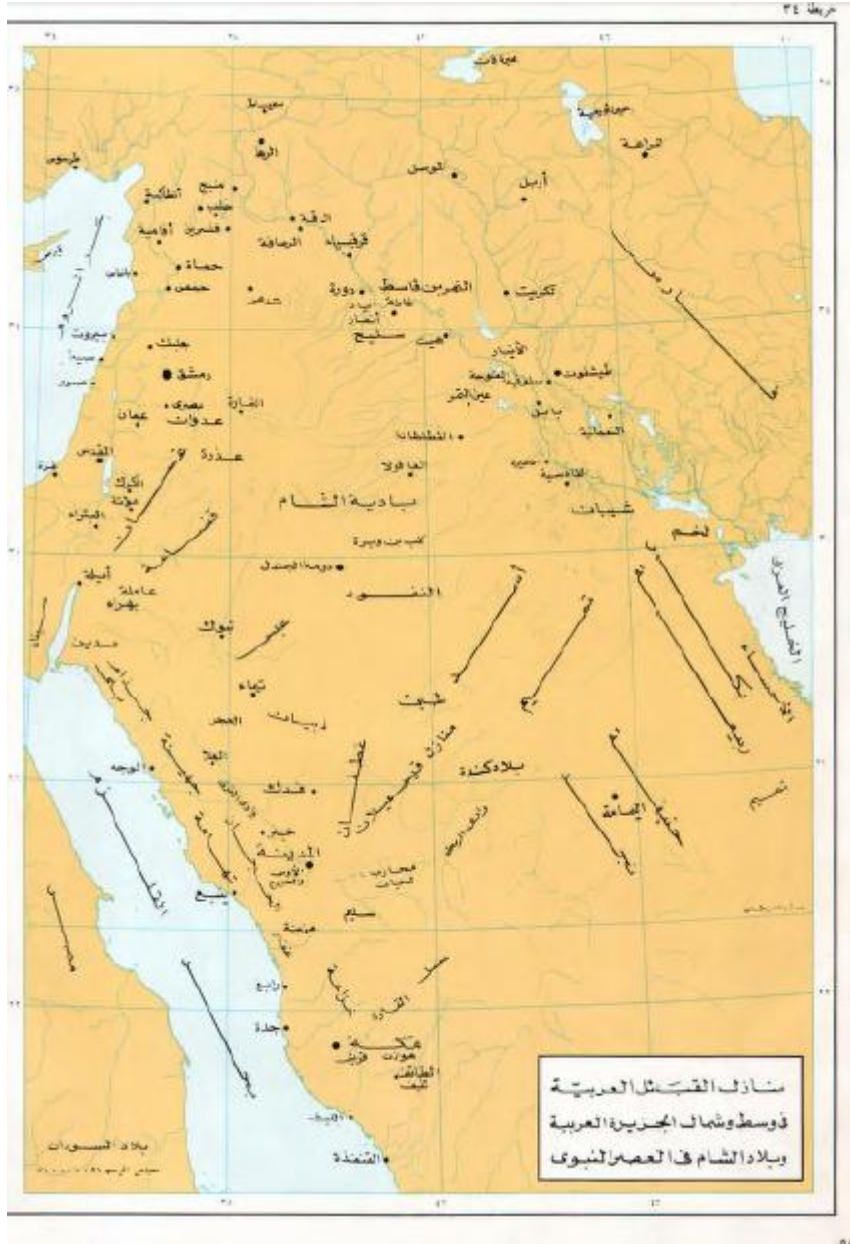


حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١٤٠٧هـ/

١٩٨٧م، ص ٤٧

الملحق رقم (٩)

قبائل الجزيرة العربية وتظهر فيها الحيرة.



حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١٤٠٧هـ،

١٩٨٧م، ص ٥٨

الملحق رقم (١٠)

ملوك الحيرة



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية

- * ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
- ١- الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- * الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م):
- ٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- * الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):
- ٣- مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، نسخة مطبعة بريل، لندن، ١٩٣٧م.
- * الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م):
- ٤- تاريخ أصبهان (ذكر أخبار أصبهان)، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- * الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٩م):
- ٥- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.
- ٦- الأغاني، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
- * الباخري، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م):
- ٧- دمية القصر وعصرة أهل العصر، تح: محمد التونجي، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٣م.
- * البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):

- ٨- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- * البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م):
- ٩- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- * البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):
- ١٠- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- * البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):
- ١١- جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- * البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م):
- ١٢- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ١٩٥٨م.
- ١٣- الآثار الباقية عن القرون الخالية، بلا. ط، ١٩٢٣م.
- * الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م):
- ١٤- غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٣م.
- ١٥- تحفة الوزراء، تح: سعد أبو ديه، دار البشير، عمان، ١٩٩٤م.
- ١٦- لطائف المعارف، تح: إبراهيم الأنباري، حسن كامل حسن، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- * الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م):
- ١٧- التاج في أخلاق الملوك، تح: أحمد زكي باشا، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥م.
- * الجهشيارى، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م):
- ١٨- كتاب الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة الباوي، القاهرة، ١٩٨٣م.

- * ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
- ١٩- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٢٠- **تليس ابليس**، تصحيح: محمد منير الدمشقي الأزهرى، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
- * ابن حبيب، محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م):
- ٢١- **المحبر**، تح: أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.
- * ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):
- ٢٢- **جمهرة أنساب العرب**، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٢٣- **الفصل في الملل والأهواز والنحل**، تح: محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٥٨م.
- * الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):
- ٢٤- **معجم الأدباء**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٥- **معجم البلدان**، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٧.
- * الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م):
- ٢٦- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٧٥م.
- ٢٧- **نشوان بن سعيد: ملوك اليمن وأقيال حمير**، تح: اسماعيل بن أحمد الجرافي، علي بن اسماعيل المؤيد، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.
- * ابن حوقل، محمد أبو القاسم النصيبى (ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٩م):
- ٢٨- **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.
- * الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

- ٢٩- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها المعروف بتاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- * ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):
- ٣٠- تاريخ ابن خلدون "مقدمة"، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ/٢٠٠١م.
- * ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):
- ٣١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- * الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م):
- ٣٢- مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م.
- * الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داؤود ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):
- ٣٣- الأخبار الطوال، ضبطه: محمد سعيد الرفاع، مكتبة السعادة، ط١، مصر، ١٣٣٠هـ/١٩١١م.
- * الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
- ٣٤- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- * ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م):
- ٣٥- الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩٠.
- * الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):
- ٣٦- تاج العروس في جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الهداية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- * السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م):
- ٣٧- طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- * ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
- ٣٨- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، د.ت.

- * السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م):
- ٣٩- كتاب الأنساب، تح: عبد الله الباروني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- * الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م):
- ٤٠- الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م.
- * الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٩٠هـ/١١٩٤م):
- ٤١- المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تح: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٩٨٧م.
- * ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطيب الملطي ت ٦٨١هـ/١٢٦٨م):
- ٤٢- تاريخ مختصر الدول، تح: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط ٢، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- * العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر شهاب الدين (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):
- ٤٣- لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧١م.
- * الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م):
- ٤٤- تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٣م.
- * أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م):
- ٤٥- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ماك كوكين، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٤٦- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبى، القاهرة، د.ت.
- * ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م):
- ٤٧- مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.
- * ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م):
- ٤٨- عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ٤٩- المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- * القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٤م):
- ٥٠- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- * القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):
- ٥١- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩١٥م.
- * الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م):
- ٥٢- كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار قتيبة، ط ١، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- * المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):
- ٥٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.
- ٥٤- التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.
- ٥٥- أخبار الزمان ومن أباداه الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ط ١، ١٩٣٨م.
- * مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):
- ٥٦- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، طهران، سرويش، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- * المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي البشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩١م):
- ٥٧- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط ٢، مدينة ليدن، ١٩٠٦م.
- * المقدسي البلخي، المطهر بن طاهر (ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م):
- ٥٨- البدء والتاريخ، المنسوب لأحمد بن سهل البلخي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- * المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):
- ٥٩- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، ١٩٥٦م.
- * ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/١٣١١م):
- ٦٠- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- * المهلب، الحسن بن أحمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

٦١- الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمع وتعليق تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦م.

* النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن اسحاق (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

٦٢- كتاب الفهرست، تح: رضا تجدد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

* النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

٦٣- نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

* الهمذاني، الحسن بن أحمد بن يعقوب:

٦٤- صفة جزيرة العرب، تح: دافيو مولر، لندن، ١٨٨٤، ص ٥٨.

* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٦٥- تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، ١٩٩٣م.

رابعاً: المصادر الفارسية

* ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م):

١- تاريخ طبرستان، تر: أحمد محمد منادي، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

* ابن البلخي (ت بعد ٥١١هـ/ ١١١٧م):

٢- فارس نامه، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣- تنسر، أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام، تر: يحيى الخشاب، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٤م.

* خسرو، ناصر:

٤- سفر نامه: تح: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية للكتاب، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٣م.

* خوان مير، غياث الدين بن همام الدين (ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):

٥- تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تهران، ١٩٥٥م.

* الطوسي، نظام الملك (ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م):

٦- سير الملوك أو سياست نامه، تر: يوسف حسين بكار، دار القدس، بيروت.

- * الفردوسي، منصور بن فخر الدين (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م):
- ٧- **الشاهنامه**، تر: الفتح بن علي البنداري، قارنها وأكمل ترجمتها عبد الوهاب عزام، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣م.
- * الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت ٤٤٣هـ / ١٠٥١م):
- ٨- **زين الأخبار**، تر: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- * المستوفى، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر قزويني:
- ٩- **تاريخ كزیده**، مر: عبد الحسين نوائي، جابخانه فردوسي، انتشارات أمير كبير، ١٣٣٦هـ.
- ١٠- **نزهة القلوب**، تح: محمد دبیر سياقي، مط حیدري طهران، ١٣٣٦هـ، القسم الأول من المقالة الثالثة.
- * النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م):
- ١١- **تاريخ بخارى**، تر: أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، ط٣، مصر، ١٩٦٥م.
- * الهروي، سيف بن محمد بن يعقوب:
- ١٢- **تاريخ نامه هرات**، مط بابينست مش، كلكتا، ١٩٤٣.

خامساً: المراجع العربية

- ١- الأحمد، سامي سعيد؛ الهاشمي، رضا جواد: **تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول**، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٨م.
- ٢- الألوسي، محمود شكري البغدادي: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تصحيح محمد بهجت الأثري، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت.
- ٣- اسكندر، فايز نجيب: **مملكة أرمينية الصغرى بين الصليبيين ودولة المماليك الأولى**، الاسكندرية، ١٩٨٠م.
- ٤- الأفغاني، سعيد: **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٩٣م.

- ٥- أمين، أحمد: فجر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ٦- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل وجزيرة العرب وبلاد الشام وبعض الحضارات والأمم القديمة وبلاد إيران والإسكندر المقدوني والسلوقيون - اليونان والرومان)، دار الوراق للنشر، ط١، بغداد، ٢٠١١م.
- ٧- بخيت، عبد الحميد: عصر الخلفاء الراشدين التاريخ الديني السياسي والحضاري، دار المعارف، ط٤، مصر، ١٩٧٧م.
- ٨- البستاني، بطرس: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت.
- ٩- ابن البطريق، سعيد افتيشيوس: كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥م.
- ١٠- التونجي، محمد: المعجم الذهبي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٩م.
- ١١- معجم المعربات الفارسية منذ بواكير العصر الجاهلي حتى العصر الحالي، مر: سباعي محمد سباعي، مكتبة لبنان، ط٢، بيروت، ١٩٩٨م.
- ١٢- الثعالبي، عبد العزيز، مقالات في التاريخ القديم، جمع وتعليق: جلول الجريبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
- ١٤- الجاف، حسن: موسوعة تاريخ إيران السياسي من التاريخ الأسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية، الدار العربية للموسوعات، ط١، بغداد، ٢٠٠٧م.
- ١٥- جمعة، بديع محمد: من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٦- حافظ، فؤاد حسن: تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ١٧- حامد، عبد القادر: زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة نهضة مصر، ط١، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ١٨- حبي، يوسف: كنيسة المشرق، بغداد، ١٩٨٨م.
- ١٩- حتي، فيليب؛ جبور، جبرائي؛ جرجي، إدوارد: تاريخ العرب، دار الكشف للطباعة والنشر والتوزيع، ط١٣، بيروت، ٢٠٠٩م.

- ٢٠- الحديثي، قحطان عبد الستار؛ الحيدري، صلاح عبد الهادي: دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، جامعة البصرة، بغداد، ١٩٨٦م.
- ٢١- حسنين، عبد النعيم محمد: قاموس الفارسية، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ٢٢- حماد، حسين فهد: موسوعة الآثار التاريخية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ٢٠٠٣م.
- ٢٣- حمد، حسين علي: قاموس المذاهب والأديان، دار الجبل، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٢٤- حمد، محمد عبد الحميد: الزندقة والزنادقة "تأريخ وفكر"، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ١٩٩٩م.
- ٢٥- حمور، عرفان محمد: أسواق العرب، دار الشورى، ط٢، بيروت، ١٩٨١م.
- ٢٦- حميد، عبد الرحمن: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.
- ٢٧- حنا، نهى وآخرون: موسوعة كنوز المعرفة، دار نظير عبود، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٢٨- الحنفي، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٢٩- خربوطلي، شكران: شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ١٩٩٢م.
- ٣٠- الخربوطلي، علي: المسعودي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٣١- الخشاب، يحيى: التقاء الحضارتين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٣٢- خطاب، محمود شيث: أرمينية بلاد الروم، دار قتيبة، ط٤، دمشق، ١٩٩٠م.
- ٣٣- الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٣٤- الخلف، جاسم محمد: جغرافية العراق الطبيعية، والاقتصادية، والبشرية، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٥م.

- ٣٥- أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.
- ٣٦- دائرة المعارف الإسلامية، تر: أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورسيد، عبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠م.
- ٣٧- الدباغ، تقي الدين: فكر الدين القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢م.
- ٣٨- دروزة، محمد عزت: تاريخ الجنس العربي في مختلف الأقطار والأدوار والأقطار، المطبعة المصرية، صيدا، ١٩٦١م.
- ٣٩- رستم، أسد: الروم في سياستهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط١، بيروت، ١٩٥٥م.
- ٤٠- زكار، سهيل؛ المحمد، أنس: تاريخ العصر العباسي الثالث، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ٢٠١٧.
- ٤١- الزركلي، خير الدين: الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ٤٢- زيدان، جرجي: عرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٢٢م.
- ٤٣- ستاريجيان، ل، ل: تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥١م.
- ٤٤- سعفان، كامل: معتقدات آسيوية (العراق- فارس- الهند- الصين- اليابان)، دار الندى، ط١، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٤٥- سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٤٦- سالم، عبد العزيز: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.
- ٤٧- الشريف، أحمد إبراهيم: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٤٨- شعبان، محمد عبد الحي: صدر الإسلام والدولة الأموية ٦٠٠-٧٥٠م (١٣٢هـ)، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

- ٤٩- صراي، حمد محمد: تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتب، دبي، ١٩٩٩م.
- ٥٠- العابد، مفيد رائف: معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الأكاسرة ٢٢٦-٦٥١م)، دار الفكر، دمشق، ط١، بيروت-دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ٥١- العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين من الاسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣ق.م - ٦٤ق.م، دار الشمال، دمشق، ١٩٩٣م.
- ٥٢- العارف، ممتاز: الأحباش بين مأرب وأكسوم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٥م.
- ٥٣- عباس، إحسان: عهد أردشير، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.
- ٥٤- العبد الغني، عبد الرحمن: أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط١، الكويت، ١٩٨٩م.
- ٥٥- عبد المنعم، ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٥٦- عثمان، فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة، د.ت.
- ٥٧- عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت.
- ٥٨- عطا، زبيدة: الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، بيروت د.ت.
- ٥٩- أبو العلا، محمود طه: جغرافية المملكة السعودية، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ٦٠- العلان، أرواد: فارس وبيزنطة، دار رسلان، دمشق، ٢٠٠٩م.
- ٦١- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٨م.
- ٦٢- عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٦٣- الطابور، عبد الله علي: جلفار عبر التاريخ، مطبعة دبي، الإمارات، ١٩٩٨م.
- ٦٤- غريال، محمد شفيق وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة للطبع والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

- ٦٥- غنيمه، يوسف رزق الله: الحيرة، المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، ١٩٣٦م.
- ٦٦- فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.
- ٦٧- فرح، نعيم: تاريخ بيزنطة السياسي، مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٧٨م.
- ٦٨- فرزات، محمد حرب: مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها قبل الإسلام، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٧م.
- ٦٩- فرعون، محمود؛ العلان، أرواد: دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- ٧٠- القماطي، هنية مفتاح، الفكر الديني القديم، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٧١- كفاي، محمد عبد السلام: في أدب الفرس وحضارتهم، مطبعة دار النهضة، بيروت، ١٩٧٠م.
- ٧٢- ماجد، عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية "عصر الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٧٣- مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٧٤- مظهر، سليمان: قصة الديانات، دار الوطن العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- ٧٥- مهران، محمد بيومي: تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د.ت.
- ٧٦- أبو مغلي، محمد وصفي، إيران دراسة عامة، منشورات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٥م.
- ٧٧- مكاريوس، شاهين: تاريخ إيران، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٧٨- ملحم، عدنان محمود: المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٧٩- مهران، محمد بيومي: دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، ط٢.

- ٨٠- الناصري، سيد أحمد علي: الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، ١٩٨٤.
- ٨١- ندا، طه: دراسات في الشاهنامه، دار الطالب، الإسكندرية، د.ت.
- ٨٢- الهاشمي، طه: مفصل جغرافية العراق، بغداد، ١٩٣٠م.
- ٨٣- الواسعي اليماني، عبد الواسع بن يحيى: تاريخ اليمن، فرجة الهموم والحزن، منشورات مكتبة اليمن الكبرى، ط٢، ١٩٩٠م.
- ٨٤- ويليامسون، أندرو: صحار عبر التاريخ، ط١، عمان، ٢٠٠٠م.
- ٨٥- يحيى، لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

سادساً: المراجع الفارسية والمعرّبة

- ١- آري، أ، ج: تراث فارس، تر: محمد كفاي، أحمد الساداتي، السيد يعقوب بكر، محمد صقر خفاجة، مر: يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ٢- أولندر، جونار: ملوك كنده من بني آكل المرار، تر: عبد الجبار المطلبي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٣م.
- ٣- أوليري، أليف: مسالك الثقافة الأغريقية إلى العرب، تر: تمام حسان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- ٤- بابلون، أرنست: الآثار الشرقية: لحضارات كلدية وآثور وفارس وسوية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص، تر: مازن الخوري، دار جروسيرس، لبنان، ١٩٨٧م.
- ٥- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيتش: تاريخ الحضارة الإسلامية، تر: حمزة طاهر، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ٦- بارندر، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٧٣، الكويت، ١٩٩٣م.
- ٧- بختياري، عليقلي محمودي: زمينه فرهنگ وتمدن ايران، تهران، ١٣٥٨هـ ش، جاب سوم.

- ٨- براون، إدوارد: تاريخ الأدب في إيران منذ أقدم العصور حتى عصر الفردوسي، تر: أحمد كمال الدين، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.
- ٩- براونستون، ديفيد: طريق الحرير، تر: أحمد محمود، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، د.ت.
- ١٠- بروي، إدوار: تاريخ الحضارات العام "القرون الوسطى"، تر: يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ٢٠١٠م.
- ١١- پور شريعتي، پروانه: افول وسقوط شاهنشاهی ساسانی (اتحاديه ساسانی - پارتي وفتح ايران به دست عربيها)، مترجم: آوا واحدی نوایی، نشرنی، تهران، ١٣٩٨هـ.
- ١٢- بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا: العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، تر: صلاح الدين عثمان، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ١٩٨٥م.
- ١٣- بياتي، عزه الله: كليات تاريخ وتمدن ايران، ط١، بيروت، ١٩٥٣.
- ١٤- بيرنيا، حسن: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، تر: محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، مر: يحيى الخشاب، دار الثقافة للنشر، ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ١٥- جليليان، شهرام: تاريخ تحولات سياسي ساسانيان، سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم انسانی دانشگاه ها سمت، تهران، ١٣٩٧.
- ١٦- جيبون، أدوارد: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، تر: محمد علي أبو دره، مر: أحمد نحيب هاشم، مطبعة الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٩م.
- ١٧- حميد، كاوياني پويا؛ ماريا، داغمه چي: چايگاه ونقش استحکامات هيركانيا در منازل مرزهای شرقی ساسانيان، ادبيات وعلوم انسانی، دانشگاه تهران، دوره ٥ شماره ٣، پایيز وزمستان، ١٣٩٤.
- ١٨- دريایی، تورج: امپراتوري ساسانی، تر: خشايار بهاری، فرزانه روز، تهران، ١٣٩٢هـ.
- ١٩- دل، حسن، استان سيستان وبلوچستان، تر: محمد رضا نجم الدين، مؤسسة تحقيقات وانتشارات کاروان جانکردان، تهران، ١٣٧٩هـ.

- ٢٠- دوسن، كرستوفر: **تكوين أوروبا**، تر: محمد زادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ٢١- دياكانوف، ميخائيل ميخانيوديج: **تاريخ إيران باستان**، تر: روهي أرياب، جاب روم، تهران، انتشارات علمي وفرهنكي، ١٣٨٠هـ.
- ٢٢- ديورانت، ول وايريل: **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محمود، محمود بدران وآخرون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- ٢٣- رازي، عبد الله: **تاريخ مفصل إيران از تاسيس سلسله ماد تا عصر حاضر**، جاب دوم، تهران، شركة الحاج محمد حسين اقبال وشركاه، ١٣٣٥هـ.ش.
- ٢٤- راوندی، مرتضى: **تاريخ اجتماعي ایران**، انتشارات أمير كبير، تهران، ١٣٥٤هـ.ش.
- ٢٥- زاده، السيد حسن تقی: **ماني ودينه**، الجامعة اللبنانية، قسم اللغة الفارسية وآدابها، ١٩٦٣م.
- ٢٦- زاده، فاروق صفی: **اديان باستان ایران**، اوحدي، تهران، جاب دوم، ١٣٩٠هـ.
- ٢٧- زرین کوب، عبد الحسين: **روزگاران تاريخ ایران ایران از اغار تا سقوط سلطنت بهلوي**، تهران انتشارات مهارت، ١٣٧٨هـ، ه.ش.
- ٢٨- تاريخ ایران باستان، **تاريخ سياسي ساسانيان**، جاب هشتم، تهران، ١٣٩٢هـ.
- ٢٩- زنده دل، حسن: **استان سيستان وبلوچستان**، تر: محمد رضا نجم الدين، مؤسسة تحقيقات وانتشارات كاروان جهانگردان، تهران، ١٣٧٩هـ.
- ٣٠- سايكس، سريرسي: **تاريخ ایران**، تر: فخر داعي كيلاني، سيد محمد تقی، دنياي كتاب، تهران، ١٣٧٠.
- ٣١- سيستاني، افشار: **استان خراسان**، انتشارات هيرمند، تهران، داب أول، ١٣٧٨.
- ٣٢- شپيمان، كلاوس: **مباني تاريخ ساسانيان**، تر: كيكاس جهانداري، نشر فرزاد روز، جاب سوم، ١٣٩٠هـ.
- ٣٣- شیر، ادي: **تاريخ كلدو واشور**، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م، ج ٢، ص ١٦١.

- ٣٤- صديقي، غلام حسين: **الحركات الدينية في إيران في القرون الإسلامية الأولى**، تر: نصير الكعبي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م.
- ٣٥- عاصم ، نجيب : **تورك تاريخي**، صاحب و ناشري، حسن فريد واحمد شمس الدين، دار الطباعة المعاصرة، استانبول ، ١٣١٦هـ .
- ٣٦- عباسي، سمية: **تحليلي بر روابط مزدك ونظام ساسانيان**: جالش ها وهمكراي ها (٤٩٠-٥٧١م)، بايان نامه براي دريافت درجه كارشناسي ارشد، دانشكاه آزاد اسلامي، ١٣٩٢هـ.ش.
- ٣٧- العباداني، عبد الله مبلغي: **تاريخ الديانة الزرادشتية**، تر: وريا قانع، تعريب: عبد الله الستار كلهور، مطبعة خانه، دهورك، ٢٠١١م.
- ٣٨- فراي، ريجارد نلسون: **تاريخ باستاني ايران**، مترجم: مسعود رجب نيا، شركت انتشارات علمي وفرهنگي، تهران، ١٣٨٨هـ.
- ٣٩- الفندياد، أهم الكتب التي تتألف منها الأفتا، تر: داوود الموصلي، مطبعة الاتحاد الجديد، الموصل، ١٩٥٢م.
- ٤٠- فيزهوفر، يزف: **فارس القديمة**، تر: محمد جديد، مر: زياد مني، قدمس، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ٤١- كريستنسن، آرثر: **إيران في عهد الساسانيين**، تر: يحيى الخشاب، مر: عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٤٢- **سلطنت قباد وظهور مزدك**، تر: أحمد بيرشك، تهران، انتشارات طهورى، ١٣٧٤هـ.ش.
- ٤٣- كليما، اوتاكر: **تاريخ جنبش مزدك**، تر: جهانگيري فكري ارشاد، توس، تهران، ١٣٥٩هـ.
- ٤٤- كوبيشانوف، بوري ميخايلوفتش: **الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الميلادي**، تر: صلاح هاشم، عمان، ١٩٨٨م.

- ٤٥- كيرشمن، رومن: *ايران از آغاز تا اسلام*، تر: محمد معين، انتشارات علمی فرهنگی، تهران، جاب بنجم، ١٩٨٥م.
- ٤٦- لسترنج، كي، *بلدان الخلافة الشرقية*، تر: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.
- ٤٧- لويد، سيتن: *الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن)*، تر: طه باقر وبشير فرنسيس، القاهرة، ١٩٤٨م.
- ٤٨- ماسه، هنري وآخرون: *تاريخ تمدن ايران*، تر: عيسى بهنام، مطبعة بهمن، تهران، ١٩٥٨م.
- ٤٩- مطهري، مرتضى: *الإسلام وإيران*، تر: محمد هادي اليوسفي الغروي، سبهر، طهران، ١٩٩٧م.
- ٥٠- موسكاتي، سبتينو: *الحضارات السامية القديمة*، تر: يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٥١- نغرين، جيوايد: *ماني والمانوية دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها*، تر: سهيل زكار، دار حسان، ط١، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- ٥٢- نولدكه، تئودور: *تاريخ إيريانيان وعربها در زمان ساسانيان*، تر: عباس زرياب، خوئي، انتشارات، انجمن آثار ملی، ١٨٧٩.
- ٥٣- نيا، علي: *زمينه ی اجتماعی قيام مزدكيان*، تهران، فروزان، ١٣٥٢هـ.ش.
- ٥٤- هنتس، فالتر: *المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري*، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.
- ٥٥- ولبر، دونالد: *إيران ماضيها وحاضرها*، تر: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب، ط٢، القاهرة-بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٤٥.
- ٥٦- وينتر، انگلبرت؛ ديگناس، بئاته: *روم وإيران: دو قدرت جهاني در كشاكش وهمزيستي*، تر: كيكاس جهانداری، فرزبان روز، تهران، ١٣٨٦هـ.
- ٥٧- يارشاطر، إحسان وآخرون: *تاريخ إيران تا فرو باشي دولت ساسانيان*، تر: حسن انوشه، جاب سوم، قسمت اول، تهران، انتشارات أمير كبير، مطبعة سبهر، ١٣٨٠هـ.

سابعاً: الرسائل الجامعية

- ١- حمادي، محمد جاسم: الجزيرة الفراتية والموصل، أطروحة ماجستير غير منشورة في جامعة بغداد، ١٩٧٧م،
- ٢- الحيدري، علي هادي الحمزة، الأحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (٢٢٦-٦٥١م)، جامعة بابل، بغداد، ٢٠٠٦م.
- ٣- الصوفي، حميد مرعي: دور الدهاقين في الإدارة المالية لخراسان حتى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: صلاح الدين أمين طه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- ٤- العلان، أرواد: السياسة الساسانية الإيرانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: محمود فرعون، كلية الآداب، جامعة دمشق، ٢٠٠٥م.
- ٥- علي، ابراهيم محمد: المناظرة دراسة سياسية حضارية ٢٦٨-٦٠٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الموصل، ١٩٨٢م.
- ٦- الموسوي، جاسب مجيد جاسم، الديانة الزرادشتية وأثرها في الدولة الساسانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.

ثامناً: المقالات

- ١- حكمت، علي أصغر: نظرة عامة على تاريخ الكنيسة في إيران، مجلة الدراسات الأدبية - قسم اللغة الفارسية، الجامعة اللبنانية، بيروت، العدد ٤٠، ١٩٦٢م.
- ٢- الحمارنة، صالح: دور الأبله في تجارة الخليج، بحث منشور في (مجلة احاد المؤرخين العرب)، بغداد، العدد ١٥، بلا، ت.
- ٣- روتشتاين، جوستاف: تاريخ السلالة اللخمية، مجلة آداب جامعة البصرة، العدد ١٦، ١٩٨٠م.
- ٤- هويدي، فهمي: الطريق إلى سمرقند، مجله العربي، الكويت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، العدد ٢٥٨.

٥- وهبي، توفيق: دين الكرد القديم، تر: جميل بندي، مجلة العرفان، العدد ١، لبنان، ١٩٦٨م،

تاسعاً: المراجع الأجنبية

1. Allen, W. E. D, A history of the Georgian people, 1932.
2. Blockely, R.C. lists the amount of gold given to the Sasanians by the Roman King as mentioned by classical in " Subsidies and Diplomacy: Rome and Persia in late Antiquity, "Phoenix, The Journal of the Classical Associations of Canada, 39. No, I, (SPRING, 1985).
3. Bausani, Alissandro: The Persians from the earliest days to the twentieth century, Translated from the Italian by: J. B. Donn, London-1962.
4. Braund, David, Georgia in Antiquity: History of Colohis Transcaucasian Iberia, 550 BC- AD 562, Oxford University Press, USA , 1994.
5. Brice, W.C, East Asia, London, 1966.
6. Cary, M, The History of Greek World 323-146 B.C, London, 1951.
7. Durant, W, The Story of Civilization, The Age of Faith, New York, 1950.
8. Dyson, R,H, " problem in the Relative Chronology of Iran, 6000-2000 B.C" in Chronolgies in old World Archaeology , U.S.A, 1967.
9. Dyson, R,H, " problem in the Relative Chronology of Iran, 6000-2000 B.C" in Chronolgies in old World Archaeology , U.S.A, 1967.
- 10.Eker- Develi, E. Distribution of phytoplankton in the southern Black Sea in summer , 2003.

- 11.Emmerik, R,E, Buddahism Among Iranian people, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press,1983.
- 12.Fisher, W.B, Physical Geography, In GambridgeHistort Of Iran, Vol 1, The land of Iran, Gambridge, 1968.
- 13.Fisher, W.B. The Middle East A physical, Social, and Regional Geography, London, 1966.
- 14.Franceso, Gabriel, A short history of the Arabs, Robert Hale London, Bristol Typeset tting co. LTD. 1965.
- 15.Girshman , R. L,' Iran des origins a l' Isam, paris, 1976.
- 16.Grouset, Histoire de L Armenie Des Origines a 1071 , Paris, 1973.
- 17.Hazel, J, Who's Who in the Roman World, London, 2002.
- 18.Henry, G, Bhon, London, 1856.Excerpt from Book II.
- 19.Hitti, P.K, History Of The Arabs, London, 1960.
- 20.Jackson, A.V.W, Zoroaster The Prophet of Ancient Iran, London, 1899.
- 21.Procopius, The Secret History, Translated By A. Williamson, Penyuin Book, 1996.
- 22.Procopius. History of The Wars, Wiilliam Helnemann, New York, G.P, Punams.
- 23.Sayile, A; The Nationality of Ephatlites , Belleten, XL, VI, 1985.
- 24.Mieroop, Marc Van de, A History of the Ancient near East C. 3000-323 BC
- 25.Millî, Kafesuglu Ibrahim: Türk Kùltürü Ankara, 1977.
- 26.Parvaneh Poursh, Decline and Fall of the Sasanian Empire, The Sasanian–Parthian Confederacy and the Arab, I.B. Tauris & Co Ltd , New York, 2008.

27. Nicholas Vladimir Strunc, What Role Did the Sassanid Empire Truly Play in the Fall of the Western Roman Empire? Exploring Divergences in Causal Frameworks, *Honors Theses*. 2015.
28. Shahid, Irfan. " Byzantia Arabica, The Conference of Ramla, A, D," *Jorunal of Near Eastern Studies*, XXXIII, 1964.
29. Strabo, The Geography of Strabo Literally translated with notes, The first six books by H.C. Hamilton, Esq. The remainder by W. Falconer, published by
30. Sykes, P.M: A history of Persia, London, 1915.
31. Tibbts, G, R, Pre Islamic Arabia and South East Asia *JMBRAS*, vol. 56, 1956.
32. Vasiliev, A. A, History of The Byzantine Empire 324-1453- The University Of Wisconsin – Press – 1957. Vole I.

Abstract

The treatise “The Sasanian State during the Reign of Kawadh I (488-531 AD)” includes a detailed explanation of the social, religious, economic and political conditions during the reign of Kawadh I, his wars and his foreign relations. With the arrival of King Kawadh I to power, he found himself facing a complex inheritance of problems, chief among which was the nobility, the power of the clergy, their authority even over the kings, and their financial influence and their great wealth on the one hand, and the famine and poverty, and the taxes that burdened the people on the other hand, so this is a heavy inheritance like this. He had to search for a strong ally to support him in bringing about changes in the structure of Sasanian society.

The political and social conditions paved the way for the emergence of the character of Mazdak, who announced his call and revolution on the economic and social reality in light of the difficult conditions that afflicted the Sassanid state, after a series of losing wars against the Hiatla that placed the country under the yoke of paying taxes to them in order to ward off their danger from the eastern borders. And in light of the reality of imposing class differentiation among the members of society, he had drawn its features in Ardashir and continued until the era of Kawadh I, so the transition from one class to another became a kind of impossible, except in rare cases.

In its principles and teachings, the Mazdaq faith has tended to apply the public domain theory of money and women, which it considers a basis upon which society must be based. This is what explains why the lower classes, who are deprived of privileges, welcome and join Mazdakiya.

Kawadh I's support for the Mazdakiya revolution in the tenth year of his reign constituted a threat to the foundations of Sasanian rule, as this revolution

threatened the privileges of the nobles and the clergy, and Kawadh I found in his adoption of it a way to reduce the domination of the great, who were able to strike a blow to Mazdakiya by removing Kawadh I from the government and appointing his brother Gamasb 497-499 AD). However, a radical change occurred in Kawadh I's policy towards Mazdakiya after his second return to power, with the support of external forces (al-Hayatla). And the beginning of the end was for Mazdak when he entered into a conflict with Kawadh I over the issue of inheriting the throne, which ended with the death of Mazdak and the eradication of his followers during the reign of Kawadh I and Kusra after him.

Kawadh I made many internal reforms, and we can call them initial reforms as long as they did not bear fruit during his reign, and Fosra continued after him. And he led a series of wars on the eastern front against Al-Hayatleh and was able to disperse them, and repel the Khazar attacks from the country. On the Western front, he entered into a conflict with Byzantium over Armenia and Lazica, and his wars with Byzantium did not end in those two regions, but rather extended to the Arab region in the Euphrates Peninsula and the Arabian Peninsula.

The Arabs were not far from the stage of the political conflict between the two countries. The situation on the frontiers separating them is to enjoy a kind of independence, and to increase its political activity to the point that it helped it to contribute to the events of that conflict, and to establish a relationship of friendship and alliance with the major powers in that era, as the Manzrah State did by standing by the Sassanid's and the Ghassanids by standing by the Byzantines So, both states took upon themselves to protect the borders of the Sasanian state and the Byzantine Empire, and each participated in the wars between them on the side of their ally.

Damascus University
Faculty of Arts and Human
Sciences
Department of History



The Sasanian State during the Reign
of Kawadh I (488-531 AD)

Thesis prepared for a Doctorate degree in
History of the ancient East

Prepared by:

Nour Mohamed Nasr

Supervised by:

Professor Dr. Arwad Al-Alan

1441-1442/2020-2021